



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر - باتنة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية



الخطاب السردى

في كتاب كلية ودمنة لابن المقفع

- مقاربة تداولية -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان
تخصص: الدراسات الدلالية

إشراف الدكتور:
الجودي مرداسي

إعداد الطالبة:
سارة قطاف

رئيسا	جامعة الحاج لخضر - باتنة	أستاذ محاضر	د. لخضر بلخير
مشرفا ومقررا	جامعة الحاج لخضر - باتنة	أستاذ محاضر	د. الجودي مرداسي
عضوا مناقشا	جامعة الحاج لخضر - باتنة	أستاذ التعليم العالي	أ.د. إسماعيل زردومي
عضوا مناقشا	جامعة قاصدي مرباح - ورقلة	أستاذ محاضر	د. لبوخ بوجملين

السنة الجامعية:

1433هـ / 1434هـ

2012م / 2013م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و تقدير

عملاً بقوله صلى الله عليه و سلم: «من لا يشكر الناس، لا يشكر الله عزَّ و جل»⁽¹⁾ ، أقدم جزيل شكري و امتناني بعد الله عزَّ و جل إلى كل من :

-الأستاذ الفاضل الدكتور الجودي مرداسي أولاً لتأطيره مشروع الماجستير شعبة علوم اللسان تخصص الدراسات الدلالية لعام 2009 ، و لفتح باب البحث أمام الطلبة ، و ثانياً لكونه المرشد العلمي للباحثة ؛ إذ رعى البحث إلى أن تم بحمد الله، فلم يتأخر في إبداء الرأي وإسداء النصح ، و هو الذي غمرني بكرم خلقه ، فعاملي معاملة الأب الحاني لابنته ، فله الجزيل الذي لا يُنسى ، و الفضل الذي لا يُجحد .

-أعضاء اللجنة العلمية الذين تشرفتُ بقبولهم مناقشة هذا العمل العلمي، وهم الذين استردت من علمهم سواء على مقاعد الدراسة بجامعة الحاج لخضر_باتنة، أو من خلال كتاباتهم العلمية فلهم أسمى آيات التقدير و الاحترام.

-أساتذتي الأجلاء في قسم اللغة العربية بجامعة باتنة ، اللذين قطفت من روض علمهم ، و تنسمت من عبق سيرتهم ، أتوجه إليهم بالشكر الجزيل و العرفان الجميل .

-والدي لعربي قطاف أستاذ علم الاجتماع ، الذي وفّر لي شروط الراحة و التعليم ، بما في ذلك مكتبة تزخر بكثير من الكتب القيمة في مجال الأدب و في غيره ، فله مني جزيل الشكر و الامتنان ، عسى أن يهديني ربّي لرد الجزء اليسير مما جاد به عليّ .

- كما أشكر الأيادي البيضاء التي أمدّت البحث بمراجع الدراسة ، وأخص بالذكر الأساتذة : و داد بن عافية ، ابتسام بن خراف ، نعيمة روابح ، ميلود نزار ، توفيق بن خميس ، دليلة قاسمية ، نادية خميس ، رحيمة شيتير ... فأنا مدينة لهم جميعاً بكل عبارات الشكر و التقدير .

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (11703) ، 233/18 ، تح : شعيب الارنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي و عادل مرشد و إبراهيم الزبيق و محمد رضوان العرقسوسي و كامل الخراط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1999 .

مقدمة

مقدمة :

كانت اللغة و لا تزال مدار اشتغال الباحثين في شتى الاختصاصات منذ عشرات القرون ، باعتبار طبيعتها التواصلية و التبليغية ، لذلك فقد عكفت الدراسات اللسانية منذ نشأتها إلى دراسة هذه الأداة ، وعملت على وصفها بمختلف المناهج والوسائل المتاحة لذلك .

وقد كان لتطور اللسانيات الحديثة دور كبير في إبراز حقيقة اللغة ، والكشف عن مناهج جديدة لتحقيق هذه الغاية، فتعدى الدرس اللغوي حدود الجملة إلى ما بعد الجملة ، وصار لزاما تجاوز حدود الوصف إلى مجال الاستعمال الفعلي للغة بين المتخاطبين .

هذا الانتقال كان سببا في تعدد جوانب الدراسات والاتجاهات والمدارس والمناهج والنتائج؛ فمنها الجانب اللساني، ومنها الجانب الاجتماعي، و منها الجانب النفسي...ومن هنا كان المجال مفتوحا لبروز تيار جديد عرف بالتداولية ، و التي أثارت اهتمام العديد من الباحثين، بما تتيح من إمكانيات لحل مشاكلهم العالقة، كما أنّها فضاء مفتوح على مختلف المعارف الإنسانية ، فهي تغرف من علم الاجتماع ، وعلم النفس، و علم الاتصال، و الذكاء الصناعي، و غيرها .

ولئن انتقدت التداولية لمعالجتها، بحسب آراء بعض الباحثين ، المشاكل اللغوية الهامشية Marginaux التي لم تعالجها اللسانيات (الفونولوجيا ، التركيب ، الدلالة)، فإنّها أحدثت تغييرا طال جميع الأبحاث اللسانية، مما فتح آفاقا أرحب ، و أنتج أسئلة جديدة حول هذا البحث ، الذي يولي أهمية قصوى للشروط الخارج لغوية Extra linguistique .

فقد اهتمت التداولية بالسياق والمقام و المتكلمين ومقاصدهم وقدرات المتلقين على الاستيعاب و كفاءتهم التواصلية أو التداولية؛ بل إنّها وسعت من اهتمامها ليشمل مقارنة النصوص الأدبية، لغاية الكشف عن مقاصد التواصل والتبليغ، وتحديد معالم هاته النصوص اعتمادا على أغراضها التداولية .

والتداولية إذ تلج غمار مقارنة الخطابات الأدبية فإنّها تلمس تنوع الخطابات بين سردي ووصفي وشعري؛ بل و أحيانا تداخل الأجناس الأدبية تلك فيما بينها، و إذ ذاك يتساءل الباحث في كيفية و مدى نجاح تطبيق هذا التيار المعاصر لأدواته الإجرائية على كل هذه الخطابات المتشعبة الرؤية و التشكيل .

فالتداولية وهي تخوض مغامرة مقارنة الخطاب الأدبي _ السردى، باعتبار موضوع البحث، فإنّها تضعنا أمام سلسلة إشكالات تولد لدينا العديد من الأسئلة نوجزها في نقاط أساسية:

Ã إذا كان انجاز الخطاب الأدبي بوصفه فعلا كلاميا متعلقا بأطراف التخاطب المتكلم / المرسل ، و المستمع أو القارئ فما هي حدود كل هذه الأطراف ، مع العلم أن السرد بطبيعته يستدعي تعددا في الأصوات الناطقة به و فيه ؟ فهل يمكن للتداولية بما تتيحه من أدوات و آليات مقارنة الخطاب السردى و الإجابة عن أسئلة من قبيل من يتكلم في النص ؟ مع من يتكلم ؟ ماذا يريد المتكلم أن يقول ؟ كيف يتكلم ؟.

Ã إنّ الخطاب السردى يبنى على أساس مجازى فى اللغة، ذلك الجانب الذى يفضى إلى بناء فعل أو أفعال كلامية غير مباشرة، فهل يمكن انطلاقاً من هذا التصور اعتبار الخطاب السردى فعلاً كلامياً غير مباشر؟.

Ã كيف يمكن الحكم على نجاح المقاربة التداولية للخطاب الأدبى مع العلم أنه صيغ بطريقة خاصة تتوارى المقصدية من خلالها؟ كيف لنا تفكيك الخطاب السردى بالخصوص للوصول إلى القصد الباطن الكامن خلفه، برغم صعوبة التأكد من المقاصد لمخالفاتها الألفاظ؟.

Ã ما الدور الذى يعكسه السياق العام المنجز فيه الخطاب؟.

Ã كيف تزودج أساليب الإمتاع و الإقناع فى خطاب أدبى _سردى واحد؟.

كل هذه الأسئلة وغيرها تسوّغ لنا اختيار التداولية منهجاً لقراءة منتج سردى تراثى رىادى هو كتاب **كليلة و دمنة**، حكايات تتميز بنصّيتها و بانسجام مقاطعها، كما يميزها تطّلعها إلى خلق انسجام خارجى، لكونها تترع إلى إقامة واقع مواز لما يجب أن يكون عليه الواقع الخارجى، وهذا ما يوفره نص **كليلة و دمنة** بوصفه نصاً سردياً ووحدة كلامية تامة يحققها المتكلم /المرجم بهدف معين، و فى إطار ظروف زمنية و مكانية محددة .

وقد كان من أسباب اختيارى الموضوع أنّه لم ينل حقّه من الاهتمام ،و أقصد بذلك تطبيق المنهج التداولى، بما يتيح من آليات و أدوات إجرائية ، فى تحليل الخطابات السردية ، كذلك توقي إلى عالم الرواية التى مثل ما تعطينا من الحركة ما نرغب، فإنّنها كذلك فنّ مُتقن حبك الشبكة حول أعناقنا كقراء ،و هو ما يوفره لنا كليلة و دمنة -وإن لم يكن فى مستوى الرواية بما تحويه من مفاهيم متشعبة و معقدة - كخطاب سردى ، و تحقيقاً لهذه الغاية تم اختيار عنوان يتماشى و هذا المقتضى، وسم بـ _____ : "**الخطاب السردى فى كتاب كليلة و دمنة لابن المقفع مقارنة تداولية**"، وقد اعتمد البحث فى تناميّه على مدخل وثلاثة فصول و مقدمة تسبق ذلك ، و خاتمة تتوج أهم ما خلص اليه البحث إليه .

× مدخل : بيبليوغرافيا العنوان

ولأهمية المصطلح فى بناء أى منظومة علمية معرفية فقد حاولت فى هذا المدخل الوقوف على المصطلحات المفاتيح للعنوان، فتناولت مفهوم الخطاب فى الثقافتين العربية و الغربية ، مع الاحتراس فى المعالجة، سيما و أنّ هذا المصطلح يحمل ما يحمل من زخم فكرى، وكذلك لنشأته فى تربة غربية ؛ إذ يبقى لا محالة وفيها للأصول الفكرية التى أفرزته، كما حاولت إقامة الحدود بينه و بين مصطلح النص بما وجدت فى المؤلفات العربية التى لها باع طويل فى هذا الشأن، وإن كان التمييز بينهما يبقى غائماً لصعوبة الفصل بين المصطلحين عند جل الباحثين. ثم عرّجت إلى تجليات الخطاب السردى وأهم المفاهيم التى يتكأ عليها لبناء معالمة؛ كالشخصية الحكائية ، الرواة أو السرد، الزمان و المكان، و ما إلى ذلك. كذلك تحدثت فى هذا الفصل عن مفهوم التداولية و أصولها الفلسفية و الفكرية، وأيضاً أدواتها اللسانية، وأهم المصطلحات و الأدوات الإجرائية التى أنتجتها.

✕ الفصل الأول : إشكالية المقاربة التداولية للخطاب الأدبي

في هذا الفصل نتعرف على الطريقة التي تم بها تعديل مفاهيم المنهج التداولي، وتطويعها لتلائم الخطابات الأدبية، باعتبارها :

- **خطابات تواصلية:** يتبدى فيها المتكلمون في جو من التفاعل و التبادل الكلامي في سياق و مقام معينين، على أن الإشكالية تكمن في تحديد أطراف التواصل في الخطاب الأدبي_ السردية ، و التي غالبا ما تكون عصية على التعيين.

- **خطابات سياقية:** تحيل على منتجها و متلقيها، بيد أن السؤال الأهم يكمن في كيفية تحديد عناصر السياق باعتبار الطبيعة التخيلية لخطاب **كليلة و دمنة** ، وهو ما يروم هذا الفصل الإجابة عنه.

- **خطابات حوارية:** تتساءل فيها و نحاول الإجابة عن مظهرات الحوار في الخطابات الأدبية_ السردية عامة، و **كليلة و دمنة** بالخصوص .

- **خطابات ذات مقاصد:** إذ المعلوم أن كل مخاطب هو فعل يتأسس تبعا لمقاصد تواصلية صريحة كانت أو ضمنية، بحيث يكون نجاح التواصل رهنا بعملية تبادل الاعتقادات و المقاصد بين المتخاطبين، إلا أن الوصول إلى هذا المستوى محفوف بإشكاليات تتعلق باستثمار أسلوب الحكيم لإيصال المقاصد للمخاطب، وكذلك بكيفية تفكيك الخطابات السردية بما هي خطابات أدبية للوصول إلى القصد الباطن، برغم صعوبة التأكد من المقاصد في مثل هذه الخطابات لطبيعتها التخيلية ، و لمخالفتها لمقتضى الألفاظ ، وهذا ما يروم البحث الإجابة عنه .

- **خطابات لغوية:** على اعتبار أن التداولية تجاوزت دراسة الجملة بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل إلى ما فوقها؛ أي إلى دراسة الملفوظ و التلفظ، وذلك بربط السياق اللغوي بمحيطه و ظروفه التبليغية .

✕ الفصل الثاني : الفعل الكلامي في كتاب كليلة و دمنة

تطرقنا في هذا الفصل إلى مفهوم الفعل الكلامي (Acte du parole) عند كل من أوستين و سيرل ، اللذين حاولا الإجابة عن تساؤل جد هام مفاده : كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا ؟ فحاول البحث انطلاقا من هذه الزاوية تقصي أنواع الفعل كما رأى الباحثان أعلاه ، وخاصة أننا نعد الحكاية فعلا كلاميا سرديا يتفرع إلى :

الفعل القولي : ويتكون من التركيب و الإيقاع و الدلالة .

الفعل الانجازي : و هو فعل لا يتحقق إلا في ضوء الفعل التأثيري .

الفعل التأثيري : و قيمته في التحليل التداولي تضاهي أوقد تفوق قيمة الفعل الانجازي ؛ لأنه مدار التلفظ

و سببه بشكل أو بآخر .

كما تطرقنا في هذا الفصل إلى الفعل الكلامي عند البلاغيين العرب، متمثلاً في مبحثي الخبر و الإنشاء، وقدّمنا نماذج من كتاب **كليّة و دمنّة**، مما يوحي بإمكانية اعتبار الخطاب السردّي في **كليّة و دمنّة** فعلاً كلامياً أو بالأحرى حدثاً كلامياً، بناءً على تواشج الأفعال الكلامية فيه على تنوعها، لبناء و تأسيس و تعضيد الفعل الكلامي الجامع (Macro acte de langue) أو الفعل الكلامي الرئيس (البؤرة) في **كليّة و دمنّة** ، الذي هو : **إسداء النصيحة** .

كذلك تعرفنا على الفعل الكلامي المباشر و الفعل الكلامي غير المباشر، فالأول منهما ما دلّ عليه ملفوظ معين دلالة مباشرة و حرفية، فيما تعد الأحداث غير المباشرة بتعبير سيرل « حالات ينفذ من خلالها حدث حقيقي بشكل غير مباشر بواسطة حدث آخر »⁽¹⁾، لنكتشف أننا نتواصل بالأفعال الانجازية غير المباشرة أكثر مما نتواصل بالأفعال الانجازية المباشرة، و مثله في **كليّة و دمنّة**، فالحكاية حدث سردي أو سلسلة من الأفعال السردية غير المباشرة ، والتي تبني على الاستخدام المجازي للغة من خلال تقنية **التشخيص** **personnalisation** ، التي يعتمد عليها خطاب **كليّة و دمنّة** بدرجة كبرى .

كما توضّح لدينا أن الوصف في **كليّة و دمنّة** هو الآخر فعل كلامي يتكون بدوره من: فعل قولي (صوت و تركيب و دلالة و إيقاع) ، و فعل إنجازي : يتعلق بتحقيق الرغبة في جلب الاستماع ، و فعل تأثيري : يتجلى في التحقق الفعلي للتجاوب مع الخطاب .

وفي الأخير تأكدنا من أن الأفعال الكلامية هي أفعال حجاجية قصدية ، تتكون من فعل متضمن في القول ، و فعلاً منجزاً بالقول ، و فعلاً تأثيرياً .

× الفصل الثالث : الحجاج في كتاب كليّة و دمنّة

رأينا أن الحجاج محاولة واعية من المتكلم التأثير في المتلقي، سواء على مستوى سلوكه، أو على مستوى معتقداته وقناعاته، و إذ ذاك فإنّه ينبغي وفق إستراتيجية معينة سواء منطقية أو لغوية أو بلاغية أو جميعها معاً.

وانطلاقاً من غاية الحجاج الأساسية التي هي إقناع متلقيه و التأثير فيه حاولنا في هذا الفصل تقصي مكوناته، والبحث عن الطريقة التي تجسّدت فيها البنى الحجاجية، فحاولنا الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بهذا الشأن بداية بـ: ما الحجاج ؟ وما دوافعه ؟ ومن هم أطرافه ؟ ومن الموجه الحقيقي له أثناء التواصل ؟ وأين يكمن لبّ الحجاج، أهو في الحجة أم هو في النتيجة ؟ أم هو فيهما سواء ؟ وهل يمكن اعتبار أيّ خطاب هدفه الإقناع خطاباً حجاجياً ؟ وماذا يتطلب الحجاج لكي يقنع المتلقي ؟ وما هي الوسائل المنهجية لذلك ؟ .

(1) قويدر شنان ، التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني المنشأ الفلسفي و المال اللساني ، مجلة اللغة و الأدب ع17 ، جانفي 2006 ، الجزائر ، ص

و كإجابة عن كل هذه التساؤلات فقد تعرضنا لمفهوم الحجاج و تحديد مكوناته و أشكاله التي تختلف من مدونة لأخرى بحسب طبيعة المادة المعالجة ، وذلك من حيث شكل البناء ، ومن حيث طبيعة الحوار المعتمد فيه أثناء التخاطب ، مع التركيز على أهم مكوناته المتمثلة في الدعامة لما لها من دور في عملية الإقناع . هذا الأخير- الإقناع- هو محاولة واعية من المتكلم المحاجج التأثير في المتلقي، باعتداده إستراتيجية محددة أثناء الحجاج ، تدفع بالمتلقي إلى فعل معين ، ولن يتأتى ذلك إلا بانتخاب وسائل وتقنيات تتعلق في مجملها بمقاصد الخطاب وبالمتكلم المحاجج ، وبدور المستمع المتلقي ، وباللغة المستعملة في عملية التخاطب ، التي تركز أساسا في بناء الحجاج على الجوانب المنطقية و النفسية و اللسانية و البلاغية كذلك.

ثم ختمنا هذا البحث برصد أهم النتائج المتوصل إليها ، هذا وقد اعتمد البحث في بناء مساره على المنهج التداولي، بوصفه مستوى إجرائي يبحث في علاقة العلامات بمؤوليتها ، و يعنى بدراسة مقاصد المرسل ، و كيفية تبليغه لها في مستوى يتجاوز مستوى دلالة القول الحرفية ، كما يهتم بكيفية توظيف المرسل للمستويات اللغوية المخالفة ، مما يجعل خطابه موثما للسياق الوارد فيه ، وللغاية التي من أجلها أنشئ .

وقد استعنا بمجموعة من المصادر و المراجع : التراثي منها : كالبيان و التبيين للجاحظ، ومفتاح العلوم للسكاكي ، و أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، وأما المعاصر : كالمقاربة التداولية لفرانسواز أرمينيكو، و التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي ، واستراتيجيات الخطاب_مقاربة لغوية تداولية_ لعبد الهادي بن ظافر الشهري، وتحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية لعمر بلخير ، ولسانيات التلفظ و تداولية الخطاب لذهبية حمو الحاج ، كما لا ننسى جهود الرائد في التداولية الباحث طه عبد الرحمن في مؤلفاته : اللسان و الميزان ، و التواصل و الحجاج وغيرها ، كما استعنت ببعض المراجع المتخصصة في السرد و تحليل الخطاب مثل : الخبر في السرد العربي لسعيد جبار ، بنية النص السردي لحמיד حميداني ، الحكاية و التأويل لعبد الفتاح كيليطو، المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب لدومينيك مانغونو ، و معجم تحليل الخطاب لمانغونو. جمعية باتريك شارودو و غيره . كما استفدت و بشكل كبير من كتاب : جذور المكيافيلية في كليلة ودمنة لمصطفى سبيتي ، فقد أعانني في التحليل لتصنيفه الوحدات الدلالية بشكل دقيق ، فلمؤلفه منا الشكر و التقدير ، كما اطلعت على دراسة سابقة اتخذت من كليلة و دمنة مجالا تطبيقيا لها و الموسومة بـ : "السياق التداولي في كليلة و دمنة لابن المقفع" ، وهي مذكرة ماجستير مقدمة من طرف الطالبة حبي حكيمة و إشراف الدكتورة آمنة بلعلي من جامعة مولود معمري بتيزي وزو .

أمّا عن الصعوبات أو العوائق فقد واجهت ندرة في المراجع التي تتناول الخطابات السردية بتطبيق المنهج التداولي عليها، إضافة إلى ندرة المراجع التي اهتمت بتحليل كتاب كليلة و دمنة باستحكام آليات الدراسات الحديثة، الأمر الذي جعلني اعتمد على المصدر بشكل كبير جدا .

وكما أشرنا من قبل فإنّ لا عمل يخلو من متاعب و مصاعب ، إلّا أن عزاءنا الوحيد هو هذا الجهد ، و هو جهد المقلّ ، وحسبُه أنّه حظي بشرف دراسة هذا الموضوع ، على أمل أن يتوفر له مستقبلا جهد أوفر لتوسيع ما أسفرت عنه هاته المحاولة .

لا يسعني و قد منّ الله عليّ بتمام هذا البحث إلا أن أقدم الشكر والعرفان لسريرة الأستاذ الدكتور الجودي مرداسي الذي شرفني بقبول الإشراف أولا، وتحمل عناء المتابعة والتوجيه ثانيا، وكل ذلك بنفس صبورة لا أثر فيها للملل والضجر، فكان نعم المشرف والمرشد طيلة عمر البحث .

وفي الختام أسأل الله -مخلصة- أن أكون بعملي قد وضعت لبنة في هذا المجال العلمي، فإن ألك قاربت السداد فبتوفيق من الله وعونه، وإن تكن الأخرى فالخير أردت، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

مدخل

بي-بلي-و-غ-ر-ا-ف-ي-د
ا-الع-ن-ذ-و-ان

توطئة

× مفهوم الخطاب:

1- في الثقافة العربية

2- في الثقافة الغربية .

× الحد بين النص و الخطاب .

× الخطاب الأدبي - السردى.

× قوانين الخطاب

× التداولية: المفهوم و الإجراء.

توطئة

× التداولية : مرجعيتها الفلسفية و اللسانية .

× درجات التداولية .

لقد باتت تشابك العلوم و تداخل مجالاتها البحثية سمة الدرس المعرفي الحديث، فالعلوم في اقتربها من حقيقة الظاهرة المدروسة تفتح أمامها فضاءات أخرى للبحث، قد تكون متصلة أو متشابكة مع غيرها، فتزيد وقتئذ إشكالية البحث تشعباً أو غموضاً .

كذلك أصبح مجال تحليل الخطاب اليوم نقطة التقاء وتقاطع العديد من المعارف والعلوم كعلوم اللغة ، و الاجتماع ، و السياسة، والفلسفة، والتاريخ، والأدب، والإحصاء، والرياضيات، فضلاً عن علوم الإعلام، ووسائل الاتصال، والدراسات الثقافية و الأدبية، وغيرها، فلم تعد لهذا المجال حدوداً تفصله عن هذه الدوائر المعرفية المتباينة، الأمر الذي «جعله متعدد المستويات، عميق البنى... فهناك الخطاب الشعري، والخطاب السردى، و الخطاب النقدي، وحتى خارج مجال الأدب هناك الخطاب الديني، والخطاب السياسي، والخطاب التاريخي، هذا ما يسمح بأن تقوم نظرية عامة تهتم بدراسة الصلات الموجودة بين أنواع الخطاب داخل الجنس الواحد، وحتى في ما بينها و بين خطابات أخرى»⁽¹⁾

وعلى هذا الأساس اكتسبت كلمة **خطاب** عدة دلالات لها علاقة بما يدور في المشهد الثقافي المعاصر، كما أن هذه الكلمة (**خطاب**) «أصبحت متداولة بكثرة في الأوساط الثقافية العربية، وتؤدي معان لم تكن معروفة في اللغة العربية، رغم أنها كلمة قديمة»⁽²⁾، لكن الاهتمام المتزايد بها جعلها مصطلحاً مهماً، يندرج ضمن فئة المصطلحات المعربة أو الدخيلة، والتي « تشير حقوقها الدلالية إلى معان وافدة ، ليست من قبيل الانبثاق الذاتي في الثقافة العربية »⁽³⁾. وقد أثار تحديد مفهوم الخطاب اهتمام المشتغلين في حقل النقد و تحليل الخطاب، في الثقافتين العربية و الغربية، ولعل خير دليل على ذلك كثرة المؤلفات في هذا المجال .

x مفهوم الخطاب :

1- في الثقافة العربية :

يعد مصطلح **الخطاب Discours** من المصطلحات التي ارتبط ظهورها في الثقافة العربية بحقل علم الأصول، هذا الحقل_ نتيجة التطور الحضاري_ أصبح بمثابة الدائرة التي تمحورت حولها القراءات الخاصة بالثقافة

(1) عبد السلام المسدي، النقد و الحدائث، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1983، ص33.

(2) جابر عصفور ، خطاب الخطاب ، آفاق العصر ، ص 47 ، نقلاً عن : عليمه قادري ، التداولية و صيغ الخطاب من اللغة إلى الفعل التواصلية ، الملتقى الدولي الخامس " السيمياء و النص الأدبي " ، 17 و 18 نوفمبر 2008 ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ص599.

(3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

العربية، فكانت المصطلحات التي تركز عليها في دراستها متأثرة به⁽¹⁾، وما الخطاب إلا أحد أبرز النماذج الدالة على الأثر الذي تركته الأصول في توجيه المصطلح⁽²⁾، وقد ورد مصطلح الخطاب في المعجم العربي، وفي القرآن الكريم بمعنى "الكلام".

فالخطاب لغة: من خطب فلان إلى فلان فخطبه أو أخطبه؛ أي أجابه، و الخطاب و المخاطبة : مراجعة الكلام و قد خاطبه بالكلام مخاطبة، و هما يتخاطبان و الخطب : سبب الأمر...⁽³⁾، وجاء فيه أيضا : الخطاب مادة لغوية على وزن فعال مشتقة بالتحويل عن الفعل الثلاثي خطب و منه خطب و جمعه خطوب : الأمر أو الشأن⁽⁴⁾، و جاء في كتاب الله قوله تعالى : ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [سورة ص آية 20] ، يقول الزمخشري : «إن فصل الخطاب في الآية إنما هو البين من الكلام الملخص، الذي يتبينه من يخاطب به، و لا يلتبس عليه»⁽⁵⁾؛ أي أنه كلام واضح لا يعتريه أي غموض أو لبس، و لا يقبل التأويل، كما وردت في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [سورة ص آية 23] ، و قال أيضا : ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [سورة النبا آية 37] وجاء بمعنى الأمر و الشأن، وسمي كذلك لأنه الشأن الذي يكون فيه التخاطب و تبادل أطراف الحديث ، قال تعالى : ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [سورة الحجر آية 57] ، إذ جريا على الأصل يفترض الكلام أكثر من طرف .

فإذا ما ولينا وجهة البحث عن مفهوم "الخطاب" في التراث النقدي العربي القديم لا نكاد نظفر بتعريف محدد مباشر، ذلك أن النقاد لم يتداولوا بينهم هذا المصطلح، وإنما تحدثوا عن القصيدة، معتمدين في ذلك على معيار كمي معين، إلا أننا نلمح في مؤلفات الزمخشري و الزركشي ربطا للخطاب باللغة الفنية، لغة التعبير الأولي و المواجهة بالكلام ، فحصر مفهومه في «الكلام أو المقال، وعد كيانا أفرزته علاقات معينة ، بموجبها التأمّت أجزاءه، و قد تولد عن ذلك تيار يعرف الملفوظ الأدبي بكونه جهازا خاصا من القيم، طالما أنه محيط ألسني مستقل بذاته، وهو ما أفضى إلى القول بأن الأثر الأدبي بنية ألسنية تتجاوز مع السياق المضموني تجاوزا خاصا»⁽⁶⁾.

وأما في النقد العربي الحديث فنقف على إسهامات أهم النقاد في مجال تحليل الخطاب، فيصفه عبد المالك مرتاض بأنه «نسج من الألفاظ، و النسج مظهر من النظام الكلامي، الذي يتخذ له خصائص لسانية تميزه عن

(1) عبد الغني بارة ، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر _ مقارنة حوارية في الأصول المعرفية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، 2005 ، ص 329 .

(2) عبد الله إبراهيم ، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، تداخل الأنساق و المفاهيم و رهانات العولمة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1، 1999، ص 98، 99.

(3) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : خطب ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1955 ، 361/1 .

(4) المرجع نفسه ، ص 360 .

(5) جار الله الزمخشري ، الكشف عن حقائق التبريل و عيون الأفاويل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1987 ، مج 4 ص 80 ، نقلا عن : عبد الله إبراهيم ، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، ص 99 .

(6) عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط2 ، 1982، ص 110 .

سواه»⁽¹⁾، أما **يمنى العيد** فتجعل الخطاب نوعان «الأول يندرج تحت نظام اللغة و قوانينها، وهو النص الأدبي، و يخرج الثاني من اللغة ليندرج تحت سياق العلاقات الاجتماعية، و يضطلع بمهمة توصيل الرسالة الجديدة، وهو الخطاب»⁽²⁾، في حين يورد **محمد مفتاح** تعريفا للنص أقرب إلى مفهوم الخطاب، فهو يجمع بين عدة تصورات للنص نظرا للوظائف التي يؤديها ، فالنص «مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة :

آ مدونة كلامية : يعني أنه مؤلف من الكلام ، و ليس صورا فوتوغرافية ، أو رسما أو عمارة أو زيا ... و إن كان الدارس يستعين برسم الكتابة و فضائها و هندستها في التحليل .

Ã حدث: يقع في زمان و مكان معينين، لا يعيد نفسه إعادة مطلقة، مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي.

Ã تواصل: يهدف إلى توصيل معلومات و معارف و نقل تجارب إلى المتلقي .

Ã تفاعلي: بإقامة علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع و المحافظة عليها.

Ã مغلق : بانغلاق ستمته الأيقونية التي لها بداية و نهاية ، و لكنه من الناحية المعنوية :

Ã توليدي: فالحدث اللغوي ليس منبثقا من عدم، و إنما هو متولد من أحداث تاريخية و نفسية و لغوية... و تتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له »⁽³⁾.

2_ في الثقافة الغربية :

أصبح الخطاب في العصر الحديث مجال اهتمام الفلاسفة و المفكرين الغربيين، من أبرزهم **ميشال فوكو** (M.Foucault)⁽⁴⁾، الذي يرى أن الهدف المتوخى من دراسة الخطاب هو إثبات تميزه عن غيره، في محاولة البحث عن مدى إحكام نسيجه المترابط، فلا بد من درس الخطاب دون تعديته للعناصر الخارجية الداخلة في تشكيله، مما يجعله لا يحيل على أي مرجع أو مركز إحصائي؛ بل إن «النظام الداخلي لهذا الخطاب هو الذي يقوم بعملية التأطير، فيكون معجما بذاته مكتفيا بالصلات التي تربطه مع غيره من الأنظمة و الأنساق، فيكون الخطاب انطلاقا من هذا الأفق ممثلا لغويا للبنية الثقافية للحقبة التي أنتج فيها»⁽⁵⁾.

وقد انطلق **فوكو** في تعريفه للخطاب من تحديد جملة شروط إذا توفرت سَهِّل إبراز ما يكون منظوقا فيه، أي ذلك المجموع أو الكل الذي يوجد فيه المنظوق، فلا تظهر فرادته إلا ضمن إطار هذا الكل، ليصل الخطاب إلى التشكل انطلاقا من انتظام المنظوق داخل ذلك الكل، الذي يعد بمثابة التشكيلة الخطابية⁽⁶⁾.

(1) عبد المالك مرتاض ، بنية الخطاب الشعري ، دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية للشاعر عبد العزيز المقالح ، دار الحداثة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1، 1986، ص 53 .

(2) رابع بوحوش ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ، منشورات باجي مختار ، عناية ، دت ، دط، ص 90.

(3) محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) ، دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ، 1985 ، ص 120.

(4) ميشال فوكو (1926 - 1984) فيلسوف فرنسي، يعد من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، توصف أعماله من قبل النقاد بأنها تنتمي إلى "ما بعد الحداثة" أو "ما بعد النبوية"، على أنه في الستينيات من القرن الماضي كان اسمه غالبا ما يرتبط بالحركة النبوية ، أهم مؤلفاته : تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي (1961) ، ولادة العبادة (1963) ، الكلمات والأشياء (1966) حفريات المعرفة (1969) ، نظام الخطاب (1971) ، المراقبة والمعاقبة (1975) ، تاريخ الجنسانية في 3 أجزاء (1984) . توفي عام 1984 .

(5) عبد الغني بارة ، إشكالية تأصيل الحداثة ، ص 331 ، 332.

(6) عبد الله إبراهيم ، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، ص 104 .

كما استند في دراسته على أساس المقارنة بين منهجين "تحليل الفكر و تحليل الخطاب"، إذ يرى بأن "تحليل الفكر" يسعى إلى استخراج الدلالة الخفية المتوارية خلف المعنى المجازي، وبذا فهو يبحث عما وراء الخطاب، و هدفه كشف: ماذا كان يقال وراء ما قيل فعلا ؛ أي كشف المسكوت عنه من خلال المقول فعلا. أمّا "تحليل الخطاب" فينظر إلى العبارة على أنها غاية في حد ذاتها ، مكتفية بذاتها ، مستغنية عن غيرها . لذا فالتحليل يتركز على العلاقات القائمة بين العبارات، و مدى الترابط الموجود بينها، وصولا إلى تحديد نظام الخطاب ككل. فيكون الهدف من تحليل الخطاب إبراز فرادته ، و مدى إحكام نسيجه ، الذي يعتمد على علاقات الترابط و النظام الداخلي كما سبق الذكر⁽¹⁾.

هكذا يبدو فوكو من مؤسسي البنيوية ، إذ تعنى حفريات المعرفة عنده بالخطاب بعيدا عن المؤثرات الخارجية ، التي ساهمت في تشكيله. كما لا تعد مبحثا تأويليا أو مجازيا ما دامت لا تسعى للكشف عن الدلالات المضمرّة القابعة خلفه ، كما أنها لا تهتم بضروب الاتصال التي تربط الخطابات بما يسبقها أو يحيطها و يلحقها من خطابات أخرى؛ بل تسعى إلى إبراز القواعد التي تستند إليها الخطابات، قصد الوقوف عند الفوارق و الاختلافات الموجودة بين صيغ الخطاب و مظاهره، مما يجعلها بعيدة عن الدراسات النفسية و الاجتماعية، التي تبذل قصارى جهدها في استكناه ما خفي من الدلالة داخل نص الخطاب .

بهذا يكون فوكو قد وضع اللبنة الأولى التي أسس بها سوسير اللسانيات الحديثة ، إذ يفضي البحث ، انطلاقا من مؤلفاته، إلى إلغاء تمثيل الكلمات للأشياء ، فتصبح الكلمات لا تعني شيئا، وإنما أصبحت لسان حالها، وهي ليست أكثر من ناقل أمين لمختلف الأشياء ، ليكون الخطاب عنده « ممارسات تكون و بكيفية منسقة الموضوعات التي نتكلم عنها ، و بطبيعة الحال لا خطابات بدون إشارات »⁽²⁾.

لقد توصل فوكو إلى أن الخطاب «هو ميدان التحليل، وهو ضرب من تضافر الإشارات، تكون اللغة فيه عنصرا تمثيلا بين عناصر اشارة أخرى»⁽³⁾، كما أن الأصل، بالنسبة إليه، هو الكلام المكتوب لا المنطوق يقول: « ما وضعه الله في العالم هو الكلمات المكتوبة، عندما فرض آدم على الحيوانات أسماءها الأولى، لم يفعل سوى أن قرأ العلامات المرئية الصامتة، وقد عهد الشريعة إلى ألواح مكتوبة، لا إلى ذاكرة البشر، والكلمة الحقّة يجب العثور عليها في كتاب»⁽⁴⁾، فقد حلّ الكتاب عنده محل الذاكرة ، وحلّ الخطاب محل الإنسان ، وسبق المنطوق دوما المكتوب.

كذلك استقطب مصطلح الخطاب اهتمام الألسنيين الغرب، إلا أنه واجه إشكالات عدة، ومن أهم تلك الإشكالات المطروحة إشكالية ضبط حدوده ، فقد « أصبحت مشكلة الخطاب من خلال علم اللغة مشكلة

(1) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(2) ميشال فوكو ، حفريات المعرفة ، تر : سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، 1986 ، ص 47 .

(3) عبد الله إبراهيم ، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، ص 107 .

(4) ميشال فوكو ، الكلمات و الأشياء ، تر : مطاع صفدي و آخرون ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، 1990 ، ص 55 .

حقيقية» كما يقول بول ريكور⁽¹⁾، فقد وقفت اللسانيات الوصفية ، كما هو معلوم ، عند حدود الجملة لا تتعدها،على اعتبار أنها الوحدة الأكبر القابلة للوصف،وقد كانت مصب اهتمام نحائنا العرب ، كما كانت محور اهتمام المدارس الوصفية و التحويلية التوليدية فيما يعرف بنحو الجملة.

والجملة من منظور اللسانيات ليست مجرد سلسلة من الكلمات تتتابع أفقيا فحسب؛بل هي نظام،لذلك فإن الخطاب، من وجهة نظر لسانية، لا يتضمن شيئا إلا و يوجد في الجملة. يرى مارتيني «أنها المقطع الأكثر صغرا،وأما هي التي تمثل الخطاب تمثيلا تاما»⁽²⁾،و مبررهم في ذلك أن ما وراء الجملة ليس سوى جمل أخرى،تبنى وفق القواعد نفسها التي تفرضها اللغة، فليس ثمة ما يستدعي الانشغال بما وراءها.

ولما كانت الجملة في اللسانيات هي الوحدة الأكبر التي يطالها الوصف، فذلك معناه أنها تتضمن وحدات صغرى تخضع للوصف بالضرورة،فالكلمة الواحدة تتضمن وحدات أصغر هي المورفيمات،وهو ما يسمح بتصنيف تلك الوحدات إلى درجات (الجملة / الكلمة / المورفيم)، ومنه يمكن القول: إن درجات الوحدة العليا مركبة من وحدات الدرجة السفلى ، وأن وحدات الدرجة العليا يمكن تحليلها إلى وحدات الدرجة السفلى⁽³⁾.

إن اهتمام الباحثين الألسنيين بالجملة ، و دعوتهم لعدم تخطي حدودها مرده ،حسب رأيهم ، إلى ما يؤديه تجاوزها من اضطراب في المصطلحات و المفاهيم،بدء من التسمية التي ستأخذها" الوحدة "خارج حدود الجملة،والتي هي عند بعض الدارسين المفلوظ،و عند آخرين الخطاب ، أو قد تعني النص⁽⁴⁾. لكن هذا الطرح اللساني الداعي إلى استقلالية الجملة لم يقنع الباحثين في مجال تحليل الخطاب،أمثال ج ب براون (G.Brown) ،وج يول (G.Yule)، لذلك عمدا إلى تبني التقسيم الثاني ، الذي وضعه جون ليونز للجملة،و المتمثل في :

× «جملة نظام :وهي عنده بعض شكل الجملة المجرد،الذي يولد جميع الجمل الممكنة و المقبولة في نحو لغة ما»⁽⁵⁾،و هذا ما يجعل الجملة أكثر استقلالية.

× «جملة نصية:و يعني بذلك الجملة المنجزة فعلا في المقام»⁽⁶⁾،وهي تتسم بالتواصل مع جملة أخرى يحتويها نص ما...هذا النوع من الجمل لا يفهم إلا بإدماجه في نظام الجمل⁽⁷⁾.

(1) بول ريكور ، نظرية التأويل (الخطاب و فائض المعنى) ، تر : سعيد الغامي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2003 ، ص 24 .

(2) رولان بارت ، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ، تر: منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، دط ، 1993 ، ص 30.

(3) سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، دط ، 1989 ، ص 16

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) الأزهر زناد ، نسيج النص ، بحث فيما يكون به المفلوظ نصا ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1993 ، ص 14 .

(6) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(7) أحمد عفيفي ، نحو النص ، إتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط1 ، 2001 ، ص 18 .

وقد ورد في كتابهما "تحليل الخطاب" قولهما: «سنستعمل مصطلح الجملة عامة، بمعنى "الجملة النصية" لا بمعنى "الجملة النظامية"»⁽¹⁾. كذلك ظهرت اتجاهات في الغرب تنادي بضرورة تجاوز حدود الجملة في الدراسة، ولعله «التحول الأساس الذي أخرج اللسانيات نهائيا من مأزق الدراسات البنيوية و التركيبية، التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية: البنيوي، الدلالي، والتداولي»⁽²⁾.

ويعد البحث الذي نشره زليغ هاريس (Z.Haris) عام 1952 بعنوان "تحليل الخطاب" المحاولة الأولى نحو توسيع البحث اللساني، بجعله يتعدى حدود الجملة إلى الخطاب. بمعناه الأوسع، يقول: «إن اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة؛ بل في نص متماسك»⁽³⁾. وقد حاول بذلك الوصول إلى وصف بنيوي للنصوص، مع تجاوز لما أرسته الدراسات اللغوية الوصفية و السلوكية إلى الاعتماد على ركيزتين أساسيتين في تحليل الخطاب، هما:

1- العلاقات التوزيعية بين الجمل .

2- الربط بين اللغة و الموقف الاجتماعي⁽⁴⁾.

يسعى هاريس إلى تحليل الخطاب انطلاقا من التصورات و الأدوات التي تحلل بها الجملة، فيصف الخطاب «بأنه ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نطل في مجال لساني محض»⁽⁵⁾.

هكذا عدّ هاريس الخطاب توليفا من الجمل، كما يتموضع الخطاب عنده وفقا للسلمية البنيوية للعناصر اللغوية مباشرة بعد الجملة، بدء بالفونيم، ثم المقطع، ثم المونيم، ثم المورفيم، فالجملة، ثم النص المؤلف . ويلتقي معه في فكرة التسلسل و التابع جون كارون (J. Caron)، إذ يعرف الخطاب بأنه: «متتالية منسجمة من الملفوظات»⁽⁶⁾.

كما نظر هاريس إلى الخطاب انطلاقا من نمط العلاقة التي يقيمها مع النحو، إذ يسعى إلى « وصف الوحدات اللسانية و تحديدها في لسان ما في شكل أقسام أو فئات نحوية، بعد استخراجها من المدونة »⁽⁷⁾، وبالتالي عدّ الخطاب نموذجا من النحو، وعلاقته به كعلاقة الجزء بالكل. كما تجاوز التوزيعيون النظرة التقطيعية للخطاب، إلى نمط من العلاقات الاستبدالية و العلاقات التركيبية، وذلك بإدراج مفهوم "التحويل" بين الخطاطات التركيبية للجملة في إطار تحليل الخطاب .

(1) براون و يول ، تحليل الخطاب ، تر : محمد لطفي الزليطي و منير التركي ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، دط ، 1997 ، ص 24 .

(2) حولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصة للنشر ، حيدرة ، الجزائر ، دط ، 2000 ، ص 167 .

(3) فولفجانج هانيه منه و ديتير فيهيفجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، تر : صالح فاتح الشايب ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، دط ، 1997 ، ص 21 .

(4) جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، دط ، 1998 ، ص 65 .

(5) سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، ص 24 .

(6) الطيب دبة ، مبادئ في اللسانيات البنيوية ، دراسة تحليلية استمولوجية ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، دط ، 2001 ، ص 152 .

(7) ربيعة العربي، الحد بين النص و الخطاب ، مجلة علامات، العدد 33 ، المغرب ، 2010 ، ص 36 .

واللافت للنظر أن هاريس عد الخطاب متوالية جمل أو قضايا ذات بعد ثقافي، بوصفه يحيل على معطيات غير لغوية، فقد ألح على العلاقات الضمنية القائمة بين الخطاب و السلوك الثقافي، لكنه يبقى تحليلًا صوريًا محايدًا، تدرس بموجبه قواعد اللغة دون ربطها بالمعنى أو السياق. و يحمل القول، ههنا، أن التحليل البنيوي يسمح بتجاوز مستوى البنية ، لكن بدون بلوغ مستوى الخطاب، الذي هو تحديدًا مجال يلتقي فيه البعد الاجتماعي بالبعد الذاتي⁽¹⁾.

لقد تطور مجال تحليل الخطاب تطورًا ملحوظًا في فرنسا، بتأثير من هاريس نفسه، إذ ظهر اتجاه عرف بـ "لسانيات النص"، أو (لسانيات ما وراء الجملة)⁽²⁾، وهو الاتجاه الذي يتخذ النص كله وحدة للتحليل، ولعل أبرز رواده :

- ايزنبرغ (Eisenberg) اهتم بالبحث عن الأدوات التي تنظم علاقات الجمل بعضها ببعض، كالضمائر، وأدوات التعريف، والاقتراح بعلائق سببية أو فائية، أو أي علاقات أخرى⁽³⁾.

- هارفيج (Harvey): الذي قدم نموذج استبدال تتحرك فيه العناصر على المستوى الأفقي، وغلب عليه إدراك النص وظيفيًا، ثم أدخل فيما بعد جوانب نصية كبرى للوصول إلى العلاقات الدلالية - التداولية⁽⁴⁾.

- فان دايك (Dyke): قدم عدة نماذج و دراسات حول النص، وصفا و تفسيرًا، وقد اعتمد فيها على عناصر غير لغوية، أدخل فيها مكونات نفسية و منطقية - دلالية، واتصالية تداولية، إلى جانب المكونات التحويلية و الدلالية - التداولية⁽⁵⁾.

كذلك تبلور مفهوم الخطاب مع رولان بارت ليأخذ معنى الجملة الكبيرة، والتي ليس بالضرورة عنده أن تكون وحدتها محض جمل، وإنما المقصود بالجملة الكبيرة نظام الوحدات التي تشكل الخطأ، مثلما لأية جملة وحدتها الصغرى التي تشكلها⁽⁶⁾، فللخطاب وحداته و قوانينه و نظامه القاعدي... و من ثم وجب أن يكون للخطاب موضوع لسانيات أخرى، مكانها ما بعد الجملة، حتى و لو كان الخطاب ذاته مؤلفًا من جمل فقط⁽⁷⁾.

هذا التصور قاد بارت إلى اعتبار القصة جملة كبيرة، شأنها في ذلك شأن أي جملة، فالقصة تشارك بنيويًا في الجملة⁽⁸⁾، غير أنها لا تستطيع مطلقًا أن تحتل نفسها إلى مجموعة من الجمل، كما أن قراءتها لا تعني الانتقال من كلمة إلى أخرى؛ بل الانتقال من مستوى إلى آخر⁽⁹⁾.

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

(2) روبرت دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء، تر: تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1998 ، ص 65 .

(3) إبراهيم خليل ، في اللسانيات و نحو النص ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2007 ، ص 187 .

(4) سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص ، المفاهيم و الاتجاهات ، الشركة المصرية لو نجمان ، الجيزة ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط 1 ، 1997 ، ص 94 .

(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) رولان بارت ، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ، ص 32 .

(7) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(8) المرجع نفسه ، ص 33 .

(9) المرجع نفسه ، ص 37 .

نجد بارت يتفق مع هاريس في أن حدود الخطاب ينبغي أن لا تبقى رهينة الجملة، إذ « أن اللسانيات إذ تتوقف عند حدود الجملة، فإننا نجد أن تحليل القصة يتوقف عند حدود الخطاب، ولذا يجب أن نتجاوز بعد ذلك إلى علم آخر للإشارة »⁽¹⁾.

إنَّ جُلَّ التيارات تتفق على أهمية الخطاب في أداء أغراض اجتماعية و مؤسساتية تتعدى الجملة، فأصبح الخطاب من القضايا الأساسية التي تهم اللسانيات في عصرنا .

x الحد بين النص و الخطاب

إنه على الرغم من تخطي الجملة في الدراسات اللغوية و النقدية في مجال تحليل الخطاب، إلا أن هذا لم يكف لدفع الغموض الذي اكتنف مفهوم الخطاب، خاصة بعد طرح إشكال التداخل الحاصل بينه و بين بعض المفاهيم، التي تقاربه في الوظيفة، مثل: الكتابة و العمل الأدبي و القراءة و النص، هذا الأخير يعد أكثرها تداخلا مع الخطاب.

يرى قريماس (Greimas) وكورتيس (Cortés) أن النص يرتبط بالكتابي التشكيلي، والخطاب بالشفوي الصوتي، حيث يقولان: إن النص بوصفه ملفوظا فهو يتعارض مع الخطاب، وذلك تبعا لمضمون التعبير (غرافيكي أو صوتي) المستعمل بغرض إظهار الإجراء اللساني، وحسب بعض علماء اللسانيات مثل رومان ياكبسون فإن التعبير الشفوي، وبالتالي الخطاب هو الحدث الأول للكتابة، التي تصبح مجرد مشتق و ترجمة للتحلي الشفوي⁽²⁾.

هذا ويورد قريماس ملاحظة هامة حول التداخل المفهومي بين المصطلحين، يقول: « إن كلمة نص غالبا ما تأتي مرادفة لكلمة خطاب، خاصة أثناء التفسير المفهومي في اللغات الطبيعية، التي لا تمتلك مقابلا لكلمة الخطاب (الفرنسية و الانجليزية مثلا)، وفي هذه الحال فإن السيميائيات، الامة لا تتألف من الأما . س . سيميائيات الخطاب »⁽³⁾.

ويرى محمد عابد الجابري أن للنص و الخطاب مفهوما واحدا، يقول: « النص رسالة من الكاتب إلى القارئ، فهو خطاب... الخطاب باعتباره مقول الكاتب... فهو بناء من الأفكار يحمل وجهة نظر... فالخطاب من هذه الزاوية يعبر عن فكرة صاحبه، فهو يعكس أيضا مدى قدرته على البناء »⁽⁴⁾.

في حين يميز فان دايلك تمييزا دقيقا بين النص و الخطاب؛ إذ يرى « أن الخطاب هو عملية الإنتاج الشفوية ونتيجتها الملموسة، أما النص فهو مجموع البنيات الآلية التي تحكم هذا الخطاب، وبتعبير آخر فإن الخطاب

(1) المرجع نفسه ، ص 76 .

(1) Dictionnaire raisonné des sciences du langage. : Greimas (A J) et Courtes (J) : Sémiotique Hachette ; p 389

نقلا عن : قادري عليمه ، التداولية و صيغ الخطاب من اللغة إلى الفعل التواصل ، ص 600
(2) ibid , p 390 نقلا عن : المرجع السابق ، الصفحة نفسها.
(4) محمد عابد الجابري ، الخطاب العربي المعاصر ، دراسة تحليلية نقدية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط 5 ، 1994 ، ص 8 .

ملفوظ (أو تلفظ) ذو طبيعة شفوية لها خصائص نصية، بينما النص هو الشيء المجرد و الافتراضي الناتج عن لغتنا العلمية»⁽¹⁾.

ويعد المعيار الأكثر أهمية عند دايك هو خاصية التماسك أو الانسجام، هذا المفهوم «أخذه من أصحاب الاتجاه المعروف بالنحو الوظيفي عند هاليداي و رقية حسن... هذه الخاصية التي يطلق عليها العلماء البريطانيون اسم: النصية»⁽²⁾، والتي يوجد لها مبدأ التماسك، القائم على التابع المنظم و التضافر المقنن لوحداث النص الصغرى، إذ ينظر إليه على أنه «بنية شمولية لبني داخلية، من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السياق إلى النص، ثم إلى النصوص الأخرى»⁽³⁾.

وعلى العموم يرى فان دايك أنه في معظم الحالات لا بد من توفر معايير نصية أو سياقية، تجعلنا متيقنين أننا بإزاء نص، منها وجود بداية للنص و نهاية، سواء تعلق الأمر بنص مكتوب أو شفوي، و بتوفر مبدأ التماسك و الوحدة يقترب مفهومه عند الكثير من الدارسين لمفهوم الخطاب، إذ يرى بول ريكور «أن النص يعني الخطاب مسطوراً و منمقا على السواء»⁽⁴⁾. هذه الصفة-التمثيق-الملازمة لهيئة الخطاب و شكله لن تكون سوى وظيفة التأثير في المتلقي، باعتبار النص أو الخطاب رسالة موجهة بالضرورة إلى متلق (مستمع أو قارئ)، بغض النظر عن طبيعة مادة تلك الرسالة، وهو ما يراه بنفست (E. Benveniste)، إذ يعرف الخطاب بأنه «الملفوظ منظوراً إليه من وجهات آليات و عمليات اشتغاله في التواصل»⁽⁵⁾، ويعني بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم... هذا الفعل هو عملية التلفظ، ويضيف: «إنه كل تلفظ يفترض متكلماً و مستمعا، حيث يسعى الأول إلى التأثير في الثاني بكيفية ما»⁽⁶⁾.

نستنتج مما سبق أن الخطاب ألصق بالظاهرة الكلامية، التي ترتبط بالفرد، والذي يسعى إلى إفهام مخاطبه و التأثير فيه، قصد إقناعه و الوصول به إلى مرتبة اليقين. و لكي «تكون الرسالة فاعلة فإنها تقتضي سياقاً تحيل عليه، وبعد ذلك سننا مشتركا، كلياً أو جزئياً، بين المرسل و المرسل إليه، يسمح بإقامة التواصل والحفاظ عليه»⁽⁷⁾.

إن أول من وضع مخططاً لعملية التواصل هو رومان جاكسون (R. Jakobson)، ويتألف هذا المخطط من ستة عوامل هي: المرسل، والرسالة، و المرسل إليه، والسنن، و المرجع، والقناة، حيث يولد كل عامل من

(1) قادري عليم، التداولية و صيغ الخطاب، من اللغة إلى الفعل التواصل، ص 600.

(2) أنور المرتضى، سيميائية النص الأدبي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دط، 1987، ص 87.

(3) عبد الله الغدامي، الخطبة و التكفير، من النبوية إلى التشريعية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 4، 1998، ص 90.

(4) بول ريكور، نظرية التأويل (الخطاب و فائض المعنى)، ص 66.

(5) إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية، دار الآفاق، الجزائر، ط 1، 1999، ص 10.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(7) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

هذه العوامل وظيفية لسانية مختلفة، كما لا تتحقق الرسالة اللغوية إلا من خلال تحليل الوظائف الست التي تتحكم في عملية التخاطب « فاللغة يجب أن تدرس في كل تنوع وظائفها »⁽¹⁾.

كل هذا يوسع من مفهوم الخطاب و يجعله موضوعا « لا تعنى به اللسانيات المحضة، وإنما نظرية الاتصال، و السيميولوجيا، ونظرية التلقي أيضا ، مما يدل على تعدد المستويات التي ينطوي عليها الخطاب، تبعا لتوجيه النظر إلى مستوى ما فيه »⁽²⁾.

x الخطاب الأدبي _ السردى

لم يبق الخطاب حبيس الرؤية التي وضعها اللسانيون ، والمتمثلة في كونه مجموعة جمل أو ملفوظات، بل تجاوزها ليصبح « خطابا إشاريا »⁽³⁾، إذ نشأ من هدم اللغة العادية، ليسي على أنقاضها لغة أدبية، ذلك أن استعمال الكلمات في طبيعتها القبلية القاموسية قد يكون بعيدا كل البعد عن اللغة الأدبية .

فالخطاب وفقا لهذا « صياغة مقصورة لذاتها ، وصورة ذلك أن لغة الأدب تتميز عن لغة الخطاب العادي بمعطى جوهري، فبينما ينشأ الكلام العادي من مجموعة انعكاسات مكتسبة بالمران و الملكة، نرى الخطاب صوغ للغة عن وعي و إدراك، إذ ليست اللغة فيه مجرد قناة عبور للدلالات، إنما هي غاية تستوقفنا لذاتها، و بينما يكون الخطاب العادي شفافا نرى من خلاله معناه و لا نكاد نراه في ذاته، نجد الخطاب الأدبي على عكسه ثخنا غير شفاف، يستوقفنا هو نفسه قبل أن يمكننا اختراقه. فالخطاب العادي منفذ بلوري لا يقوم حاجزا أشعة البصر، بينما الخطاب الأدبي حاجز بلوري، طلي صورا أو نقوشا و ألوانا تصد أشعة البصر عن اختراقاته »⁽⁴⁾، ليكون الخطاب الأدبي، انطلاقا من هذا التصور، خطابا هادفا متصاعدا نحو غاية معينة، بعيدا عن رتبة اللغة عكس الخطاب اليومي، الذي هو خطاب وسيلة لا غير.

إن هذه المقارنة الواضحة بين الخطابين العادي و الأدبي تسهم في إضاءة مفهوم الأدبية، التي تعني « الخصائص النوعية للأدب، هذه الخصائص لا يمكن البحث عنها إلا من خلال الخطاب »⁽⁵⁾، فمن المؤكد أن هذا الاسم و ما جرى مجراه « استعمل للدلالة على كلام يبعث اللذة ، أو يثير الاهتمام لدى سامعه أو قارئه ... و بناء على ذلك فهو قول أكثر صناعة من الكلام العادي »⁽⁶⁾.

يعتمد كذلك جبرار جونييت (J. Jeunette) في تعريفه للخطاب الحكائي على آراء بنفست كباحث لساني ، لتطبيقها على مفهوم البويطيقا، و على العموم فقد استفادت الدراسات الأدبية من البحوث اللسانية و

(1) الطاهر بومزير ، التواصل اللساني و الشعرية ، مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون ، الدار العربية للعلوم - ناشرون ، بيروت ، منشورات الجزائر ، ط 1 ، 2007 ، ص 13 .

(2) عبد الله إبراهيم ، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، ص 109.

(3) عبد الغني بارة ، إشكالية تأصيل الحدائنة ، ص 335 ، وأنظر أيضا : عبد الله إبراهيم ، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، ص 109.

(4) عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، ص 112.

(5) سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، ص 14.

(6) ترفيتان تودوروف ، الشعرية ، تر: شكري المبخوت و رجاء بن سلامة ، سلسلة المعرفة الأدبية ، تونس ، ط 1 ، 1987، ص 10 .

النتائج التي توصلت إليها، والمناهج التي اتبعتها، ويتجلى هذا خاصة في سيطرة المصطلحات اللسانية على الدراسات الأدبية، مما فرض «منذ الشكلايين الروس تلازما وثيقا بين اللسانيات و الأدب»⁽¹⁾، الذين بحثوا في الأدب، و نادوا بعلم جديد هو أدبية الأدب، يقول ياكبسون: «إن موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب، وإنما الأدبية، أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا»⁽²⁾، حددت هذه البويطيقا الجديدة عند الشكلايين مفهوم الأدبية، أما البويطيقا المتجددة فضبطت هذا المفهوم الذي أصبح الخطاب الأدبي، وليس الأدب بوجه عام⁽³⁾.

كذلك يحدد جاكبسون وظائف عدة للخطاب الأدبي، كالوظيفة الانفعالية أو التعبيرية، والتي تركز على المرسل، و «تترع إلى التعبير عن عواطفه و مواقفه إزاء الموضوع المعبر عنه»⁽⁴⁾، كما تكشف عن رغبته في التأثير في المتلقي، أما الوظيفة البلاغية التأثيرية فتهدف إلى إفهام المتلقي مضمون الرسالة، أما الوظيفة المرجعية فتحيل إلى من سيفكك عناصر الرسالة، وتوضح الوظيفة المعجمية الشفرة بين المرسل و المرسل إليه، أما الوظيفة الانتباهية فتعمل على «تأكيد و استمرار التواصل بين الباث و المستقبل»⁽⁵⁾، أما الوظيفة الشعرية (الإنشائية) فتمثل جوهر الرسالة، كما تعد العنصر المهيمن على البنية، فلغة الخطاب الأدبي «قائمة على الانزياح و انحراف اللغة من مقامها العادي إلى مقام إيجائي، مما يحتم على أي مقارنة أن تأخذ احتياطاتها المنهجية أثناء تعاملها مع اللغة الشعرية، لكون الوظيفة الشعرية حسب جاكبسون تحتل مكانة كبرى»⁽⁶⁾.

إن الخطاب الأدبي هو الممارسة الأدبية شفوية كانت أو كتابية للغة، ممارسة تتقيد بقواعد و شروط فنية مختلفة، باختلاف الأنواع و الفنون الأدبية، و تتقيد أيضا بقيم جمالية، يتعارض عليها كل أمة تبعا لحضارتها و ثقافتها، ويكون تحليل الخطاب تبعا لذلك. هو استخلاص هذه الشروط الفنية؛ أي مكونات الأدبية في خطاب ما، عبر مستويات متعددة تندرج كلها ضمن وجهي الأثر الأدبي، هما الشكل و المضمون⁽⁷⁾.

وانطلاقا من ماهية الخطاب الأدبي يمكن توصيف **الخطاب السردى** بأنه «الطريقة التي تقدم بها المادة الحكائية في الرواية، وقد تكون المادة الحكائية واحدة؛ لكن ما يتغير هو الخطاب في محاولة كتابتها و نظمها، فلو أعطينا لمجموعة من الكتاب الروائيين مادة قابلة لأن تحكى، وحددنا لها سلفا شخصياتها، وأحداثها المركزية، وزمانها، وفضائها، لوجدناهم يقدمون لنا خطابات تختلف باختلاف اتجاهاتهم و مواقفهم، و إن كانت القصة التي يعالجون واحدة»⁽⁸⁾.

(1) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص 14.

(2) المرجع نفسه، ص 15.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب، ص 158.

(5) J. Dubois ; Dictionnaire de linguistique , Larousse , 1^{ère} édition , 1999 , p 205.

(6) أحمد يوسف، القراءة النسقية، سلطة البنية و وهم الحايثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2003، ص 132.

(7) إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، ص 219.

(8) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص 07.

وكبدية فإن البحث، هنا، لا يمكن أن يلتزم إلا بالتزام عنصرين أساسيين، وهما الحكاية و الخطاب ؛
فالْحكاية «توحي بواقع ما و بأحداث قد تكون وقعت و بشخصيات يتماثلون مع أشخاص حقيقيين»⁽¹⁾، أما
الخطاب فيتحدد بكيفية رواية الراوي للحكاية، وبتقبل القارئ لها، فأهم ما في الأمر ليس القول في حد ذاته؛ بل
كيفية القول، و تطلق تسمية "الحكي" أو "القص" «على كل خطاب يستحضر إلى الذهن عالما منظورا إليه
بكونه واقعا، ماديا، و معنويا، يقع في مكان و زمان محددين، ومقدما في أغلب الأحيان بتصور معين يمكن أن
يكون... منظور شخصية أو أكثر، ومنظور الراوي أيضا»⁽²⁾.

هكذا تنطوي المادة الحكائية على الحدث (الفعل)، الشخصية (الفاعل)، الزمن و المكان، والتي تعد المادة
الأصلية التي يتحقق بها العمل الحكائي، أو القاعدة الأساسية لها، من خلال ترابط تلك الدوافع الداخلية و
الأيدولوجية، وترابط تلك المكونات كتأسيسات أولى .

× الشخصية الحكائية :

إن الشخصية هي الحجر الأساس في أي عمل روائي، لدرجة أن صارت تقاس عظمة الراوي أحيانا
بقدرته على إبداع الشخصيات، لذا يقال أن «الروائي الحقيقي هو الذي يخلق الشخصيات»⁽³⁾.

ولأن الخطاب دائما ما يتفجر من داخله ليكشف عن مناطق مجهولة فيه، نابضة بالحياة، نابعة من النفس
البشرية، معبرا عن رغباتها، وطموحاتها، وحالاتها المتباينة، كان لزاما الاهتمام بالشخصية الحكائية، والبحث عن
أبعادها، ليس بكونها مجرد عنصر من هذا البناء فحسب؛ بل تأتي ضرورة البحث عنها من قيمتها ووظيفتها
المنوطة بها في التعبير الجمالي الذي يحتضنها، كذلك في علاقتها بالعناصر الأخرى من خلال الفضاء الداخلي
المرتبط بحركة الذات، و الفضاء الخارجي المرتبط ببنية الواقع .

فالخطاب الحكائي هو الحيز الذي تتجلى فيه الشخصيات بطريقة مميزة، حيث يجعلها تنبض بالحياة،
فتقدم لنا الحياة الاجتماعية بمختلف مظاهرها، أو حتى الحياة التاريخية، لتكشف عن نظرتها العميقة للعالم، بحيث
تؤول إلى مجموعة من التصنيفات، التي تتقاطع فيها العوامل و الأدوار و السلوكات ضمن معطيات ثقافية.

وتجدر الإشارة، هنا، إلى دعوة النقاد إلى ضرورة التمييز بين مفهومي الشخص و الشخصية (Personnalité)
؛ إذ كثيرا ما يخلط الدارس بينهما، وهو ما أشار إليه بعض المنظرين بقوله: «لقد ظلت و
لوقت طويل الشخصية في الرواية غير متميزة عن الفرد الحي فعليا في الواقع اليومي»⁽⁴⁾، وعلى الرغم من
الخصوصية التي يتمتع بها المصطلحان إلا أن الفصل بينهما بشكل مطلق غير ممكن، ذلك بأن «تصورا ما
للشخصية لا يمكن أن يكون مستقلا عن تصور عام للشخص، للذات، للفرد»⁽⁵⁾.

(1) حسناء بنسليمان، بنية الخطاب السردى، مجلة علامات، جدة، السعودية، ج 54، م 14، شوال 1425، ديسمبر 2004، ص 247.

(2) المرجع نفسه، ص 248.

(3) عبد العالي بو الطيب، الشخصية الروائية بين أمس و اليوم، مجلة علامات، جدة، السعودية، ج 54، م 14، شوال 1425، ديسمبر 2004، ص 364.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، ص 365.

بيد أن مفهوم الشخصية في الرواية يختلف عن مفهوم الشخص الواقعي، فلكل منهما عالمه الذي يحتويه، فالأولى من صنع الكاتب، ليس لها ماضٍ ولا مستقبل؛ بينما الشخص كائن حي، ينتمي إلى ما هو واقعي و حقيقي لا متخيل، له ماضٍ و تاريخ . وعلى الرغم من ذلك فإننا نعثر في بعض الحكايات على نماذج (بشرية) من الشخصيات تدخل في علاقة تماثلية مع الأشخاص، بحيث ترقى المحاكاة إلى مستوى يجعلنا نتوهم أننا أمام شخصيات / أشخاص فعليين؛ إلا أنه لا ينبغي التسليم بالتطابق بينهما، فالأشخاص الذين يختارهم الكاتب من واقعه الاجتماعي ما إن يدخلوا الحكاية حتى ينفصلوا عن ذواتهم الأولى، وتتحقق لها ذوات جديدة يرسمها النص... ومع ذلك « فرفض كل علاقة بين الشخصية و الشخص سيكون مستحيلا، لأن الشخصيات تمثل الأشخاص بموجب طرق خاصة بالحكاية»⁽¹⁾.

بالإضافة إلى أن مفهوم الشخصية لم يعد يمثل في النص الحكائي الأشخاص فقط؛ بل تعدى ذلك ليتشخص فيما هو : نبات، أو حيوان (مثل : كليله و دمنة لابن المقفع)، أو جهاد... الخ ، فالكاتب يحرك ما لا يتحرك، ويخلق عالمه العجيب بأشياء لا علاقة لها بما هو موجود بالواقع .

كذلك تنظر الدراسات الحديثة إلى الرواية نظرة مغايرة ؛ إذ تعدها علامة (Signe) مكونة من دال و مدلول ، أو كمورفيم مزدوج التمثيل، يبدو في البداية بأنه يشكو من فراغ دلالي، بحيث أنه لا يعني أي شيء، بيد أنه سرعان ما يصير مشحونا مع تقدم السرد. يرى فيليب هامون (Ph.Hamon) أن « البطاقة السيميائية للشخصية ليست معطى أوليا و ثابتا ... بل إنها تشكل يتم تصاعديا مع زمن القراءة و زمن المغامرة المتخيلة، إنه شكل فارغ ستملؤه مختلف المحمولات (Les prédicats)، أفعال و صفات، إن الشخصية إذاً و دائما تكاثف لأثر سياقي»⁽²⁾.

فالشخصية، والحال هذه، ليست سوى تشكل نصي، لا قيمة لها خارج الإطار اللغوي الذي يكتنفها ، أو بصيغة أخرى ليست الشخصيات الحكائية أكثر من « كائنات على ورق»⁽³⁾، أو « كائنات أدبية»⁽⁴⁾، ولذلك يجب علينا اعتبار الشخصية الروائية ككائن من كلمات، بمعنى كبناء لساني، قبل أن يخضع لاستقصاء نظام سيكولوجي»⁽⁵⁾.

هذا عن المنهج البنوي الذي لا تحقق الشخصية فيه فعاليتها إلا من خلال قراءتها داخل نسق، عن طريق جملة من الروابط الشكلية و التقنيات اللغوية، وهو أيضا رأي فيليب هامون؛ إذ يرى أن « الشخصية بناء يقوم النص بتشبيده أكثر مما هي معيار مفروض من خارج النص»⁽⁶⁾.

(1) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(2) المرجع نفسه، ص 366 .

(3) المرجع نفسه ، ص 368.

(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) فيليب هامون ، سيميولوجية الشخصيات الروائية ، تر : سعيد بنكراد ، دار الكلام ، الرباط ، 1990 ، ص 51 .

ولئن وجدت الشخصيات بالكلمات، إلا أنها تبقى ذات صبغة إنسانية؛ إذ لا تحقق هويتها إلا بما هو سيكولوجي و اجتماعي و ثقافي و فلسفي و أدبي في الآن نفسه، على غلبة الهوية الأدبية عليها، بحيث تحمل في طياتها ملامح الإبداع، فتبتعد على الوجود الواقعي لمعاقبة الوجود التخيلي، «فما نتوصل إليه في النص ليس أبداً الواقع بالفعل، ولكنه عقلنة (Rationalisation)، ونصية (Textualisation) الواقع، و إعادة بناء لاحقة ، مؤطرة داخل و بواسطة النص»⁽¹⁾.

ومن المعروف أن أية شخصية تتقمص دورا ما في الحكاية لابد أن تحظى بعدد من الصفات أو العلامات (Les qualification)، فالشخصيات « معطاة بصحبة صفات سوسيوولوجية و سيكولوجية و أخلاقية »⁽²⁾، وهي صفات تختلف، كميا و كيفيا، من شخصية إلى أخرى، فبمثل هذا التمايز بين الشخصيات الحكائية تكتسب الحكاية دراميتها و ديناميتها، إذ كلما كان هناك تضاد و اختلاف، إلا وكان هناك صراع و مواجهة، كما أن هذه الصفات ليست معطى سابق؛ بل ترتسم أمام أعيننا رهيدا ، ويدا ، إلى نهاية الحدث الحكائي .

إن هذه الصفات التي ترسم ملامح الشخصية الحكائية تبدأ في التشكل انطلاقا من الاسم، ومرورا بالأوصاف و الأفعال، كما قد لا يعلن السارد عنها مباشرة ؛ بل قد تفصح هي عن نفسها، أو قد تفعل ذلك الشخصيات الأخرى، فضلا على أن صفاتها لا تنحصر في الأقوال؛ بل قد تطول لتشمل الأفعال أيضا، سواء أكانت صادرة منها، أو واقعة عليها ، كما أن تمييز الشخصيات لا يكون بالوصف وحده ؛ بل يشمل السرد أيضا، سواء أكان هذا السرد متعلقا بحركات، حوارات، مونولوجات، أو أحداث ... إلخ.

أ_ الشخصيات من حيث التسمية:

يرى فيليب هامون أن «حضور الشخصيات في الجنس الروائي غالبا ما يتحول إلى إشارات مبرمجة وفق توجهات اللعبة السردية ، والاختيارات الجمالية، و الإيديولوجية للكاتب»⁽³⁾، لذلك لابد من قراءة دقيقة للشخصيات الحكائية، بما تحمله من إيماءات، ذلك أن «الشخصيات ليست كائنا من (لحم و دم)؛ بل تشكيلة من الدلالات»⁽⁴⁾، فقد يحمل الاسم الشخصي لكل منها علامة ما، فاختيار أسمائها يحدد مدلولاتها «فمن المهم أن نبحت في الحوافز التي تتحكم في المؤلف، وهو يخلع الأسماء على شخصياته»⁽⁵⁾.

هذا التنوع في التسميات يحمل أيضا تنوعا في الصفات الخارجية و الداخلية، بحيث تسهم بشكل كبير في تعرية الواقع، الذي تكثر فيه الأقنعة، والتي تجعل من الشخصية عالما غامضا يتأبى عن التحديد، كما أكسبتها كثافة داخلية، سواء تعلق الأمر بالشخصيات الفاعلة ، أم بالصراعات الداخلية بين ذاتيتها و جوانبها الموعلة في

(1) عبد العالي بوطيب، الشخصية الروائية ، ص 369 .

(2) المرجع السابق ، ص 372 .

(3) فيليب هامون ، سيميولوجية الشخصيات الروائية ، ص 55 .

(4) عبد الصمد ، زايد مفهوم الزمن و دلالاته في الرواية العربية المعاصرة ، الدار العربية للكتاب، 1988 ، ص 21 .

(5) حسن مجراوي ، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط 1، 1990 ، ص 247 .

الرواسب العميقة ، و بين ذاتيتهم و الواقع الخارجي كفضاء للمظاهر المختلفة . و لعل هذا ما يمنح الشخصيات التباسها و غموضها بهدف تدمير الواقع الخارجي ، وإعطاء الفردية الإنسانية قيمتها الإيجابية ، بفضح أقنعتها المزيفة التي تخفي جوهرها العميق .

ب_ الشخصيات من حيث التقديم:

ب_1_ التقديم الذاتي : إن الشخصية الحكائية وفق هذا التصور تقدم ذاتها بذاتها .

ب_2_ التقديم الغيري: إمّا عن طريق شخصيات أخرى تشارك في بناء الأحداث، او عن طريق السارد، الذي يعرف أهم الأحداث الدقيقة، مع قربه من الشخصيات في ملامسة أفكارها، و داخليتها، و أفعالها .

ج_ الشخصيات من حيث الوصف:

ج_1_ الوصف الخارجي: و ذلك بتقديم الملامح الخارجية المرئية للشخصيات و التي تميزها عن بعضها.

ج_2_ الوصف الداخلي: و يتعلق بالملامح الداخلية اللامرئية للشخصية، حيث يبرز السارد ما يدور في أعماقها، و فيما تفكر فيه.

د_ الشخصيات من حيث الوظيفة: إنّ الشخصية الحكائية تُقدّم أيضا من خلال أفعالها و وظائفها ، لأنها ترتبط بها.

كل هذه الأشياء يمكنها أن تصف الشخصيات إما بشكل ظاهري، أو بطرق ضمنية يعتمد المتلقي لاكتشافها على مؤهلاته القرائية الخاصة .

× الزمان و المكان في الخطاب السردى :

إنّ من أهم المظاهر المكونة للخطاب السردى عنصرى: الزمان و المكان، بحيث يسعى من خلاهما الراوي إلى تأطير الحدث، فحضورهما معا ضروري؛ « لأن الزمن غالبا ما يُقرّن بالحركة ، و الحركة تُقرّن بالمكان»⁽¹⁾، لا بد، إذن ،عدم دراسة المكان بمعزل عن احتوائه للزمان، « فلا يمكن _إذا_ تخيل زمان يخلو من المكان، لأن الزمان تتال في الحركة : فزمن الساعة مرتبط بحركة عقاربها ، و زمن اليوم مرتبط بحركة الشمس و هكذا...إن المكان عندي هو (الزمكان)؛ أي الزمن المكان »⁽²⁾، فضلا عن ارتباطهما معا بباقي العناصر السردية ، كالشخص و ترتيب الأحداث.

1-الزمان : حظي الزمن على اختلاف أنواعه⁽³⁾ باهتمام الباحثين في شتى الاختصاصات، وعنوا به «تلك المادة المعنوية المجردة، التي يتشكل منها إطار كل حياة، وحيز كل فعل، وكل حركة »⁽¹⁾، ففيه يتشكل الوجود و العدم ، الموت و الحياة ، الحركة و الثبات، الحضور و الغياب، الزوال و الديمومة .

(1) عبد الصمد زايد ، مفهوم الزمن و دلالاته ، ص 16 .

(2) لؤي علي خليل ، المكان في قصص وليد إخلاصي (خان الورد أنموذجا) ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج 25 ، ع 4 ، أبريل / يونيو ، 1997 ، ص 247 .

(3) الزمن التاريخي ، الزمن الأسطوري ، الزمن النفسي ، الزمن الشخصي الفردي ، الزمن الاجتماعي ، الزمن الكوني ، الزمن البيولوجي ، الزمن الحيوان ، الزمن النووي الفيزيائي ، و ما إلى ذلك . أنظر: عبد الصمد زايد مفهوم الزمن و دلالاته ، ص 7_19 .

2- المكان :

يعد المكان من أهم المظاهر الجمالية المكونة للخطاب الحكائي، والتي يسعى من خلالها الراوي إلى تأطير الحدث ، إذ يمثل المجال الذي تسير فيه أحداث الحكاية، من تحولات على مستوى أفعال الشخصيات، أو من رؤية السارد التي يحددها من خلال عالمه الإنساني الذي يبنيه، والمواقف المختلفة التي تنبثق منه، والقانون السائد في هذا العالم، والنظم المتعددة التي تحكمه .

إن المكان، انطلاقاً من هذا التصور، هو المدى الذي يحقق فيه الراوي دل بصورانه، فاسميته لا تقتصر على المستوى البنائي؛ بل تتجلى أيضاً على مستوى الحكاية (المدلول)، وذلك حين يخضع الإنسان للعلاقات الإنسانية، وللنظم ، معتمداً على اللغة « لإضفاء الإحداثيات المكانية على المنظومات الذهنية و الاجتماعية و السياسية و الأخلاقية، مما يساهم في تجسيدها، وجعلها أكثر فهماً و قبولاً لدى المتلقين، هذا التبادل بين الصور المكانية و الذهنية يمتد لالتصاق معاني أخلاقية بالإحداثيات المكانية، والتي تنبع من ثقافة المجتمع و حضارته »⁽²⁾. فالأمكنة تبعاً لذلك ليست «رقعا جغرافية في حدودها، ولكنها عنوانات تختزل مشاهد تاريخ الكاتب، المتشكل من الغربة و اضطراع الموم في داخله»⁽³⁾، إنه يمنحنا فضاءاً خيالياً ، أو بلا حرى هو « المحال اللفظي المتخيل ، أي المكان الذي صنعت له اللغة انصياعاً لأغراض التخيل الروائي ، وحاجاته »⁽⁴⁾، فهو مكان تنسجه الكلمات، وتستثيره اللغة بخصائصها الإيحائية، لذا ميز البنيويون بين المكان الخارجي و المكان الروائي، « فالمكان الخارجي هو المكان الحقيقي المتموضع على الخارطة الجغرافية، وقد أطلقت عليه تسميات عدة (المكان الواقعي و الموضوعي و الطبيعي و المرجعي...) ، أما المكان الروائي فهو مكان متخيل »⁽⁵⁾ يقوم في خيال المتلقي، إنه مكان « له مقوماته الخاصة و أبعاده المميزة »⁽⁵⁾.

(1) المرجع نفسه ، ص 7.

(2) سيزا قاسم ، بناء الرواية ، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، 1984، ص 75 .

(2) نادية غازي العزاوي ، المكان و الرؤية الإبداعية ، آفاق عربية ، ع3 و 4 ، 1989 ، نقلاً عن : عيسى سلمان درويش المعموري ، موت المكان في الشعر الحديث ، شعر السياب أنموذجاً ، مكتبة جامعة بابل المفتوحة <http://repository.uobabylon.edu.iq> ، ص 02.

(3) سمر روجي الفيصل ، بناء الرواية العربية السورية ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1995 ، ص 251 .

(4) أحمد مرشد ، البنية و الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط2005، ص 129 .

(5) سيزا قاسم ، بناء الرواية ، ص 74 .

(6) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص 33 .

(7) المرجع نفسه ، ص 32 .

(8) كثيراً ما تقرن الدراسات الروائية العربية مصطلح " المكان " بمصطلح آخر هو الفضاء ، لكننا نجد حميد حميداني قد خصص عنواناً كاملاً وسمه بـ " نحو تمييز نسبي بين الفضاء و المكان " ، و يرى أن الفضاء في الرواية يضم أمكنتها جميعاً «لأن الفضاء أشمل و أوسع من معنى المكان (...) إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية (...) و المكان يكفي أن يكون فقط متعلقاً بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي» حميد حميداني ، بنية النص السردي ، ص 62.

وباللغة يحقق الراوي عالمه الخاص بكل تصوراتهِ، وتمنحه الحرية في تشكيل فضائه، بعيداً عن كل القوانين الهندسية، بمشاركة الشخصيات ووظائفها المختلفة. فتصبح أي محاولة للمطابقة بين هذين المكانين « ضرباً من العسف؛ لأنها تفرغ النص الروائي من أحد أبعاده التخيلية، وتجرده من جماليته، وتحيل المكان إلى مجال أجوف لا معنى له»⁽⁶⁾.

و يضطلع المكان بدور فعال في بناء العمل الحكائي؛ إذ لا يعد «عنصراً زائداً... بل إنه في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله»⁽⁷⁾، كما يمكننا النظر إليه «بوصفه شبكة من العلاقات و الرؤيات التي تتضمن مع بعضها، لتشييد الفضاء الروائي... كما يعبر عن مقاصد المؤلف»⁽⁸⁾، إنه الإطار الذي تتجسد فيه الأحداث، والأرضية التي تتفاعل فيها الشخصيات لتأدية مهامها المكلفة بما؛ بل إنه قد يتجاوز ذلك ليصبح عنصراً دينامياً في توجيه مسار الأحداث، وتحديد مواقف الشخصيات، مضيفاً عليها دلالات ترميزية مستوحاة غالباً من خصوصياته.

وهكذا يتعدى المكان دوره الظاهري بوصفه مكاناً لوقوع الأحداث، وخلفية تتحرك أمامها الشخصيات إلى فضاء رحب يشع بالدلالات التي تؤثر في بناء المتن الحكائي.

نستنتج مما سبق أن الخطاب السردى مشروع منظم وفق الغايات القصوى المقصود بلوغها، أو هو بتعبير قريماس: «مجموعة من الملفوظات المتتابعة و الموظفة المستندات فيها لتُشاكل _ ألسنيا _ جملة من التصرفات الهادفة إلى تحقيق مشروع»⁽¹⁾، فالخطاب السردى يهدف إلى إقامة علاقات منظمة وفق غاية، يولد النص من أجل بلوغها، و يعمل الكاتب فيها جاهداً لتحقيق مقومات وجودها، معتمداً فيه على اللغة، التي أصبحت أكثر قابلية للتأويل و الكشف المباشر، مما يفسح المجال أمام المتلقي لإعادة إنتاج الخطاب السردى بأبعاده الفكرية، ضمن رؤية جمالية، حيث انتقل الاهتمام «من التلقي الخارجى إلى التلقي الداخلى، الذي يعنى بفحص طبيعة التراسل الداخلى في النصوص الأدبية و السردية على وجه الخصوص»⁽²⁾.

و كنتيجة لما سبق فإن كل عمل فى درامى، هو فعل سردى، يتميز بكونه:

أ علامة لغوية كبرى، يتلازم و يتكامل فيها المدلول ممثلاً في المتن الحكائي (الحكاية)، و الدال

المجسد في المبنى الفنى (القصة).

ب بنية معقدة من العناصر المتكاملة: الحدث، الزمان، المكان، الشخصيات، اللغة.

ج بنية حكاية عامة يتحقق فيها كلياً أو جزئياً جملة من المراحل، تنطلق من بداية ما تتلوها مرحلة

التعقيد أو التأزم، تليها مرحلة رد الفعل أو مواجهة التأزم، التي تؤدي إلى مرحلة الحل، أو فك العقدة، و بذلك تنتهي الحكاية إلى مرحلة النهاية، التي تؤخذ فيها العبرة من النتيجة الإيجابية أو السلبية.

(1) محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى، نظرية قريماس، الدار العربية للكتاب، دط، 1993، ص 35

(2) عبد الله إبراهيم، التلقي و السياقات الثقافية (بحث في تأويل الظاهرة الأدبية) ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2000، ص 8.

Ã بنية تبليغية عامة تشمل كل العناصر التبليغية من: سارد (مرسل)، ومسروود له (مرسل إليه)، و
مسروود (النص الحكائي)، وقناة تبليغ، ووضع (قواعد بلاغية و تقنيات سردية)، ومرجع (و يشمل كل
الفضاءات و الأمكنة في عالم الواقع أو المتخيل).
Ã له ما له من الطاقة الإيحائية و التأثيرية ، التي تنصرف إلى تركية المقاصد والغايات الكبرى .

× قوانين الخطاب Lois du discours

ينتظم الخطاب داخل مجموعة من المبادئ و القواعد، وضعها غرايس (Grice)، بالنظر إلى الفجوة بين
ما يقوله المتكلم وبين ما يقصده دون التصريح به، واعتبارا أيضا من الطابع الشفاهي للخطاب؛ فعامل المشافهة
يبرز جانبا حواريا بين المتخاطبين، تنظمه قواعد تهدف إلى « تمكين المتكلم من صياغة أقواله التي تمنعه بعض
الأحوال من التصريح بها، أو أن يرغب في صياغتها مع غمط يكون أكثر إبلاغا، وأحسن تأدية، وأكثر إقناعا»⁽¹⁾.
هذه القواعد سماها غرايس "أحكام المحادثة" (Les maximes conversationnelles)، ثم أعاد
ديكرو صياغتها باسم "قوانين الخطاب"، وهي « مجموعة من القوانين المكملة للقواعد التركيبية الدلالية »⁽²⁾،
تتحكم في عملية تبادل الأدوار الكلامية بين المتخاطبين، انطلاقا من القدرات الذهنية الاستنتاجية
للإنسان، ومرتبة المتكلم و مقاصده التبليغية، و كفاءة المستمع في إدراك ما لم يصرح به المتكلم، ولهذا فإن معرفة
هذه القوانين يتطلب إبراز القواعد التركيبية و الدلالية، ثم ربطها بالسياق المحيط بالمتخاطبين في مختلف
الاستعمالات. هذه القواعد و تفرعاتها «ليست أعرافا عشوائية؛ بل هي وسائل عقلية لتيسير التبادل
التعاوني»⁽³⁾، كما يشير غرايس إلى أن توظيف هذه القواعد لا يتساوى، فبعضها يفوق بعضها الآخر.

× مبدأ التعاون:

تتأسس قوانين الخطاب عند غرايس على هذا المبدأ، وهو مبدأ كفيل بجعل طرفي الخطاب يتعاونان بقدر
المستطاع، بغية إيصال أفكارهما بعضهما لبعض؛ إذ يقتضي الخطاب وجود نية مسبقة عند المتكلم و المستمع،
بحيث يقصد كل منهما دفع الطرف الآخر إلى الاسترسال في الكلام، والتوقف عند حدوث الفائدة المرجوة من

(1) عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2003 ، ص 99 .

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، دار أويا للطباعة و
النشر و التوزيع و التنمية الثقافية ، طرابلس ليبيا ، ط1 ، 2004 ، ص 430 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يندرج في الخطاب، ويتميز في علاقته مع معيار الصدق، تقول أوركيوني: «لا يمكن لنا أن نتصور لغة تعمل بعكس هذه القاعدة»⁽¹⁾.

وقد يتدخل السياق في الكشف عن الصدق والكذب، فارتباط موضوع الخطاب بمقامه يدفع المتكلم إلى إعطاء المستمع القدر الملائم من المعلومات لذلك المقام، لا زيادة فيه ولا نقصان؛ إضافة إلى مرتبة المستمع في حد ذاته، فقد يجبر المتكلم إلى عدم نقل الحقيقة كما هي واقعة، أو نقلها بصورتها الموجودة في الواقع. هذه الاعتبارات تجعل حكم الصدق في الخطاب متعلقا باعتقاد المتكلم فيما يقوله وبخاصة إذا قصد تحقيق "مبدأ التعاون" أثناء التخاطب مع المستمع، حتى تحدث الإفادة ولا ينقطع الخطاب، ولأن المستمع إذا ما أحسَّ عدم الصدق لدى المتكلم قد يدفعه هذا إلى عدم التفاهم والاشتراك معه، إضافة إلى رفضه ما يقال مهما كانت نتائجه على مستوى الإفادة .

3_ قانون الإخبار:

يعد الإخبار غاية التواصل بصفة عامة، يسعى من خلاله المتكلم إلى إفادة المستمع بأكبر قدر من المعلومات التي لم يسبق له سماعها، يرى ديكرود أن « قانون الإخبارية هو الشرط الذي يخضع له الكلام، الذي هدفه إخبار السامع ، و لا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا كان هذا الأخير يجهل ما يشار إليه»⁽²⁾.

وقد يلجأ المتكلم أثناء التخاطب إلى إعادة ما قاله للمستمع، غايته في ذلك ربطه بالموضوع في حالات النسيان أو الشرود أو تراكم المعلومات، ولا ينظر إلى هذا الأمر على أنه إطناب في الكلام، وإنما يتطلبه الموقف التخاطبي، وعلى اعتبار أن المستمع يجهل من البداية ما سيقال له، يرغب المتكلم في إيصال ما يدركه ويتصوره حتى يكون معلوما وواضحا لدى المستمع، فتدعوه الحاجة إلى ذلك بتكرار أو إعادة ما قال سابقا، من باب التأكيد أو إضافة معلومات مرتبطة بما سبقها ، فتكون النتيجة استعداد المستمع لفهم وإدراك مقاصد المتكلم من خلال حاجة التكرار أو الإعادة ؛ وتعبير آخر إن أكبر قدر ممكن من المعلومات المقدمة للمستمع لا يعني حجمها وعددها فقط، وإنما قدرتها على إحداث الإفادة لدى هذا المستمع .

4_ قانون الشمولية :

ويرتبط هذا القانون بقانون الإخبارية، ذلك أن الشمولية في موضوع الخطاب تكون أثناء الإخبار، وتتحدد الشمولية بالكفاءة التبليغية للمتكلم بما فيها معارفه واهتماماته ، وتلازمها مع سياق الخطاب ومع موضوعه .

(1) Ibid,p204

(1) O . Ducrot , Dire et ne pas dire , Hermann , Paris , 1980 , P133

ومن جهة أخرى يخضع هذا القانون لقانون الإفادة، فهي شرط يجب توفره أثناء التخاطب، وعلى هذا الأساس يسعى المتكلم إلى إبلاغ المستمع بما يريد إيصاله إليه، بتوفير أكبر قدر من المعلومات التي لم يسبق لهذا المستمع معرفتها قصد إفادته، وعلى حسب ما تقتضيه ضرورة الخطاب وسياقه .

× مبدأ التأدب:

وهو المبدأ التداولي الثاني الذي يبنى عليه التخاطب ، أورده روبرت لاكوف (R. Lakoff) في مقالته الشهيرة: "منطق التأدب" ⁽¹⁾، وصيغة هذا المبدأ هي: لتكن مؤدبا.

× مبدأ الوجه:

وهو المبدأ التداولي الثالث الذي ينضبط به التخاطب، ويسمى كذلك "مبدأ التواجه" ، مستعملين لفظ التواجه في معناه اللغوي الذي هو مقابلة الوجه للوجه .

إن هذه القواعد و ما تفرّع عنها تجعلنا بين أمرين اثنين: إن اتبعناها حصلنا فائدة قريبة، هي أقرب إلى ما سَمَّاه الأصوليون بـ "المنطوق"، وإن خرجنا عن هذه القواعد حصلنا فائدة بعيدة، هي أقرب إلى ما سَمَّاه الأصوليون "المفهوم" ، أو "المسكوت عنه" أو " دلالة الدلالة " ⁽²⁾، وهو ما يمكن تسميته بالمعنى الاستنتاجي في مقابل المعنى الحرفي ، الذي اقتصر في تسميته على مصطلح " المعنى " منفردا. وقد استعمل عبد القاهر الجرجاني للدلالة على هذا التمييز بين المعاني مصطلحي: " المعاني الأول " و " المعاني الثواني " أو بـ " المعنى " و " معنى المعنى " ⁽³⁾.

(1) أنظر: طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 1998 ، ص 240 ، أيضا : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص 97 .

(2) طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 239 .

(2) مسعود صحراوي ، التداولية عند علماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي ، دار الطليعة ، بيروت، ط 1، 2005، ص 30 ، أنظر كذلك الفرق بين المعنى اللغوي و المعنى المقصود ، محمد يونس علي ، المعنى و ظلال المعنى ، أنظمة الدلالة في العربية ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، دط ، 2007 ، ص 141 .

×التداولية : المفهوم

و الاجراء .

توطئة :

عرف مطلع القرن العشرين تحولا مهما في تاريخ الفكر اللساني الحديث، مع ظهور أعمال اللساني فردينان دو سوسير (Ferdinand de Saussure)، في كتابه الشهير الموسوم — : محاضرات في اللسانيات العامة. هذه المحاضرات جعلت من اللسانيات درسا جديدا، له أسسه و مقوماته التي تميزه عن بحوث سابقه، سيما في تمييزه بين الجانب الاجتماعي في اللغة " اللسان " (Langue) و الجانب الفردي " الكلام " (Parole) ⁽¹⁾.

ويعد هذا الفصل المنطلق الجديد نحو ظهور التداولية (Pragmatique) أو « فيما بعد البنيوية »⁽²⁾، لأنه يتميز **سوسير** الجانب الاجتماعي عن الجانب الفردي يكون قد حصر المفاهيم المشتركة بين أفراد المجموعة

(1) فردينان دي سوسير ، محاضرات في علم اللسان العام ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2008 ، ص 23 ، و أيضا ص 34

(2) الفكرة الأساسية للبنوية هي أن اللغة بنية ، و للبنية ثلاث ميزات تجعل من البنوية مفهوما لا يؤمن بالأشياء ؛ بل بالعلاقات الرابطة بينها ، و هي :الجملة و التحويلات و الضبط الذاتي ، جان بياجيه ، البنوية ، منشورات عويدات ، بيروت _ باريس ، ط4 ، 1985 ، ص 9 ، 11 ، 13 ؛ فالجملة (Totalité) : تدل على أن البنية تأخذ قيمتها فقط من تألفها و تجاورها مع بقية العناصر الأخرى ، و أما التحويلات (Transformations): فنعني أن التغيرات التي تطرأ على بنية ما تؤدي إلى إحداث تغيرات جوهرية في هيكلها العام ، أو بصيغة أخرى هي العلاقات الاستبدالية و العلاقات التوزيعية ، في حين يحيل الضبط الذاتي (Autoréglage) إلى أن اللغة تستطيع ضبط نفسها ، مما يؤدي بها إلى نوع من الانغلاق ، بحيث لا تتطلب مؤثرات أو عوامل خارجية من أجل الحفاظ على هيكلها العام من التفسخ أو الاندثار ، «و مهما بلغت خاصية تركيب العناصر من اغناء فإن آلية الضبط الذاتي تبقى شاحصة ، لتحقيق تثبيت الحدود داخل نطاق كل بنية» ، أنظر : إسماعيل نوري الربيعي ، قراءة في نقد الحداثة ، مجلة علامات،جدة، ج 56 ، م 14 ، ربيع الآخر 1426 هـ، يونيو 2005 ص 114 .

اللغوية الواحدة، و هي نفسها القوانين التي يؤدي فيها التواصل، فيصير الخطاب _ من هذا المنطلق _ مفهوما لدى متلقيه لاندراجهم ضمن المتعارف عليه .

فإننتاج اللغة من منظور اللسانيات من الأسس الاجتماعية و ينجح إلى الفردية، وتبقى مهمة اللسانيات الوحيدة هي «الكشف عن القوانين الداخلية لنظام اللغة سواء كانت قوانين ثابتة أو قوانين متطورة»⁽¹⁾.

ومع تطور البحث اللساني الحديث تجاوزت اللسانيات الاهتمام باجتماعية اللغة إلى دراستها على مستوى الأفراد، حيث انتقلت من دراسة اللسان إلى دراسة الكلام، ضمن ما يعرف بلسانيات الخطاب، وأصبح موضوع اللسانيات مرتبطا بالشخص المتكلم و بأفعاله الكلامية المحققة، وطرق استعماله لها⁽²⁾.

وسعيا نحو تحقيق فكرة (المتكلم _ المستمع المثالي) أحيط الخطاب بمالة نظرية و تعيدية و رؤى فلسفية مختلفة ، بغرض تأطير مساره، و توضيح مقاصده، وتهذيبه بلاغة و فصاحة. وقد أعاد هيمس⁽³⁾ (D. Hymes) انطلاقا من هذه الفكرة ترتيب أضلاع مثلث سوسير جاعلا قاعدته ترتكز على الكلام .

كما شتَّ هجوما عنيفا على التصور التجريدي ، الذي انحصر فيه البحث اللساني سواء مع سوسير في اللغة دون الكلام ، أو مع تشومسكي (N. Chomsky) صاحب النظرية التوليدية التحويلية، والذي قصر موضوع تنظيره على القدرة اللغوية (Compétence Linguistique)، دون الكلام أو التأدية (Performance).

و قد أسَّس هيمس و علماء الاجتماع من بعده اتجاهها جديدا للدراسات اللغوية، يقوم على مفهوم القدرة التبليغية (Compétence de Communication) كبديل للقدرة اللغوية، التي أضحت أحد مكونات القدرة التبليغية للمتكلم / السامع⁽⁴⁾. وبهذا الانتقاد المشهور لهيمس أعيد الاعتبار للنظريات السياقية، حيث دخلت مجال اللسانيات بقوة ، كنظريات أفعال اللغة لفلاسفة اللغة العادية⁽⁵⁾، و الملفوظية⁽⁶⁾، وأيضا نظريات التداول⁽⁷⁾، و نظريات النحو الوظيفي⁽⁸⁾.

وما يجمع هذه النظريات والبحوث هو تركيزها على مرجع العلامة اللغوية أو المكون التداولي (compétence pragmatique)⁽⁹⁾ للكلمة أو الجملة أو النص، الذي أصبح مضبوطا بوظائف تداولية

(1) رومان ياكسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، تر: علي حاكم صالح و حسن ناظم ، ط 1 ، 2002 ، ص 13 .

(2) عبد السلام المسدي ، اللسانيات و أسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر و التوزيع ، تونس المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 ، ص 81.

(3) عالم أجناس أمريكي .

(4) أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان ، الرباط ، 1995 ، ص 22 ، 23 .

(5) و أشهرهم كرناب (Karnap) الألماني ، و أوستين (Austin) الانجليزي، و سورل (Searle) الأمريكي .

(6) ينظر جان سيرفوني ، الملفوظية ، تر: قاسم المقداد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 1987.

(7) ينظر: فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية ، تر : سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط، 1987.

(8) النظريات النحوية المشهورة ، و التي ربطت البنية التركيبية بالوظيفة التبليغية ، و هي : نظرية الوجهة الوظيفية لماتريوس ، و نظرية النحو النسقي لهاليداي ، و نظرية النحو الوظيفي لسيمون دايك ، و نماذج نظرية البراغماتيكس في النحو التوليدي كنظرية التركيب الوظيفي.

(9) ينظر أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري ، منشورات عكاظ ، الرباط ، ط 1 ، 1989 ، ص 13 .

محددة⁽¹⁾، ترتبط بسياقات و طبقات مقامية ،وبشبكة من العلاقات المختلفة ،كالعلائق الاجتماعية المنظمة لمقاصد المتخاطبين ،والعلاقات المنطقية التي تضبط محاوراتهم⁽²⁾.

فاكتشاف الأبعاد التداولية للغة فتح آفاقا أرحب و أنتج أسئلة جديدة،ستكون مسوغا للاعتراف بالتداولية كأحدث بحث أفرزته اللسانيات الحديثة ،والذي « يولي أهمية قصوى للشروط الخارج لغوية (Extra linguistique)، والمتعلقة بالسياق و المقام و المتكلمين و مقاصدهم و نوع المعلومات المطروقة و غاية النص و سمات التفاعل،وحيثيات الاستعمال و الأفعال اللغوية و الغرض منها ، أو بعبارة التوليديين أصبحت جزء من دراسة الانجاز (Part of performance)»⁽³⁾.

يرى العديد من الدارسين أن التداولية اعتنت بمعالجة المشاكل اللغوية الهامشية (Marginaux) التي لم تعالجها اللسانيات؛ إذ تهتم بالبعد الاستعمالي أو الانجازي للكلام،أخذة بعين الاعتبار المتكلم والسياق،» وقد عمد الباحثون إلى هذا المنهج ليمدهم برؤى متعددة،نتيجة لقصور الدراسات الشكلية،وإهمالها لمقاربة اللغة في تحليلها الحقيقي؛ أي في الاستعمال التواصل بين الناس⁽⁴⁾،وعلى الرغم من أهمية هذا الجانب فقد ظل مستبعدا من طرف الألسنيين لتركيزهم على علمي التركيب (Syntaxe) و الدلالة (Sémantique)، إلا أن « اللغة لا يمكن أن تنعزل عن استخدامها و تنحصر في علمي النحو و المعاني؛ بل إن الاتصال يلعب دورا فاعلا إذا أردنا أن نفهم حقيقة اللغة »⁽⁵⁾.

وبذلك عدت « التداولية مكونا من مكونات اللغة إلى جانب المكون الدلالي و التركيبي...وعندما نقول أن ظاهرة ما خاضعة لـ_____ (عوامل تداولية) فإننا نقصد ذلك المكون الذي يعالج وصف معنى الملفوظات في سياقها...التداولية توصف كذلك لتصور اللغة و بشكل أعم للتبليغ / الاتصال »⁽⁶⁾.

و لمّا كان منتهى التداولية هو الإحاطة بملابسات وظيفتي التبليغ و الاتصال، المنوطتين بمعاش البشر،و" تحقيق أغراضهم" كما أسلف ابن جني في حدّه للغة؛ فإنها من أجل هذه الغاية الأولية توزعت عبر عديد التيارات المتقاطعة حول دقائق المفاهيم التداولية ، و من بين هذه التيارات نستعرض : السيميائيات (سوسير _ بيرس) ، نظرية أفعال الكلام (أوستين _ سيرل)، التفاعل الخطابي (غرايس)، لسانيات التلفظ)

(1) ينظر أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1985.

(2) ينظر أحمد المتوكل ، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986، ص 96، 95.

(3) مقبول إدريس ، البعد التداولي عند سيبويه ، مجلة عالم الفكر ، مج 33 ، سبتمبر 2004 ، ص 245 ، 246 .

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص 21 .

(5) ميجان الرويلي و سعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا و مصطلحا نقديا معاصرا ، المركز الثقافي العربي ، الدار

البيضاء ، بيروت ، ط 5 ، 2007 ، ص 169.

(6) دومينيك مونغانو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر : محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف ، ط 1 ، 2008 ، ص 100، 101 .

بنفينايسـت _ يالمسليف _ كوليوبي)،لسانيات النص و مفاهيم الاتساق / الانسجام (هاليداي _ شارودو _
دوبوغرانـد) (1).

وكذلك ينظر إلى المنهج التداولي على أنه بمثابة ردة فعل على معالجات تشومسكي للغة (2)، بوصفها أداة تجريدية أو قدرة ذهنية قابلة للانفصال عن استعمالها و مستعملها،ومن أسباب ظهور المنهج التداولي القناعة بأن المعرفة المتقدمة بالنحو و الصوت و الدلالة لم تستطع التعامل مع ظواهر ذات أهمية بالغة،و يمكن اعتبار الإدراك المتزايد بوجود فجوة بين النظريات اللسانية من جهة و دراسة الاتصال اللغوي من جهة أخرى سببا آخر للاهتمام بالتداولية.و على كل تعد التداولية حقلا يعيد النظر في المبادئ التي تتأسس عليها الأبحاث اللسانية السابقة،و المتمثلة في:

• أسبقية الاستعمال الوصفي و التمثيلي للغة .

• أسبقية النظام و البنية على الاستعمال .

• أسبقية القدرة على الانجاز.

• أسبقية اللغة على الكلام (3).

× التداولية :
مرجعيتها

الفلسفية

واللسانية

يقترن مصطلح التداولية بمحقل علمي جديد،يبحث في الاستعمال اللغوي في السياقات المختلفة،و يركز فيه على علاقة المعنى بالعمل المنجز من القول،تبعاً للأغراض و المقاصد التي تتنوع بحسب المعارف و الاعتقادات من جهة،وبحسب متداولي الخطاب من جهة أخرى،فهذه المعرفة هي التي تمكن من التأويل الصحيح للعبارة اللغوية .

(1) إن هذه التيارات اللسانية التداولية الحديثة لا تمثل إلا الخلاصات و النتائج ، حينما نقرنها ببدايات الدرس اللساني العربي ، بما أنتجه من مفاهيم تأسيسية ، على رأسها مفهوم "النظم" الذي يستفاد منه كمفهوم تداولي أيضا ، و الذي يحدد بلاغة الكلام من عدمها ، من خلال تلك العملية الانتقائية المقامية . للتوسع : راجع جهود الجاحظ في مؤلفيه : "البيان و التبيين" و "الحيوان" ، و كذلك : أبو حيان التوحيدي في "الإمتاع و الموانسة" و عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" . أنظر أيضا : محمد الأمين بحري ، أقلمة المفاهيم التداولية لنظرية النظم (من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري) ، قص للمسارات البلاغية و الفلسفية و النحوية ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة بسكرة ، العدد السابع ، جوان ، 2010 .

(2) أحدث تشومسكي أنموذجا جديدا للتفكير في اللغة أفرز مجموعة من الإشكالات ، ضمنها الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي ، عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات و اللغة العربية ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط1، 1986 ، ص 65 .

(3) علي آيت أوشان ، السياق و النص الشعري ، من البنية إلى القراءة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، ط1 ، الدار البيضاء، 2000 ، ص55 . 56.

إلا أن للمصطلح استعمالات في اللاتينية، وفي الإغريقية بمعنى "عملي"، وقد ارتبط توظيفه في العصر الحديث في بداية ظهوره بالفلسفة الأمريكية البراغماتية، وقد جاء في الموضوعات الخاصة بالفلسفة أن كلمة "براغماتية" تعني «فعل و نشاط وعمل، وهو تيار مثالي في الفلسفة الغربية يرى أن المنفعة العلمية للمعارف مصدرا لها، ومعيارا رئيسيا لصحتها»⁽¹⁾.

ويقترن بهذا المصطلح في اللغة الفرنسية معنيان أساسيان "محسوس"، و"ملائم للحقيقة"، أما في اللغة الانجليزية «فإن كلمة Pragmatic تدل في الغالب على ماله علاقة بالأعمال و الوقائع الحقيقية»⁽²⁾.

ولا بد في اللغة العربية أن نفرق في المصطلح بين "التداولية" الذي يمثل الاتجاه اللغوي الجديد، الذي يعنى بقضايا الاستعمال اللغوي، ويقابله المصطلح الفرنسي "Pragmatique"، و"البراغماتية"، أو ما يترجم أيضا بـ "الذرائعية" أو "النفعية" أو غيرهما، كمذهب فلسفي تجريبي عملي، يتجاوز المذهب العقلاني و طور الاتجاه التجريبي، لا تقوم على معاني عقلية ثابتة، أو تصورات قبلية، ترتبط بالواقع التجريبي. كما تحاول أن تفسر الفكرة ليس بمقتضاياتها العقلية أو الحسية، بل بتتبع و اقتفاء أثر نتائجها "العملية"، ويقابلها مصطلح "Pragmatisme"، ومن روادها تشارل ساندرس بورس، و ويليام جيمس، وجون ديوي، و شيلر و غيرهم.

ويعد الفيلسوف الأمريكي بورس (Ch.S.Peirce) المؤسس الأول للفكر البراغماتي أو التداولي، حيث نشر مقالين، الأول عام 1878 بعنوان (كيف تجعل أفكارك واضحة؟)، تساءل فيه كيف يكون للفكرة معنى، والثاني نشره عام 1905 بعنوان (ماهي البراغماتية؟)، وقد ارتبطت عنده التداولية بالمنطق ثم بالسيميوطيقا⁽³⁾، فدرس الدليل و علل إدراكه بواسطة التفاعل الذي يحدث بين الذوات و النشاط السيميائي.

وقد حاول بورس تطوير التجربة الإنسانية من خلال الأدلة، وربطها بالواقع الاجتماعي، يقول: «إن الواقع المدلول عليه يفترض تجربة إنسانية مبنية لا على ما هو فردي، بل على ما هو اجتماعي»⁽⁴⁾. وقد اختلف تصور بورس للتداولية بتطور مراحل فكره، إذ انطلق بداية من التساؤل و البحث عن كيفية جعل أفكارنا أكثر وضوحا، وانتهى إلى أن تصورنا لموضوع ما يقاس بالنتائج العلمية، من حيث اها منهج متصل بالمنهج العلمي.

وقد اهتم بورس بالإشارة اهتماما بالغا، و بحث عن الطرق التي بواسطتها يتم الاتصال بين الأفراد، وجعلها نظرية، ليرى بعد ذلك أن التداولية فرع من السيميائيات، مهمتها نقل الواقع، كما أنها وسيلة من وسائل المعرفة و الاتصال، و منهج لجميع ميادين المعرفة. و لذلك رأى بورس أنه بالتحديد التداولي تتحدد

(1) إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، ط 1، 2000، ص 69.

(2) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، ط 1، 2007، ص 17.

(3) أنظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، 2004، ص 198.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

العلامة اللسانية بحكم استعمالها ، بالتنسيق مع علامات أخرى، من طرف أفراد جماعة معينة⁽¹⁾، فللعلامة اللسانية علاقة بظروف استعمالها و محيطها، ومن خلاله تحمل معناها .

كذلك عرف الفيلسوف الأمريكي وليام جيمس (W.James) (1842_1952) بمقولته الشهيرة: "وجود الشيء يعني كونه نافعا"، وبذلك اتجه هؤلاء إلى ما هو مشخص (Concrète) وحقيقي (Real)، بعيدا عن المبهات الفلسفية المغلقة المتسمة بالتجريد .

كما ركز جون ديوي (J.Dewey) (1859_1952) في مقال له بعنوان "نمو البراغماتية الأمريكية" على وظيفة التفكير ، مؤكدا أن الفكرة هي فرضية الفعل ، تقودنا وحدها فعليا نحو الحقيقة. كما يؤكد أن التداولية هي «النظرية التي ترى أن عمليات المعرفة و أدواتها إنما تتحد بحسب الاعتبارات العلمية أو الأغراض الفعلية، فليس هناك محل للقول بأن المعرفة تتحد في حدود الاعتبارات النظرية التأملية الدقيقة ، أو الاعتبارات الفكرية المجردة»⁽²⁾.

انطلاقا مما تقدم يمكن اعتبار التداولية نظرية في "المعنى"، الذي هو _حسب هؤلاء الفلاسفة_ ليس مفهوما ثابتا، بل يختلف باختلاف مكانه في سلم الموجودات. هذا و قد جعل جيمس صدق الشيء ووجوده من دلائل آثاره ، يقول: « كي نبلغ الوضوح الكامل في أفكارنا عن شيء لا نحتاج إلا أن ننظر في الآثار العملية التي يبعثها الشيء»⁽³⁾.

هكذا يعتمد مؤسسو الفكر التداولي إلى تفسير الأفكار تبعا للنتائج العملية المترتبة عنها، و أثرها على سلوكنا و حياتنا، كما ليس المهم منشئ الفكرة أو مصدرها، و إنما الأهم النتائج العملية، التي تغير الواقع و تحقق المنفعة.

ويعود الاستعمال الحديث و الحالي للتداولية للفيلسوف الأمريكي شارل موريس (Morris) في كتابه "أسس نظرية العلامات" حيث يعرف التداولية بوصفها «جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات و مستعملي هذه العلامات»⁽⁴⁾، وهو تعريف عام يجعل فيه صاحبه التداولية جزء من السيميائية، كما أنه لا يحدد طبيعة العلامة التي تعالج، هل العلامات في الاتصال الإنساني ؟ أم الحيواني ؟ أم الآلي ؟⁽⁵⁾، و التداولية، في نظره ، هي البعد الثالث من السيميوطيقا :

أ علم التركيب (Syntaxe): ويقتصر على دراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض .

أ علم الدلالة (Sémantique): الدلالة التي تتحدد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقي القائمة بين العلامات و ما تدل عليه.

(1) أنظر : محمود أحمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، ط 1 ، 2002 ، ص 41.

(2) محمد مهران ، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 2 ، 1984 ، ص 41 .

(3) إبراهيم مصطفى إبراهيم ، نقد المذاهب المعاصرة ، ص 163 .

(4) نعمان بوقرة ، المدارس اللسانية المعاصرة ، ص 166 .

(5) عبد الحليم بن عيسى ، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية ، مجلة دراسات أدبية ، جامعة وهران ، عدد 1، ماي 2008 ، ص 10 .

آ التداولية (Pragmatique) : وتعني بالعلاقات بين العلامات و مستخدميها أو مفسريها.

وقد نبه موريس إلى علاقة العلامة بمستخدميها و مؤوليها ، وطريقة توظيفها، وأثرها في المتلقين. كل هذه الفروع مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا، والتداولية تدرس كيفية تفسير المتلقي للعلامة، وهذا التفسير لا يتم بمعزل عن البنى التركيبية و النحوية للغة المستخدمة، فالنظام اللغوي قائم على العلامات و الأشياء، والتي لا تفسر إلا بالإحالة إلى مرجعها في العالم الخارجي، وهذا مبحث دلالي، والتداولية في تصور موريس تعتمد على علمي الدلالة و التركيب في محاولة الكشف عن مقاصد المتكلم.

وكذلك نظر إلى العلامات نظرة سلوكية، إذ تهيم المخاطب لاتخاذ رد فعل معين، فكل قول في وضع معين يؤدي في كل مرة إلى الاستجابة نفسها. وقد أصبح هذا البعد السلوكي محفزا لقيام العديد من الدراسات، والتي تضمنت دراسة الظواهر النفسية والاجتماعية الموجودة داخل أنظمة العلامات بشكل عام، وداخل اللغة بشكل خاص، كما تضمنت أيضا دراسة التصورات التجريدية، التي تشير إلى الفاعلين، ودراسة المفردات التأشيرية و الاشارات .

كما لاحظ بعض الاستعمالات اللغوية مثل ألفاظ التعجب، و صيغ الأمر، و بعض الأساليب البلاغية و الشعرية التي يتعرض لها مستعملو اللغة يمكن معالجتها في إطار البحث في اللسانيات التداولية⁽¹⁾، كما من شأنها دراسة ضمائر التكلم و الخطاب و ظريفي الزمان و المكان (الآن، هنا...)، والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها؛ أي من مقام التواصل، «ومع ذلك ظلت التداولية، في رأيه، لا تغطي أي بحث فعلي»⁽²⁾.

لم تصبح التداولية مجالا يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر، سيما و أنها لا تنتمي إلى أي من مستويات اللغة، صوتيا كان أم صرفيا أم نحويا أم دلاليا، فكل من هذه أنماط تجريدية ووحدات تحليلية على خلاف التداولية.

إلا أن هذا الأمر اختلف بعد قيام ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي بجامعة أكسفورد (Oxford) في العقد السابع من القرن العشرين بتطويرها، وهم جون أوستين (J.Austin)، وجون سيرل (J.Searle) ، وبول غرايس (P.Grice)، و كان هدفهم إيجاد طريقه توصيل معنى اللغة الطبيعية، من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها... و كان هذا من صميم التداولية⁽³⁾.

(1) محمد سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي ، دار المعرفة الجامعية ، ط 1، 2000، ص 175 .

(2) آن روبول و جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، تر: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 1، 2003، ص 29.

(3) محمود أحمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 9 .

فالتداولية عند أوستين جزء من علم أعم هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي، وبهذا ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر، هو المستوى الاجتماعي في نطاق التأثير والتأثير⁽¹⁾.

نخلص بعد هذا إلى أن التداولية هي «الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعبير الرمزية، و السياقات المرجعية، والمقامية، والحديثية، والبشرية»⁽²⁾.

ويمكن إيراد تعريف موجز للتداولية و أقرب للقبول، وهو أنها «دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل... فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم و السامع في سياق محدد مادي و اجتماعي و لغوي، و صولا إلى المعنى الكامن في كلام ما»⁽³⁾.

تصبو التداولية إذن لتجاوز النظرة الصورية للغة، والتي كانت محل اهتمام المدارس اللسانية و الفلسفية سابقا، وتدعو إلى ضرورة إيلاء العناية الكافية بظروف استخدام اللغة، الذي هو «خاصية جوهرية للغة نفسها»⁽⁴⁾ كما يرى هاليداي .

على هذا الأساس تحمل التداولية عدة مفاهيم ، أهمها ما يربطها بالتواصل و التفاعل بين مستعملي اللغة، أي كيفية إرسال و تأويل الخطابات في ظل تحقق الكفاءات التواصلية و اللغوية للمتكلمين، فالتداولية انطلاقا من هذا الاعتبار هي كما تعرفها ماري ديير (Marie Diller)، وفرانسوا ريكاني (Francois Récanati): «دراسة اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها التخاطبية»⁽⁵⁾، وعليه يمكن تسجيل النقاط التالية :

أ التداولية علم يهتم بدراسة اللغة الإنسانية في الاستعمال.

ب تسعى التداولية إلى الكشف عن المقدرة الانجازية التي تحققها العبارة اللغوية .

ج التداولية بحث في الدلالات التي تفيدها اللغة في الاستعمال⁽⁶⁾.

و يرى فرانسيس جاك (Francis Jaques) أن كل هذه المفاهيم تتجلى في التداولية، إذ تنطرق « إلى اللغة كظاهرة خطابية و تواصلية و اجتماعية معا»⁽⁷⁾.

(1) راضية خفيف ، التداولية و تحليل الخطاب الأدبي، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع 399 ، تموز 2004 ، ص 56 ، الموقع : <http://www.awu-dam.org> ، تاريخ الاطلاع على المقال : 2011/7/8 ، سا: 17:06.

(2) فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، تر : صابر الحباشة ، ص 18 .

(3) محمود أحمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 14.

(4) المرجع نفسه ، ص 271 .

(5) فرانسوا أرمينيكو ، المقاربة التداولية ، تر : سعيد علوش ، ص 8 .

(6) عبد الحليم بن عيسى ، المرجعية اللغوية للنظرية التداولية ، ص 11.

(7) فرانسواز أرمينيكو ، المقاربة التداولية ، ص 08 .

كما يعرفها الجليلي دلاش بأنها «تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للدلالة اللغوية في صلب أحاديثهم و خطاباتهم، كما يعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات و الأحاديث»⁽¹⁾.

فالأولى أن يتوفر في المتكلمين شرطا الكفاءة اللغوية و الكفاءة التواصلية (التداولية) لإتمام فعل التواصل ، فالكفاءة اللغوية « تستمد وجودها من وجود قواعد و أنظمة لغوية معينة ، بمختلف مستوياتها الصوتية و التركيبية و الدلالية»⁽²⁾.

هذا المفهوم التشومسكي اصطلح عليه ابن خلدون قبلا بالملكة، يقول: « اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني و جودتها و قصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ، و مراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع »⁽³⁾.

وأما الكفاءة التواصلية فهي « المعرفة بالقواعد النفسية و الثقافية و الاجتماعية، التي تتحكم في استعمال الكلام في إطار مجتمع معين »⁽⁴⁾، فعلى المتكلم أن يدرك بنية المجتمع الفكرية، كما عليه أن يدرك دور هذه البنية في صياغة قواعد تتحكم في استعمال الكلام.

ويرى بيار بورديو (Pierre Bourdieu) أن الكفاءة التواصلية هي « قدرة المتكلم على معرفة متى و كيف يستعمل اللغة، ومعرفة ما يجب قوله في ظروف معينة ، و متى يجب عليه السكوت، و متى يجب عليه الكلام، إنها المعارف التي تزداد على الكفاية اللغوية الصرفة، المتمثلة في ثراء الرصيد المعجمي عند مستعمل اللغة، و تمكنه من قواعد لغته، و السيطرة على المعاني و ووضوح خطابه »⁽⁵⁾.

إن مفهوم الكفاية التواصلية عند الغريبيين يلتقي و مفهوم البلاغة عند الجاحظ، إذ «هي اسم جامع لمعان كثيرة، منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع ، منها ما يكون في الإشارة ، و منها ما يكون في الاحتجاج، و منها ما يكون جوابا ، و منها ما يكون ابتداء»⁽⁶⁾.

مما سلف يمكن الإقرار بأن الكفاية التداولية نسق مكون من خمس ملكات على الأقل، هي:

أ الملكة اللغوية : حيث يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن ينتج و يؤول عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جدا، و معقدة جدا ، إنتاجا و تأويلا صحيحين ، في عدد من المواقف التواصلية المختلفة .

(1) الجليلي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، تر : محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، دت ، ص 1 .

(2) هادي نهر ، الكفايات التواصلية و الاتصالية ، دراسات في اللغة و الإعلام ، دار الفكر للطباعة و النشر ، ط 1 ، 2003 ، ص 88 .

(3) ابن خلدون ، المقدمة من كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تح : علي عبد الواحد وافي ، مكتبة الأسرة ، دط ، 2006 ، 1140/3 .

(4) هادي نهر ، الكفايات التواصلية و الاتصالية ، ص 88 .

(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) الجاحظ ، البيان و التبيين ، تحقيق و شرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، دط ، دت ، 1 / 116 .

آ الملكة المنطقية: بإمكان مستعمل اللغة الطبيعية على اعتباره مزودا بمعارف معينة أن يشتق معارف أخرى، بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي، والمنطق الاحتمالي .

آ الملكة المعرفية: و ذلك بتكوين رصيد من المعارف المنظمة ، واشتقاق معارف من العبارات اللغوية ، و تخزينها، و استحضارها لاستعمالها في تأويل العبارات اللغوية.

آ الملكة الإدراكية: تتأتى بادراك المحيط و اشتقاق معارف منه، و استعمالها في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها.

آ الملكة الاجتماعية: حيث لا يكفي مستعمل اللغة الطبيعية بمعرفة ما يقوله فحسب؛ بل لا بد من معرفة كيف يقول ذلك لمخاطب معين في موقف تواصل، معين قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة (1).

انطلاقا من هذا التقسيم للكفاءة التواصلية يبدو أنه من الصعب تحديد مجال تخصص التداولية و تعيين موضوعها، لكونها «لا تعد علما لغويا محضا - بالمعنى التقليدي - علما يكفي بوصف و تفسير البنى اللغوية، ويتوقف عند حدودها و أشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي و تفسيره، وعليه فإن الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلاقات بينها و بين الحقول المختلفة ؛ لأنها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة، كالبنية اللغوية ، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية ، و العمليات الذهنية المتحكممة في الإنتاج و الفهم اللغويين، و علاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال...» (2).

فالتداولية إذن تقع في مفترق الطرق بين علوم أو حقول معرفية عدة، مما صعب الأمر على الدارسين لتوحيد مفهومها، ومن تلك الحقول:

آ علم الدلالة (Sémantique): و تشارك التداولية في دراسة المعنى على خلاف في العناية ببعض مستوياته.

آ علم اللغة الاجتماعي (Sociolinguistique): يلتقي و التداولية في تبين أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث، والموضوع الذي يدور حوله الكلام، ومرتبة المتحاورين، وأثر السياق .

آ علم اللغة النفسي (Psycholinguistique): و يلتقي مع التداولية في الاهتمام بقدرات المشاركين ، التي لها أثر كبير في أدائهم ، مثل الانتباه و الذاكرة و الشخصية .

آ تحليل الخطاب (L'analyse du discours): يشارك التداولية في تحليل الحوار، ووضع مبادئه، وكذا تحليل الأفعال الكلامية (3).

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 57 .

(2) مسعود صحراوي ، التداولية عند العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، ص 16.

(3) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 10، 11.

وكان من نتائج هذا التداخل المعرفي الحاصل بين التداولية وغيرها من العلوم تعدد الترجمات، إذ ورد مصطلح التداولية⁽¹⁾ بصيغ عدة منها: التبادلية، والاتصالية، والنفعية، إلى جانب الذرائعية⁽²⁾.

وأضاف إليه بعضهم السياقية⁽³⁾، والمواقفية، والمقامية⁽⁴⁾ و علم المقاصد⁽⁵⁾، هذا الأخير (القصد) يعد من المفاهيم المرتبطة بالمتكلم، والتي تؤخذ بعين الاعتبار في الدرس التداولي، كما نجد لها صدى في التراث البلاغي و الأصولي و سنقوم بتوضيحه في فصول لاحقة .

كذلك يشير العلماء لتوجهات التداولية، فيرى جون ديويو (J dubois) أن التداولية كانت في البدء تعنى بخصائص استعمال اللغة، أي الدوافع النفسية للمتكلمين، وردود أفعال المستقبلين، والنماذج الاجتماعية للخطاب، و ذلك بمراعاة الخصائص التركيبية الدلالية، ثم تحولت مع أوستين إلى دراسة أفعال اللغة، إلى أن امتدت و اتسعت لتشمل نماذج الاستعمال، والتلفظ وشروط الصحة و التحليل الحوارية⁽⁶⁾.

وقد اعتمد البحاثه الكثير من المصطلحات، التي هي في حقيقتها تكرر الفوضى المصطلحية و لا تخدم الدرس اللغوي العربي ، لذا يبقى المصطلح الأكثر استعمالا و اطرادا في المغرب العربي بالذات هو مصطلح التداولية، وهو ما سيأخذ به هذا البحث .

هذا و قد انتقلت التداولية بمفاهيمها الغربية للفكر العربي المعاصر، وكان أول من استعمل هذا المصطلح طه عبد الرحمن⁽⁷⁾ أستاذ المنطق و فلسفة اللغة بجامعة محمد الخامس بالرباط.

يقول: «وقد وقع اختيارنا منذ سنة 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا)؛ لأنه يوفي المطلوب حقه؛ باعتبار دلالاته على معنيي الاستعمال و التفاعل معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين، الذي أخذوا يدرجونه في أبحاثهم»⁽⁸⁾.

(1) يستخدم الباحثون مصطلحات عديدة لترجمة التداولية ، منها : الذرائعية ، و هو ما قدمه حامد أبو أحمد في ترجمته لكتاب: نظرية اللغة الأدبية لـ : خوسيه ماري بوثولو ايفانكوس ، مكتبة غريب ، القاهرة ، دط ، دت ، ص88 ، و يسميها محمد محمد يونس علي بـ : علم التخاطب في كتابه المعنون: مقدمة في علم التخاطب الإسلامي _ دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص ، و نعمان بوقرة ، المدارس اللسانية المعاصرة ، ص 165 ، و فان دايك ، علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، تر : سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة للكتاب ، القاهرة ، ط1، 2001، ص 114.

(2) سعد البازعي و ميجان الرويلي ، دليل الناقد الأدبي ، ص 167 .

(3) فقد صرح ماكس بلاك " Max blak " أنه يجب أن تسمى بهذا المصطلح ، أنظر : علي آيت أوشان ، السياق و النص الشعري ، من البنية إلى القراءة ، ص 57 .

(4) أنظر : ج براون و ج بول ، تحليل الخطاب ، تر : محمد لطفي الزليطي و منير التريكي ، ص 342 .

(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) نعمان بوقرة ، المدارس اللسانية المعاصرة ، ص 165 .

(7) للباحث نظرات هامة في شأن تكامل العلوم ، و تناسقها ، و تداخلها ، و قد استدلل بآراء كل من الغزالي و ابن حزم في أن العلوم متعاونة و مترابطة و متعلق بعضها ببعض ، فعلم النفس المعرفي الذهني مثلا كان ميدانا لتلاقح عدة تخصصات : كعلم النفس ، و علم اللسانيات ، و الفلسفة ، و علم الاجتماع ، و علم النفس الاجتماعي... فجميعها تتحرك داخل دائرة تكاملية واحدة. و قد كان مجال اشتغال الباحث هو التراث الإسلامي العربي ، فيبحث في آليات إنتاج النص التراثي ، منطلقا من مسلمة منهجية و هي « أن المجال التداولي الإسلامي العربي يبنى على أصول عقديّة و لغوية تضبط قواعد تقوم بوظائف مخصوصة ، و تؤدي مخالفتها إلى آفات تداولية ، تختلف درجة ضررها باختلاف أنواع هذه القواعد و عددها » أنظر: محمد همام ، نظرية تكامل العلوم ، مجلة جذور ، ربيع الآخر 1425 هـ ، يونيو 2004 ، ص 223 .

وانطلق الباحث في كل ما سبق من فكرة أساسية مفادها أن الخطاب « لغة تبليغية تدللية توجيهية »⁽¹⁾، كما جعل التداولية فرعاً ثالثاً من فروع اللسانيات، بوصفها دراسة تجمع بين الدوال، ومدلولاتها، والدالين عليها، كما تشمل أعراض الكلام، ومقاصد المتكلمين، وقواعد التخاطب .

كذلك بحث العلماء العرب في مجال التداول، سيما في أصول الفقه⁽²⁾، والنحو و البلاغة ، هذه الأخيرة بوصفها « فن القول »⁽³⁾ : فالفن، هو كل ما يرتبط بالذوق و الاستخدام الشخصي للغة؛ أي أنه يقابل آثار المتكلمين على كلامهم ، وكيف يمكن للمتكلم أن يعدل من موقف سامعه، و هو مجال التداولية الأوسع، الذي حدده موريس في دراسة العلامات و علاقتها بمسئوليتها.

وأما القول فيشمل الأداء الفعلي للغة، ولذلك لم يفرق بعض الدارسين المحدثين بين البلاغة و التداولية، حيث يرى ليتش (Litch) في سياق حديثه عن البلاغة أنها تداولية في صميمها⁽⁴⁾ .

نستنتج من هذا التعريف أن البلاغة العربية هي استعمال و أداء للغة من طرف المتكلمين، بغية التأثير في بعضهم، و في هذا تشترك مع التداولية؛ بل أكثر من ذلك يرى محمد العمري أنه تم إعادة الاعتبار للبلاغة العربية في الدراسات السيميائية الحديثة تحت عنوان جديد " التداولية " ⁽⁵⁾.

كذلك عرفت البلاغة بأنها فن الإقناع؛ أي الاهتمام ببنية القول للوصول إلى النتائج المتوخاة منها، والبلاغة هي الإبلاغ أو التوصل إلى موضوع الاتصال، يقول أبو هلال العسكري « البلاغة كل ما تبلغ به من المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسه مع صورة مقبولة و معرض حسن »⁽⁶⁾ .

ويمثل البيان المحور الرئيس للجمع بين المجالين البلاغي و التداولي، حيث استقطب اهتمام الباحثين، خاصة و أنه أضحي يشكل المعادل الموضوعي لعلاقة اللغة بالمتكلمين في السياقات المختلفة.

والبيان عند الجاحظ « اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى... حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، و يهجم على محصله... لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع؛ إنما هو الفهم و

(2) طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، بيروت، ط2007، 3، ص 28 .

(1) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(2) بحث الأصوليون في ماهية البيان و أركانه و أقسامه و حدوده اللغوية بتأثر من علمي الكلام و أصول الفقه ، فجعلوه مرادفاً للفصاحة ، التي تعني الإظهار ، و المراد به إظهار الحق بالقرآن ، و هنا يتجلى الفعل الكلامي الانجازي الممثل في وظيفة النبوة المرسله بالتعاليم الإلهية للمخاطبين . كما تحدثوا عن السياق ، و هو مبحث خصص لاستنباط الأحكام الشرعية ، و استنتجوا القرائن التابعة له لفظية كانت أو عقلية أو حالية ، كذلك بحثوا في كيفية تلقي المكلفين للأقوال الإلهية ، و في انجازهم لها . كما أدركوا أهمية المقام في فهم خصوصيات المقال . أنظر في مؤلفاتهم : كشاف اصطلاح الفنون للتهانوي ، و الأصول للسرخسي ، و التعريفات للشراف الجرجاني ، و المستقصى للغزالي ، و الإحكام في أصول الأحكام للآمدي و غيرهم . كذلك تطرقوا إلى مفهوم "الاقتضاء" ، و هو من أهم المفاهيم التداولية المعاصرة ، التي ترى فيه تعبيراً عن قدرة المتكلم على أن يفهم أكثر مما يعلن عنه بالمعنى الحقيقي للألفاظ المستعمل . عادل فاحوري ، الاقتضاء في التداول اللساني ، عالم الفكر ، 3، ع1986، ص 141.

و للتوسع في مفهوم الاقتضاء طالع : جورج لايكوف ، اللسانيات و منطق اللغة الطبيعي ، تر: عبد القادر قتيبي ، إفريقيا الشرق، 2008، ص 57.

(3) صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، مكتبة لبنان ، ط1 ، 1984 ، ص 142 .

(4) خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة ، ط1 ، 2009 ، ص 155 .

(5) محمد العمري ، البلاغة العربية ، أصولها و امتداداتها ، إفريقيا الشرق ، دط ، 1999 ، ص 294 .

(6) أبو هلال العسكري ، كتاب الصنائع (الكتابة و الشعر) ، تح : علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط2 ، دت ، ص 19 .

والشأن نفسه بالنسبة للسكاكي، فقد بدت ملامح التداولية عنده من خلال توصيفه لعناصر العملية التواصلية ، وربطها بمقتضى الحال، لأن وضعية المتلقي و أحواله تساهم مساهمة فعالة في فهم المقصد فهما جيدا، وتحدد أيضا نوعية الكلام المرسل من المتكلم، لأن المتلقي سيكون خالي الذهن، أو مترددا في الحكم ، أو منكرا له. وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فيجعل غير السائل _ و هو خالي الذهن _ كالسائل، وقد يجعل غير المنكر كالمُنكر، وقد يجعل المنكر كغير المنكر⁽¹⁾. و يكشف لنا نص السكاكي عن أوضاع غير لسانية تؤطر الفعل التبليغي و عملية التلقي، وهي أوضاع نفسية و ذهنية في الأساس.

كذلك كانت لنظرية الأفعال الكلامية نصيب من اجتهادات السكاكي؛ إذ اهتم بالأساليب الإنشائية، من حيث البنية و الدلالة و الغرض، ولأن بلاغته تجمع بين النحو و المنطق و الشعر عُدَّ السكاكي أنموذجا عربيا متميزا، يمكن أن تكون آراؤه أساسا نظريا للسانيات تداولية عربية بعامة ، و لنظرية الأفعال الكلامية بخاصة⁽²⁾.

ويعد ابن خلدون الأنموذج المغربي الأمثل لدراسة التصور التداولي العربي، إذ نظر إلى اللغة _____اية من دراسة الأدب ، و تحدث عن اكتساب الملكة اللسانية (اللغة)، ليؤكد أن وظيفتها الإبانة و الإفهام، يقول: «اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني و جودتها و قصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع، وهذا هو معنى البلاغة»⁽³⁾.

و نلخص أهم المقولات التداولية الواردة في نص ابن خلدون في النقاط التالية :

× الملكة اللغوية . × الجودة و القصور .

× التعبير عن المعاني المقصودة. × مراعاة التأليف.

× مراعاة مقتضى الحال. × التبليغ .

× الغاية من إفادة المقصود للسامع × البلاغة.

وهي مقولات أعيدت صياغتها في التداولية المعاصرة بمفاهيم مثل: الأداء، الكفاءة، المقاصد ، التركيب ، السياق، المتلقي، البلاغية و غيرها.

ولنعد إلى فكرة مراعاة المقام و مقتضى الحال؛ إذ ربط صلاح فضل بين مفهوم التداولية، بوصفها العلم الذي يعني بالعلاقة بين النص و عناصر الموقف التواصلية، و بين فكرة مقتضى الحال، يقول: «ويأتي مفهوم

(1) أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ضبط و شرح و تعليق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1987، 2، ص 70 .

(2) محمد العمري ، البلاغة العربية ، أصولها و امتداداتها ، ص 27 .

(3) ابن خلدون ، المقدمة ، تح : علي عبد الواحد وافي ، 1140 / 3 .

التداولية هذا ليعطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال، و هي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية: لكل مقام مقال»⁽¹⁾.

هذه الفكرة الهامة يراعى فيها السياق و الغاية و بيان صاحب الحال متكلما أو سامعا أو هما معا ، و بنية المحادثة و فائدتها، يقول العسكري «و إذا كان موضوع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوق، والبدوي بكلام البدو، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى مالا يعرفه، فنذهب فائدة الكلام، و تنعدم منفعة الخطاب»⁽²⁾.

كذلك ينوه **السكاكي** إلى وجوب الالتفات إلى مقام التخاطب ، و مقامات المتخاطبين ، و أغراض الخطب و مقاصده، يقول: «فمقام الكلام ابتداء يغير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغير مقام البناء على الإنكار، وكل ذلك معلوم لكل لبيب. وكذا مقام الكلام مع الذكي يغير مقام الكلام مع الغبي، وكل ذلك مقتضى غير الآخر»⁽³⁾.

ولم يقتصر البلاغيون على وضع المقام في إطار خارجي؛ بل تحدثوا عن مقام التركيب فقالوا: "إن لكل كلمة مع صاحبها مقاما"، فيما أسماه المعنى المقالي .

ولاهتمام اللسانيين التداوليين بالمقام سميت التداولية بالمقامية، وحللو النصوص تحليلا شاملا يجمع بين المكون اللغوي، الذي يتمثل في التراكيب أو الجمل التي ينطق بها المتكلم، والمكون غير اللغوي الذي يتمثل في المصاحبات اللغوية أو الملامح شبه اللغوية المصاحبة لنطق المتكلم، مثل: النبر، والتنغيم، و الأداء الكلامي، والتعبيرات، والحركات الجسمية⁽⁴⁾.

هذه المصاحبات هي ما يحدد قصد المتكلم بالرغم من تنوع مقامات الكلام «فلا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يبين مقام الشكائية، ومقام التهنية يبين مقام التعزية، ومقام المدح يبين مقام الذم، ومقام الجد يبين مقام الهزل، ومقام البناء على السؤال يغير مقام البناء على الإنكار»⁽⁵⁾.

نستنتج من كل ما سبق العلاقة بين التداولية وبين المقام و السياق جد وثيقة، ذلك أنها «تعنى بالشروط و القواعد اللازمة للملاءمة بين أفعال القول و مقتضيات المقامات الخاصة به؛ أي العلاقة بين النص و السياق، و يلاحظ باستمرار تلك العلاقة الوثيقة بين التداولية و الدلالة و النحو، حيث يجمع بينها مستوى السياق المباشر، مما يجعل التداولية قاسما مشتركا بين أبنية الاتصال النحوية و الدلالية و البلاغية»⁽⁶⁾.

(1) صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، ص 26 .

(2) أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص 39 .

(3) أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 73 .

(4) كريم زكي حسام الدين ، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 3 ، 2001 ، ص 47 .

(5) أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 80 .

(6) سعيد حسن مجري ، علم لغة النص ، المفاهيم و الاتجاهات ، ص 288 .

x درجات التداولية:

ويعود هذا الاصطلاح إلى الهولندي هانسون (Hanson)⁽¹⁾، الذي كان أول من حاول التوحيد بين المكونات التداولية بطريقة نظامية، وذلك بتقسيم التداولية إلى ثلاث درجات متتالية، واختيار مصطلح الدرجات يوحي بفكرة العبور من درجة إلى درجة، لارتباط كل درجة بمظهر من مظاهر السياق، الذي يغتني كلما انتقلنا من درجة إلى درجة أعلى، وهذه الدرجات هي :

1_ تداولية من الدرجة الأولى: وذلك بدراسة الرموز الاشارية ضمن سياق استعمالها، أي المخاطبين و محددات المكان و الزمان، إذ أنها « توجد في المعجم الذهني للمتكلمين دون ارتباطها بمدلول ثابت »⁽²⁾، وعليه يتحدد مرجعها في سياق التخاطب، لخلوها من أي معنى في ذاتها، ولذلك سميت مبهمات أو متحولات، لتغيرها تبعاً للسياق الواردة فيه.

2_ تداولية من الدرجة الثانية : تتضمن دراسة الأسلوب أو الطريقة التي يتم بها التعبير عن القضايا المتحدث فيها ، كما تدرس كيفية الانتقال بالدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى الضمني (التلميح)، وعلى كل يتم في هذه الدرجة دراسة: قوانين الخطاب، مبادئ المحادثة، الحجاج، الأقوال المتضمنة... والسياق في هذا المستوى موسع، لأنه لا يهتم بمظاهر المكان و الزمان، و إنما يتعداها إلى المعلومات و يحمل الاعتقادات التي يتقاسمها المتخاطبون.

2_ تداولية من الدرجة الثالثة: وهي دراسة أفعال اللغة، و التي مفادها أن الأقوال المتلفظ بها ضمن وضعيات محددة لا تصف الحالة الراهنة للأشياء، بل إنما تنجز أفعالا سواء صريحة أو ضمنية، والسياق الاجتماعي في هذه الحالة يحدد لنا ما إذا كانت هذه الأفعال تفيد الأمر أو النهي أو الاستفهام... إلخ.

كذلك تتأسس التداولية على مجموعة من المفاهيم، أصبحت مجالاً للدرس اللغوي المعاصر، منها: مضمرات الخطاب، نظرية أفعال الكلام و نظرية الحجاج المشار إليهما سابقاً ضمن درجات التداولية، و التي سيتم التطرق إليها في فصول لاحقة من هذا البحث.

x متضمنات القول Les implicites

وهو من أهم المفاهيم التداولية يتعلق « بجوانب ضمنية و خفية من قوانين الخطاب »⁽³⁾؛ إذ ينتخب المتكلم ما يسمى بالإستراتيجية التلميحية في صياغة خطابه و ذلك استجابة لدواع سياقية، وانطلاقاً من قانون الإخبارية وقانون الشمولية يتحدد مقدار المعلومات التي على المتكلم أن يوفرها للمستمع، فللمتكلم مسوغاته التي تجعله يعدل عن استعمال الخطاب المباشر إلى خطاب التلميح، بدافع من عوامل معينة مثل: السياق المحيط، أو

(1) فرانسواز ارمينيكو ، المقاربة التداولية ، ص 38 .

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 79 .

(3) مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 30 .

السلطة (مرتبة المستمع)، أو الأعراف الاجتماعية و الضوابط الأخلاقية الشرعية ، أو رغبة من المتكلم في التملص و التهرب من مسؤولية الخطاب، أو مراعاة للتأدب، وما إلى ذلك .

وبالمقابل فإن المستمع و انطلاقا من ميثاق التعاون المنعقد بينه و بين المتكلم، يسعى إلى الكشف عما وراء الضمني، من خلال عمليات ذهنية استنتاجية ، بالنظر إلى المعطيات اللغوية للأقوال، أو بالنظر إلى الأحوال المصاحبة للخطاب ، و يدخل ضمن متضمنات القول بوصفه مفهوما تداوليا ، مظاهر عدة منها: الأفعال اللغوية غير المباشرة ————— ، و الافتراض المسبق، والقول المضمر.

× الأفعال الكلامية غير المباشرة : سيتم الحديث عنها في الفصل الثاني ضمن نظرية أفعال الكلام .

× الافتراض المسبق :

وتعرفه أوركيبوني بأنه « تلك المعلومات التي لم يُفصَح عنها، فإنها و بطريقة آلية مدرجة في القول الذي يتضمنها أصلا، بغض النظر عن خصوصيته»⁽¹⁾. ومن الممكن وصف الافتراضات المسبقة على أنها أفعال كلامية افتراضية Actes du parole prisuppositionnels⁽²⁾، وهو ما يؤكد ديكرو، فهو مثل الإثبات، و الاستفهام، أو الأمر، لأنها تقوم بتعديل العلاقات بين الدوات المتخاطبة، تخلق الالتزامات، و تؤسس الحقوق و الواجبات، و تُعين الأدوار ، وتكمن خصوصية الافتراض في الطريقة التي يفرض بها على المخاطب إطارا لاستمرار الخطاب : يجبره على الفعل، و كأن محتوى الافتراض حقيقة مؤكدة لا يمكن أن يعاد النظر فيها، و إذا وجد ربط ، فهذا الأخير لا يمكن من حيث المبدأ أن يؤدي إلا على مستوى المثبت ، و ليس على مستوى المفترض⁽³⁾.

× الأقوال المضمرة : القول المضمر شكل آخر للضمنية، يستنتج من المعنى "الجاني"، ومن

السياق، بواسطة الأسلوب الخطابي "الاستدلال"، بالاستعانة بقوانين الخطاب، أهمها قانون الإخبار و قانون الشمولية⁽⁴⁾.

و يتمثل الأسلوب الخطابي، الذي بواسطته نؤول ملفوظا يحتوي على الأقوال مضمرة أولا في ملاحظة: أن هذا الملفوظ على مستوى المعنى الجاني يخترق معيارا تواصليا في مستوى معناه الجاني، وطبقا لمبدأ المشاركة نزع من أن المتكلم يقوم بهذا الاختراق لجعلنا نفهم أن المعيار قد احترم في مستوى آخر من المعنى، أو أنه لا يخترقه

(1) C.K. Orecchioni, L'implicite, p25

(2) ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ، دط ، دت ، ص 124.

(3) أنظر: جون سيرفوني ، اللسانيات و التداولية ضمن كتابه : الملفوظية ، تر : ذهبية حمو الحاج ، ص 2.

(4) المرجع نفسه ، ص 3 .

إلا لاحترام معيار آخر أكثر أهمية . في كل الأحوال ما يثير التأويل ليس السؤال: ماذا يقول المخاطب؟؛ ولكن السؤال: في السياق الحالي، لماذا يقول المتكلم ما يقوله ؟⁽¹⁾.

وعلى كل يتحدد القول المضمر من خلال مجموعة من الاستنتاجات، يقوم بها المستمع «انطلاقاً من الملكة البلاغية - التداولية - الموسوعية والمنطقية له»⁽²⁾، ومن الأحوال المصاحبة لسياق موضوع الخطاب، ودور المتكلم في إبرازه لهذا الموضوع. وبذلك يمكن تعريفه بأنه « كل المعلومات التي يحتويها الخطاب، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث »⁽³⁾.

إن التزام المتخاطبين بهذه القوانين و القواعد ليس إجبارياً، وقد صنف براون لوفينسون (Levinson B.) «عدداً من الاستراتيجيات، التي ينتج المرسل بها خطابه ليخرق بها قواعد مبدأ التعاون»⁽⁴⁾، من قواعد: الكم، والكيف، والعلاقة ، و ذلك كآلي.

Ã خرق قاعدة الكم: و تتمثل الاستراتيجيات التي يخرق بها المرسل هذه القاعدة في: التهوين ، المبالغة أو المغالاة، تحصيل الحاصل.

Ã خرق قاعدة الكيف: وتتمثل الاستراتيجيات التي يخرق بها المرسل هذه القاعدة: التناقضات (Contradiction)، والتهكم (Ironie)، والاستعارة (Métaphore)، والأسئلة البلاغية (Questions (rhétoriques).

Ã خرق قاعدة العلاقة: وتتمثل الاستراتيجيات التي يخرق بها المرسل هذه القاعدة : التلميحات (Hints) ، ذكر معلومات تمهيدية ، إفادة الاقتضاء (Présuppose) .

(1) انظر: جون سيرفوني ، اللسانيات و التداولية ضمن كتابه : الملفوظية ، تر : ذهبية حمو الحاج ، ص 3 ، و ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ، ص 124 .

(2) C.K.Orecchi oni, L'implicite ,p40

(3) Ibid ,p39

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 437.

الفصل الأول

إشكالية المقاربة التداولية للخطاب الأدبي

توطئة

- × الخطاب الأدبي خطاب تواصلية .
- × الخطاب الأدبي خطاب في سياق .
- × الخطاب الأدبي خطاب ذو مقاصد .
- × الخطاب الأدبي خطاب حوارية .
- × الخطاب الأدبي خطاب لغوي مخصوص .

توطئة :

إنَّ من المحاسن التي تحسب للتداولية أنَّها لم تقصر اهتمامها على مجال الدراسة اللغوية وتحليل الخطاب في مستوى الاستعمال العادي أو التواصل؛ بل وسعت مجال اهتمامها ليشمل تحليل الخطاب الأدبي، وذلك من خلال تطوير مفاهيمها النظرية و أدواتها التحليلية لتوائم هذا " الاستخدام المخصوص " للغة .

إلاَّ أنَّ التداولية كمنهج جديد لتحليل الخطاب الأدبي واجهت معارضا من مختلف المناهج الأخرى؛ البنيوية و الأسلوبية و غيرها، وذلك لانصرافها بادئ الأمر إلى تحليل الكلام في بعده التواصل و الانجازي، ومن ناحية أخرى يغلب على الخطاب الأدبي أن قيمته في ذاته لا في وجوه استخدامه. وقد انتهت هذه المسألة عند الكثير من الدارسين إلى القول بأن « الرغبة في الوصل بين التحليل التداولي و اللغة الأدبية تمثل تحديا، و تفضي إلى ما يشبه المفارقة... و ذلك لأن التداولية تتعلق بتحليل اللغة العادية و دراسة الحياة اليومية ، أما الأدب فيستعمل خلافا لذلك خطابا تخيليا يحيل على الحياة المتخيلة »⁽¹⁾.

ولتجاوز هذا التعارض سعى التداوليون إلى محاولة التعديل في مفاهيم المنهج التداولي، وتطويعها لتلائم الخطابات الأدبية، وكذلك الوقوف على المعطيات اللسانية و البلاغية و الانطلاق منها في التحليل، كما سعى اتجاه آخر لتغيير النظرة السائدة إلى الأدب، على اعتبار أنه خطاب بلا مرجع و لا سياق .

كذلك عمد المهتمون بمجال التداولية إلى نقد المناهج السابقة ، بإكساب بعض المصطلحات النقدية و المفاهيم الأدبية التي أفرزتها مضامين و مدلولات جديدة ، أضافت إليها روحا مغايرة ؛ بل و أحيت مفاهيم كانت قد أقصيت : كالمؤلف ، و المتلقي ، و السياق ، و المرجع ، و الذاتية ، و التواصل ، و المقصدية ... على نحو يجعل المقاربة التداولية للأدب ممكنة بل ضرورية .

ولقد توصلت الأبحاث التداولية إلى إرساء مفاهيم جد هامة في مجال تحليل الخطاب الأدبي، لعل أهمها:

(1) Elfie Poulin, Approche Pragmatique de la Littérature, p 08

نقلا عن : مجلة كتابات الالكترونية ، المقاربة التداولية للخطاب الأدبي ، تاريخ صدور المقال : 10 / 06 / 2011 ، تاريخ الاطلاع عليه : 8 / 7 / 2011 ، سا : 56 : 17.

x الخطاب الأدبي خطاب تواصلية :

تضطلع اللغة بأداء وظيفة ربط جسور التواصل بين البشر، وهي في جوهرها نظام من الرموز الصوتية تختزنها أذهان الجماعة اللغوية، وتستعمل للتفاهم بينهم، ولتوصيل مقاصدهم كما ذكر ابن جني ذلك في حده للغة⁽¹⁾، التي « هي الأداة العجيبة التي تميز النوع البشري عن الأنواع الحيوانية الأخرى »⁽²⁾.

وقد أعطى ابن جني للغة سمة الجماعية، وهي من سمات التواصل، إذ لا تقوم اللغة إلا بتوفر ملق و متلق يتبادلون فيما بينهم الخبرات، ويبلغون أغراضهم، ذلك «أن الكلام غير مقصود في نفسه؛ وإنما احتيج ليعبر الناس عن أغراضهم و يفهموا المعاني التي في نفوسهم»⁽³⁾.

فاللغة من هذا المنطلق لازمة الحضور مع الإنسان، فما يميزه منذ الأزل أنه « كان دليلا مستدلا »⁽⁴⁾ فلم يكن للإنسان وسيلة يمارس بها خاصيته المميزة (الاستدلال) إلا البيان أو اللغة . وإذ ذاك « حد الإنسان : الحي الناطق المبين »⁽⁵⁾، وفي ذلك تحديد لأطراف التواصل كلها : مبينا له، ومبيناً عنه، ومبيناً .

ويعرف الجاحظ البيان بقوله: «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى... حتى يفضي السامع على حقيقته، و يهجم على محموله... لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع، إنما هو الفهم و الإفهام »⁽⁶⁾، والجاحظ في موضع آخر اخرج التواصل من دائرته الضيقة من خلال تعلقه بالمنطوق فقط، فوسعه ليشمل « جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص و لا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة »⁽⁷⁾.

فالتواصل لا يقتصر على اللفظ فحسب، فقد يكون بالكتابة، أو بالإشارة و الإيماءة، أو بالعقد، أو بالنصبة، التي «هي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السموات و الأرض، وفي كل صامت و ناطق، و جامد و نام... فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان، ولذلك قال الأول: سل الأرض، فقل: من شق أمهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك، فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا »⁽⁸⁾.

وكلما كان الإنسان أقدر على التعامل مع اللغة... تعبيرا و استجابة، كان أكثر امتلاكا لما به الإنسان هو إنسان : كونه «حيوان فصيح»؛ بالفصاحة و ليس بمجرد «العقل» تتحدد ماهيته⁽⁹⁾.

(1) ابن جني (أبو الفتح عثمان) ، الخصائص، تح : محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ، 1952 ، 33/1 .

(2) جورج موان ، اللسانيات و الترجمة، تر: حسين بن زروق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2000 ، ص 53 .

(3) ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 1 ، 1982 ، ص 221 .

(4) الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1969 ، 70/1 .

(5) الجاحظ ، البيان و التبيين ، 77/1 .

(6) المرجع نفسه ، 42/1 ، 43 .

(7) المرجع نفسه ، 76/1 .

(8) المرجع نفسه ، 81/1 .

(9) أنظر : محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 2 ، 1985 ، ص 75 .

كما يظهر مفهوم التواصل عند العلماء العرب من خلال حديثهم عن البلاغة، يقول ابن سنان الخفاجي: «يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء فهم الناطق، ولا الناطق من سوء فهم السامع»⁽¹⁾، إذ يركز على الوظيفة الالفهامية للغة؛ أي أنها فهم و إفهام بين المتكلم و المستمع، ومن ذلك تعريف ابن المقفع للبلاغة، يقول: «البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع... و منها ما يكون خطبا»⁽²⁾، فيما يؤكد السكاكي على شرط حسن التركيب حتى تجري عملية التواصل على أحسن وجه، فالبلاغة عنده: «هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفيه خصائص التراكيب حقها»⁽³⁾.

فيما ركز سيبويه على استقامة الكلام⁽⁴⁾ حتى يصل المتكلم إلى ذهن المتلقي؛ فالمستقيم الحسن يفهم بطريقة سهلة بسيطة من خلال حسن اللفظ واستقامة المعنى، أما المستقيم الكذب مستساغ من حيث حمله على المجاز، وأما المستقيم القبيح فإن السامع يصعب عليه فهمه؛ لأن الألفاظ في غير موضعها، وأما المحال الكذب و المحال فينقطع فيهما التواصل لعدم استقامة الكلم، وهنا يبدو لنا اهتمام النحاة بالتواصل، فالغاية من اللغة إفهام السامع من خلال التعابير المستقيمة⁽⁵⁾.

من خلال ما سبق يتضح أن الحديث عن التواصل في المدونات اللغوية و النقدية القديمة لم يرد كمفهوم مستقل؛ بل اندرج ضمن تعاريف اللغة و البلاغة، وبالرغم من ذلك لم يغفلوا أيا من أطراف العملية التواصلية بدءا من قناة التواصل (اللغة أو ما يقوم مقامها)، ووصولاً إلى الرسالة (الخبر المنقول)، والسياق (المقام أو ما سموه مقتضى الحال)، الشفرة (المواضعة)، بالإضافة طبعاً إلى المتكلم و السامع .

(1) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص 61.

(2) الجاحظ، البيان و التبيين، 1/ 115، 116.

(3) السكاكي، مفتاح العلوم، ص 415.

(4) أولى سيبويه عناية كبيرة لعملية التخاطب في فهم الكلام المفيد، و في إدراك لطائف التركيب اللغوي في العربية، و استحضر البعد السياقي

في تعليقه للمسائل النحوية، و ليس أدل على ذلك من تقسيمه للكلام من حيث الاستقامة و الإحالة، فقد قسم الكلام إلى حسن و محال و

مستقيم كذب و مستقيم قبيح و محال كذب، انظر: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه تح: عبد السلام محمد بن هارون، دار

الجيل، بيروت، ط 1، دت، 25/1، 26، و هذا التقسيم للكلام يستند إلى المتصورات التداولية التي تحتكم إلى السياق، الذي يقرر استقامة

الكلام أو إحالته، كذبه أو قبحه، وفق تقدير النسبة الواقعية أو العقلية بين الكلام و المرجع، و بناء على ذلك يتم تداول اللغة و تبادل المعنى على

مواضع اجتماعية و ثقافية، أحمد يوسف، السيميائيات و التواصل، علامات 24، 2005، محور العدد: التواصل الإنساني و أشكاله ص:

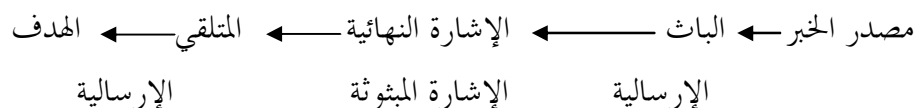
موقع الباحث سعيد بنكراد www.saidbengrad.net، ص 41.42، أنظر أيضا: المثال النحوي بين الدلالة الاجتماعية و القاعدة

النحوية، كتاب سيبويه أمودجا ضمن كتاب: حسن خميس المخ، رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان،

الأردن، ط 1، 2007، ص 139.

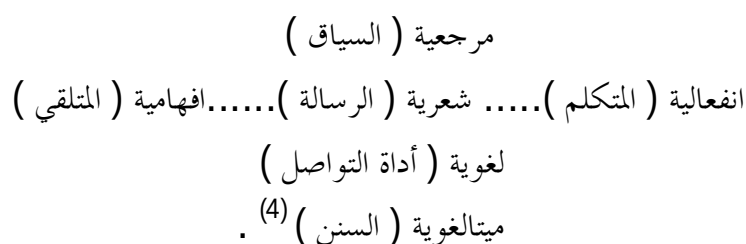
(5) أنظر، مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيبويه، ص 245.

هذا عن التواصل في المدونة العربية، أما الدراسات المعاصرة فقد اهتمت بهذا المفهوم بشكل برز في مختلف التخصصات و الميادين . وقد بلور شينون و ويفر نظاما عاما للتواصل تظهر الطريقة التي ينتقل بها الخبر كما في الترسمة الآتية⁽¹⁾:



ويرى مارتيني أن الاتصال «إحدى وظائف اللغة... وهي الوسيلة التي تسمح لمستعمليها الدخول في علاقات مع بعضهم بعض، وهي التي تضمن التفاهم المتبادل بينهم»⁽²⁾، إذ للغة وظائف متعددة الاتصال أهمها، نظرا لسماعه بإقامة علاقات متبادلة بين مستعملي اللغة .

وقد قسم جاكسون وظائف اللغة إلى ست خانات «مرتبطة بوظائف محددة، فكل خانة تشير إلى وظيفة معينة، فالانفعال مرتبط بالمتكلم (الوظيفة الانفعالية) ، أما المتلقي فقد يكون عرضة للزجر، والأمر، والنهي، والتوجيه (الوظيفة الفهامية) ، أما الشعري فمشواه الإرسالية (الوظيفة الشعرية) ، ويتحدد المرجعي من خلال الإحالة على السياق (الوظيفة المرجعية)، ويرتبط السنن باللغة الواصفة (الوظيفة الميتا لغوية) ، وقد لا تتجاوز الواقعة البلاغية حدود الحفاظ على حالة من التواصل من خلال التأكيد على أداة الاتصال (الوظيفة اللغوية) »⁽³⁾. وتلك هي الوظائف الست التي يشير إليها جاكسون من خلال صياغة نموذج التواصل الآتي :



ويشير روبول (Robéole) إلى تزامن هذه الوظائف في الرسالة الواحدة ولكن الفرق يكمن في قوة حضور كل وظيفة، وذلك حسب الخطاب نفسه. فيما « يستعرض (ليتش) الوظائف اللغوية من وجهة نظر وظيفية عند عدد من الباحثين من خلال مستويات متنوعة انطلاقا من أن النظرية الوظيفية تعد اللغة شكلا

(1) سعيد بنكراد ، استراتيجيات التواصل ، مجلة علامات، المغرب، ع21 ، 2004 ، محور العدد : استراتيجيات التواصل ، موقع الباحث سعيد بنكراد www.saidbengrad.net ، ص 08 ، وأيضا: عبد الله إبراهيم و آخرون ، معرفة الآخر ، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، 1996، ص 91.

(2) عبد الجليل مرتاض ، اللغة و التواصل ، دار هومة ، الجزائر ، ط ، 2003 ، ص 80 .

(3) سعيد بنكراد ، استراتيجيات التواصل ، مجلة علامات 21 ، ص 9 ، 10.

(4) المرجع نفسه، ص 10 .

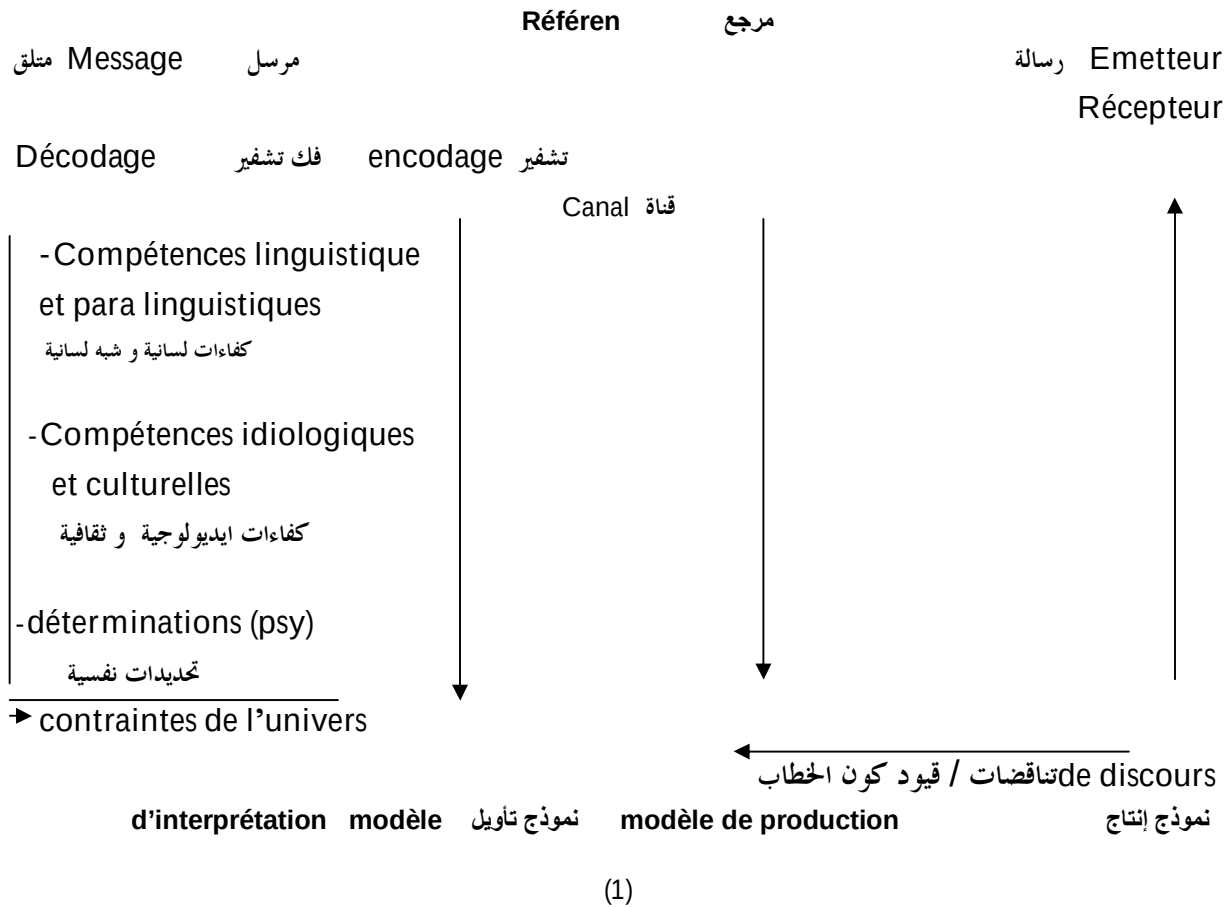
اتصاليا يعمل في أنظمة اجتماعية كبرى، ليصبح كل ما يتعلق بالأهداف، و الخطط، و الافتراضات، والمقاصد، من صميم هذه النظرية «⁽¹⁾»، كما تنحصر وظائف استعمال اللغة عند بوبر (Popper) في أربعة وظائف، مرتبة من الأدنى إلى الأعلى هي:

- 1_ الوظيفة التعبيرية (لتعبير الشخص عن حالاته الداخلية) .
 - 2_ الوظيفة الاشارية (لتبليغ الشخص المعلومات المتعلقة بحالاته الداخلية إلى الآخرين) .
 - 3_ الوظيفة الوصفية (لوصف الأشياء في المحيط الخارجي) .
 - 4_ الوظيفة الحجاجية (لتقييم الحجج و تبريرها)⁽²⁾.
- ويرى بوبر أن هذه الوظائف تكون هرما، بحيث ينطلق المتكلم أولا من التعبير عما في نفسه⁽³⁾، و توضيح حالاته الداخلية (التعبيرية)، ومن ذلك فهو يبلغ شخصا ما معلومات تتعلق بهذه الحالة (الاشارية)، على أن ذلك يرتبط بما في المحيط الخارجي، فيذهب واصفا إياه (الوصفية) في إطار خارجي به يقنع مستمعه (الحجاجية)، وهكذا تؤدي اللغة عند (بوبر) الوظيفة المنوطة بها ، و هي الاتصال .
- وقد أعادت أوركيوني تشكيل نموذج الاتصال الذي قدمه جاكسون كالآتي :

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ص 14 .

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(3) و هي نفسها الوظيفة الانفعالية عند جاكسون ، إذ يرى (روبرول) أن التسمية الملائمة لها هي الوظيفة التعبيرية ، لأنَّ التعبير عن الذات ليس محصورا في الانفعال . أنظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 13 .



ووفقا لهذا المخطط يقوم طرفا الخطاب، الذي يمتزج فيه اللساني برموز تبحث هي الأخرى عن التأويل، بفعل التواصل، مزودين بالكفاءات اللسانية و شبه اللسانية و الإيديولوجية الثقافية، إضافة إلى الوضع النفسي، بحيث يقوم المتكلم بالتشفير، الذي يقتضي بالضرورة فك التشفير الملقى على عاتق المتلقي، باعتبار أن «كل نص يمتلك هدفا صريحا أو مكنيا (يشغل على تظاهرات و معتقدات و/أو سلوكيات المتلقي (فردا أو جماعة)»⁽²⁾.

ولأن موضوع الاتصال موضوع في غاية الأهمية فقد تعددت تعاريفه عند الباحثين المعاصرين، فقلما نجد تعريفا يضم جل عناصر العملية التواصلية، على أن (جون دييوا) اقترح في معجم اللسانيات تعريفا نورد هما كالآتي:

(1) Catherine kerbrat orécchioni , De la subjectivité dans le langage , p 17

نقلا عن : أحمد مداس ، المعينات و الموجهات في سيمياء التواصل من تشكيل الخطاب إلى تضاد العوالم ، الملتقى الدولي الخامس (السيميائية و النص الأدبي) ، ص 03 .
(2) المرجع نفسه ، ص 04 .

✕ التواصل la communication تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظا أو قولاً موجها نحو متكلم آخر يرغب في السماع أو إجابة واضحة أو ضمنية Explicite ou implicite ، وذلك تبعاً لنموذج الملفوظ الذي أصدره المتكلم»⁽¹⁾.

✕ التواصل حدث، نبأ ينتقل من نقطة إلى نقطة أخرى، و نقل هذا النبأ يكون بواسطة مرسله استقبلت عدداً من الأشكال المكشوفة «qui a été codé»⁽²⁾.

ففي هذا التعريف ركز جون ديوي و زملاؤه على جميع أقطاب العملية التواصلية من متكلم/ سامع/ رسالة/ قناة / شفرة ، و فيما يلي عرض لكل طرف على حدة:

1_ المتكلم : و يعد الطرف الأساس في عملية التواصل ذلك لأنه:
Ã المبتدئ لعملية التواصل .

Ã ولأن حضوره يتطلب حضور العناصر الأخرى (الرسالة ، السامع ، المقام).
وتجدر الإشارة ،هنا، إلى أن صفتي التكلم و السمع صفتان لا تنفصلان، إذ لا يمكن أن يكون الفرد متكلماً أبداً ، و لا مستمعاً أبداً، وإنما يكون على إحدى الحالتين التاليتين :
Ã إما أنه كان مستمعاً أولاً ثم تكلم استجابة لطرف آخر .

Ã وإما أنه أصبح مستمعاً بعد إلقائه الكلام و انتظار رد السامع الذي يتحور بدوره إلى متحدم، وبددت كانت العرب ترى أن المتكلم الجيد هو المستمع الجيد، وهذا التصور هو ما تهتم به اللسانيات العصبية (Neurolinguistique) ؛ إذ تقرر أن ألياف الحركة في الجهاز العصبي تنقل الحوافز العصبية إلى العضلات المتحركة في جهاز النطق من منطقة بروكا التي تتحكم في النشاط الحركي لأعضاء النطق ، كما ثبت أن ممارسة عملية الكلام تقتضي تعاوناً بين مركز النشاط الحركي لأعضاء النطق و مركز السمع في المخ⁽³⁾.
إن عملية التكلم، انطلاقاً مما سلف، عملية جد معقدة⁽⁴⁾، إلا أن حدوثها باستمرار في حياة الإنسان جعله يراها بغاية اليسر و السهولة، وعلى أي لا بد لكل متكلم مراعاة ما يلي :

Ã ضبط المعنى أو المعاني التي يريد تبليغها و ترتيبها ترتيباً مناسباً .

Ã اختيار القوالب اللفظية المناسبة لتلك المعاني .

Ã اعتبار طبيعة المقام و مراعاته .

Ã التنسيق بين عناصر التواصل : المتكلم ، السامع ، المقام ، الرسالة ، ...

(1) Jean Dubois et autres , dictionnaire de linguistique et des sciences du langage ,Larousse Bordas ,2ème édition , 1999, p 94

(2) Ibid. , p 94 ,95

(3) سعد عبد العزيز مصلوح ، دراسة السمع و الكلام ، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 2000 ، ص 268 .

(4) للتوسع في الموضوع أنظر: عبد الرحمن أيوب ، تحليل عملية التكلم و بعض نتائجه التطبيقية ، عالم الفكر ، مج20 ، عدد 3 ، أكتوبر_نوفمبر_ديسمبر 1989 ، ص 593 .

والتكلم على هذا الأساس هو الذات الناطقة، أو بعبارة أخرى هو مستعمل اللغة المنطوقة في موقف تواصلية قصد إبلاغ المستمع رسالة ما، وعليه يخرج من دائرة التكلم مستعمل الكتابة؛ لأنها لغة صامتة، و يسمى مستعملها كاتباً، كما لا يدخل مستعمل الإشارة سواء باليد أو بالوجه أو بالثوب أو بالآلة؛ إذ يسمى مشيراً، كما لا يدخل فيه ناقل الكلام؛ إذ ينحصر دوره في عقد الخبر، وبهذا لا يمكن أن يعد متكلماً حقاً، وإنما يعرف باسم المرسل بينما المتكلم « ينشئ »⁽¹⁾، و ما إطلاق مصطلح التكلم على كل تلك الحالات إلا من باب التجوز لا غير.

وفي كل تلك الحالات لا يمكن التغاضي عن أهمية القصد في تشكيل اللغة؛ إذ به يتميز المتكلم عن المرسل، فالمتكلم ذات تتوفر على مقصد أو مقاصد يبلغها بطريقة الإظهار و الإضمار، بينما المرسل يفقر إلى القصد، كما أنه لا يستعمل إلا طريقة الإظهار⁽²⁾.

ويعد المتكلم صاحب السلطة على اللغة يشكلها و يستعملها كيفما شاء، فاللغة خارج الممارسة و الاستعمال كبعض الأجسام؛ لا هي ساكنة، ولا هي متحركة⁽³⁾، كما « يحتل من نظرية... البلاغية منزلة مرموقة، فهو طرف أساسي في عملية الكلام، وعنصر فعال في تحديد خصائص النص، إذ على عاتقه تقع كلفة إخراجها على سمت يستجيب لمقتضيات الوظيفة والإبانة والمقام »⁽⁴⁾.

وهو الذي يعمل الأعمال الدلالية التي تنقلب عند النحوي إلى مفاهيم نحوية، ويعمل الأعمال الدلالية التي تنقلب عند البلاغي إلى مفاهيم بلاغية معنوية أو مجازية أو بديعية⁽⁵⁾، كما أنه « مدعو لتحقيق المناسبة المرجوة و حتى لا يخرج عن حد البلاغة إلى مراعاة الغرض الذي يسعى الحديث إلى تحقيقه، فلا يخلط بين أقدار الألفاظ وأقدار المعاني، ولا يتصنع الجدل حيث يجب الهزل »⁽⁶⁾.

وكذلك مطابقة الكلام لمقتضى الحال من عمل المتكلم فهو الذي يطلب منه أن يراعي المقامات وتفاوتها طبقاً للقواعد والأصول الموضوعية «لأن تنزيل الكلام هذه المتزلة يحتاج إلى إتمام الآلة وإحكام الصنعة»⁽⁷⁾، كما يحتاج إلى اقتناع المتكلم بأن «سياسة البلاغة أشد من البلاغة»⁽⁸⁾.

(1) طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان، ص 258.

(2) المرجع نفسه، ص 216.

(3) أنظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص 470.

(4) حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه و تطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، منشورات الجامعة التونسية المطبعة الرسمية، دط، 1981، ص 248.

(5) أحمد العلوي، الطبيعة والتمثال، ص 228، نقلاً عن: رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، مجلة اللسان العربي، الموقع:

www.allesan.org تاريخ الاطلاع على المقال: 2011 / 04 / 23، ص 12: 08، ص 12.

(6) حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص 211.

(7) الجاحظ، البيان و التبيين، 1/ 197.

(8) و هو قول لسهل بن هارون كما ورد في البيان و التبيين، الصفحة نفسها.

من خلال ما سبق يتوضح أن المخاطب إنما هو «الذات المحورية في إنتاج الخطاب ، لأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف معين ، و يجسد ذاته من خلال بناء خطابه باعتماده استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السياق ذهنيا و الاستعداد له ، بما في ذلك اختيار العلامة اللغوية الملائمة»⁽¹⁾.

وبالنسبة لكتاب **كليلة ودمنة** فإننا نكتشف من الوهلة الأولى أن مؤلفه هو نفسه المترجم عبد الله بن المقفع ، لكننا نصدم باعتراف هذا الأخير أن الكتاب إنما هو:

« مما وضعته علماء الهند من الأمثال و الأحاديث التي ألهموا أن يدخلوها فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النحو الذي أرادوا، و لم تنزل العلماء من كل أمة و لسان يلتبسون أن يعقل عنهم، و يحتالون لذلك بصنوف الحيل، و يبتغون إخراج ما عندهم من العلل في إظهار ما لديهم من العلوم و الحكم حتى كان من تلك وضع هذا الكتاب على أفواه البهائم و الطير، فاجتمع لهم بذلك خلال، أما هم فوجدوا منصرفا في القول و شعابا يأخذون منها ، ووجوها يسلكون فيها»⁽²⁾.

إذن لا وجود لمخاطب واحد، وإنما عدة مخاطبين أو مرسلين إلا أنهم غير محددين لا زمانا و لا مكانا، لذلك فإننا سنعد كلا من المترجم ابن المقفع و الفيلسوف بيدبا مرسلين لخطاب **كليلة ودمنة**، الأول منهما لترجمته الكتاب في ظل العصر الذي عاش فيه، وهو العصر العباسي تحت حكم الطاغية أبو جعفر المنصور ، و الثاني بيدبا الذي يجيب مخاطبه الملك دبشليم عن كل تساؤل يطرحه عليه ، فالمرسل أو المخاطب، ههنا ، هو الفيلسوف بيدبا ، ورد على لسانه : « إن الملك دبشليم قد بسط لساني في أن أضع كتابا فيه ضروب الحكمة»⁽³⁾ ،

و لما مكث الملك بعد مناصحة بيدبا على حسن السيرة «صرف همته إلى النظر في الكتب التي وضعها فلاسفة الهند لآبائهم و أجداده فوقع في نفسه أن يكون له أيضا كتاب مشروح ينسب إليه و تذكر فيه أيامه كما ذكر آباؤه و أجداده من قبله، فلما عزم على ذلك علم أنه لا يقوم إلا بيدبا»⁽⁴⁾ على أن يكون « كتابا بليغا تستفرغ فيع عقلك يكون ظاهره سياسة العامة و تأديبها على طاعة الملك ، و باطنه أخلاق الملوك و سياستها للرعية»⁽⁵⁾. وبالفعل تم تأليف الكتاب كما ينبغي، وألقي في جو احتفالي مشهدي (Scénographie) ، و قد ورد في الكتاب: « ثم نادى في أقاصي بلاد الهند ليحضرُوا قراءة الكتاب، فلما كان ذلك اليوم أمر الملك أن ينصب لبيدبا سرير مثل سريره و كراسي لأبناء الملوك و العلماء»⁽⁶⁾.

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 45 .

(2) كليلة و دمنة ، ص 55 .

(3) المصدر نفسه، ص 32 .

(4) المصدر نفسه، ص 33 .

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) المصدر نفسه ، ص 38 .

وعليه توفر أهم أقطاب العملية التواصلية وهو المرسل متمثلاً في شخص الفيلسوف بيدبا، و المتلقي الملك ديشليم و من حضر من الخواص و العوام في إطار الحوارية، وذلك من خلال تكرار بعض العبارات من قبيل: (حدثني عن ، قد سمعت ، أخبرني...).

أما عن احتمالية أن يكون ابن المقفع هو المرسل الفعلي أو المؤلف الحقيقي لخطاب كليلة و دمنة فلا يمكن الجزم بذلك ، سيما و أن كل الخطابات نسبت إلى الفيلسوف بيدبا، وبحسب ليتش و شورت (G.N.LEECH ET M.H. SHORT) لابد من الحديث هنا عن « كاتب ضم _____ ني ، و قارئ ضم _____ ني (مفترض) »⁽¹⁾ وفق الشكل الآتي :

كاتب ضمني (ابن المقفع) _____ قارئ ضمني (في العصر العباسي).

مخاطب مباشر (الفيلسوف بيدبا) _____ مستمع مباشر (الملك ديشليم).

2_ السامع/القارئ :إن « السمع أبو الملكات اللسانية »⁽²⁾، ولذلك يحتل السامع المرتبة نفسها التي يحتلها المتكلم في عملية التواصل، إذ هو المقصود من الخطاب، والذي من أجله أنشئ، وعملية السمع كما هي عملية الكلام جد معقدة، وتتم على مراحل متعددة، بداية من خروج الصوت من فم المتكلم و انتهاء برد الفعل، مروراً بالسمع و الإدراك و التأويل و التحليل و الفهم .

ولفهم الرسالة الشفوية يستثمر المستمع أموراً غير المعلومات السمعية ، كأن يركز على معرفته بالمتكلم _____ و حاله ، و قد يلجأ إلى الدلالات البصرية من خلال مراقبة وجهه و سماته و حركاته ، إضافة إلى المهارات اللغوية والإدراكية و المعلومات المخزنة في الذاكرة، وكل ذلك يجعل من عملية السمع عملية معقدة متعددة الجوانب، تتشابه فيها العلاقات بين هذه العناصر، وتتضاعف كلما كان التواصل نوعياً، وعلى قدر من الأهمية، من حيث موضوعه، و من حيث لغته، ومن حيث تعلقه بالسامع .

كما يعد المخاطب (المستمع / المتلقي) قطبا آخر من أقطاب العملية التواصلية، فمراعاته ومراعاة مقامه و جلب انتباهه مما يؤثر في تركيب الجمل وحشر مكوناتها وفق ترتيب معين، كما أن عدم اعتبار المخاطب قد يؤدي إلى خلق حالة فيه معاكسة تماماً لما كان المتكلم يروم فيه .

فمعرفة "أقدار المرتلة" واجبة لأن « مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منزلتهم »⁽³⁾ ، وذلك من مهام المتكلم الذي يجب أن يبلغ من السامع مقصده و أولاهها نشاط السامعين

(1) محمد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط2، 2006، ص302.

(2) ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق و شرح : علي عبد الواحد وافي ، 1129 / 3 .

(3) الجاحظ ، البيان و التبيين ، 93/1 .

ووجودهم على هيئة جسدية وعقلية تسمح لهم بتمثل ما يقال لهم⁽⁴⁾.

انطلاقاً مما سبق لا يمكن الفصل بين طرفي الخطاب، المتكلم و السامع، لأنهما يشكلان بؤرة العملية التواصلية ، فهما اللذان ينقلان اللغة من مجال الوجود بالقوة إلى مجال الوجود بالفعل، وبذلك يشترط وجودهما في كل موقف تواصل، حتى ولو كان « أحدهما فاعل حقيقي و الآخر فاعل على وجه الإمكان »⁽¹⁾. ولأهمية المتلقي و لقيمة الرسالة في خطاب كلية و دمنة تفتن المرسل الفيلسوف بيدبا إلى تعدد المتلقين لهذا الخطاب الواحد، تبعاً لقدرات و درجات استيعاب كل منهم، و انطلاقاً من هذه الاحتمالية يفترض وجود ثلاثة أنماط من القراء أو المتلقين هم على التوالي :

أ_ القارئ الهاوي : كالحبين للهو ، و الأطفال الصغار ، ممن تستهويهم الحكاية الخرافية ، ورد في الكتاب : «وأما الكتاب فجمع حكمة و هوا ، فاختاره الحكماء لحكمته ، و الأغرار للهو ...»⁽²⁾، و قول بيدبا «وينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض: أحدها ما قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة من مسارعة أهل الهزل من الشبان إلى قراءته فتستمال به قلوبهم، لأن هذا هو الغرض بالنواند من حيل الحيوانات»⁽³⁾ فكثير من حكايات كلية و دمنة تحمل ما تحمل من روح الدعابة التي بلا شك تتلاءم و عقلية السذج من الكبار و الصغار .

ب_ القارئ المهتم أو المستهدف: وقصد به ابن المقفع متلق محدد هو الحاكم أو السلطان، وأدرجه ضمن التصنيف الثاني و الثالث يقول: «و الثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أنسا لقلوب الملوك، و يكون حرصهم عليه أشد للترهة في تلك الصور. و الثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذ الملوك و السوقة فيكثر بذلك انتساخه، ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام، ولينتفع بذلك المصور و الناسخ أبدا»⁽⁴⁾، فمما لا شك فيه أن الكتاب موجه إلى الحكام بالدرجة الأولى على اعتبار أن المغزى من الكتاب برمته هو مغزى سياسي ، وذلك في الرغبة بإصلاح سياسة الملك ، و إرجاع الحكام إلى جادة الصواب .

ج_ القارئ النموذجي: يقول: «و الغرض الرابع وهو الأقصى مخصوص بالفيلسوف خاصة»⁽⁵⁾، وهذا الصنف من المتلقين لا بد أن يسير وفق إستراتيجية قرائية معينة، إذ يجب « ينبغي أن يعرف الوجوه التي وضعت

(4) حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب ، ص 210 .

(1) فان دايك ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، المغرب ، دط ، 2000 ، ص 258 .

(2) كلية و دمنة ، ص 56 ، الأغرار : السذج الغفل .

(3) كلية و دمنة ، ص 72 .

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

له و الرموز التي رمزا فيعلم غرضه ظاهرا و باطنا...و ألا تكون غايته التصفح لتزاويقه...و أن يديم النظر من غير ضجر، ويلتمس جواهر معانيه»⁽⁶⁾.

3_ الرسالة Message :

و بها يتحقق التواصل بين الطرفين: المتكلم و السامع، إذ تمثل « الجانب الملموس في العملية التخاطبية ، حيث تتجسد عندها أفكار المرسل في صور سمعية لما يكون التخاطب شفهيًا، و تبدو علامات خطية عندما تكون الرسالة مكتوبة »⁽¹⁾.

وعلى اعتبار أننا أمام رسالة أو نص سردي (Texte Narratif) متكامل (كليّة و دمنّة)؛ فإننا نسعى إلى استثمار ما ورد في الكتاب من عتبات أو موجهات نصية في تحليل هذا النص السردى، بالتركيز على كيفية ورودها، وكذا أوجهها ذات الطابع الإيحائي، وذلك بالوقوف على الوحدات أو الإشارات الدالة التي استثمرت في كليّة و دمنّة كمشروع سردي مشحون بشحنات دلالية متعددة.

و يعد العنوان أولى العتبات النصية التي تواجه متلقي الكتاب، و المعروف أن العنوان و المتن الحكائي إنما يدخلان في علاقة تكاملية و ترابطية ، الأول يعلن و الثاني يفسر ، إنه فعلا مفتاح النص الذي «يظهر على واجهة الكتاب كإعلان إشهاري و محفز للقراءة»⁽²⁾ ، ولأننا أمام مشروع سردي قصدي فإن العنوان لم يأت عبثا ، وإنما انطلاقا من مقصدية ذاتية مقنعة ، فالسارد (ابن المقفع / الفيلسوف بيدبا) يتحرك بالمسرود ضمن وعي مسبق، العنوان ، و الحال هذه ، اختزال و تمثيل تام لما يريد المتكلم تبليغه .

و المتأمل للعنوان يحسب أن أحداث الكتاب تدور حول هذين البطلين :كليّة و دمنّة ، و لكن يكشف بتوغله إلى المتن أنهما لم يذكر إلا في بابي : الأسد و الثور ، و الفحص عن أمر دمنّة ، وإنما سمي الكتاب باسمهما من قبيل إطلاق الجزء على الكل.وبذلك قد يتعسر للمتلقي إيجاد تعليل لنسبة الكتاب ككل إلى هاتين الشخصيتين دون غيرها من الشخصيات الحكائية الحيوانية ، إن نص كليّة و دمنّة بتعبير ابن المقفع أشبه بالجوز الذي لن ينتفع منه إلى بعد تكسيره، يقول: «من قرأ هذا الكتاب و لم يفهم ما فيه و لم يعلم غرضه ظاهرا و باطنا لم ينتفع ...كما لو أن رجلا قدم له جوز صحيح لم ينتفع به إلا أن يكسره و يستخرج ما فيه»⁽³⁾.

(6) المصدر نفسه ، ص56-70.

(1) الطاهر بومزبر ، التواصل اللساني و الشعرية ، ص 27.

(2) رشيد بن مالك ، السيميائية بين النظرية و التطبيق ، مخطوط دكتوراه ، جامعة تلمسان ، ص162، نقلا عن : حسين فيلاي ، بنية السرد في

رواية الزلزال ، الاسم /الصفة و الشبيه المتخفي ، مقارنة سيميائية . <http://www.wattar.cv.dz> .

(3) كليّة و دمنّة ، ص 58 .

ولأنَّ الشخصية بمثابة دليل (signe) له وجهان أحدهما دال (signifiant)، والآخر مدلول (signifie)، فإنَّ شخصيَّتي **كليلة ودمنة** دوال لدلالات متناقضة تماماً؛ الأولى ايجابية، والثانية سلبية، أو بتعبير آخر إن نص **كليلة ودمنة** إنما هو بناء دلاليّ قائم على الثنائية الضدية: **الخير (كليلة)** و **الشر (دمنة)**. هذا عن العنوان الرئيسي، أما العناوين المتفرعة عنه فإنها تحيل إلى قصص تطول وتتسع لتضم في جوانبها قصصاً أخرى متداخلة، إلى أن تصل في النهاية إلى حلقة متشابكة من القصص يفضي بعضها إلى بعض، لذا يمكن توصيف العلاقة التي تربط العنوان الرئيسي بالعناوين الفرعية، وبين هذه والعناوين و الأمثال بأنها **علاقة احتواء**، حيث نجد الأوّل يحتوي الثاني والثالث، والثاني يحتوي الثالث بدوره، وهكذا إلى غاية انتهاء الكتاب. مع ارتباط كل عنوان رئيسي أو فرعي بسؤال جديد للملك دبشليم، والذي على الفيلسوف يبدأ بوصفه السارد الإجابة عليه.

ندرك من خلال ما سبق أهمية العنوان في دراسة الخطاب الأدبي _ السردية، إذ يعد مفتاحاً إجرائياً في التعامل مع النص في بعده الدلالي و الرمزي، كما يقوم العنوان بتأدية وظائف عدة يمكن حصرها تبعاً لوظائف اللغة التي تحدث عنها جاكسون، وكذلك انطلاقاً من مدونتنا **كليلة ودمنة** في النقاط الآتية:

× وظيفة الإعلان عن المحتوى: وتسمى كذلك **وظيفة التخصيص و التحديد** ⁽¹⁾، أو الوظيفة التَّعيينية La Fonction de désignation وتسمى أيضاً وظيفة التسمية، لأنها تتكفّل بتسمية العمل وبالتالي مباركته، وهي أكثر الوظائف شيوعاً وانتشاراً، بل لا يكاد يخلو منها أي عنوان، وهي تقترب من كونها اسماً على مسمّى، لأنها في أصلها تحديد لهوية النص وتبدو إلزامية، ولكن دون أن تنفصل عن الوظائف الأخرى، لذلك كانت أولى الوظائف وأشهرها.

أما في مدونتنا وإن لم يحيل العنوان الرئيس في الكتاب (**كليلة ودمنة**) بشكل تام إلى جميع أبواب الكتاب و فصوله، إلا أنه بمثابة النص المختصر، أو بمثابة المسند إليه، فيما يشكل الخطاب الحكائي مسنداً بجميع أبعاده و أفكاره الأساسية. كما أنَّ العناوين الفرعية في **كليلة ودمنة** إنما تعبّر عن محتوى الخطاب المدرج ضمنها.

ومثال ذلك في **كليلة ودمنة** ⁽²⁾:

العنوان الرئيس: «**قد قالت العلماء: ليس من كل الأصوات تجب الهيبة**»

السؤال المحفز لفعل الحكيم: «**قال الأسد: و ما مثل ذلك؟**»

(1) الطيب بودربالة، قراءة في كتاب "سيمياء العنوان" لبسام قطوس، الملتقى الوطني الثاني "السيمياء و النص الأدبي" 15-16، أفريل 2002، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص26.

(2) راجع الحكاية في **كليلة ودمنة**، ص109.

العنوان الفرعي: « مثل الثعلب و الطبل ».

وبطبيعة الحال فإن مضمون أو محتوى الحكاية متعلق بشكل كبير بالسؤال المطروح ، سواء من الملك ديشليم إلى الفيلسوف بيديا ، أو ما يقوم مقامهما من الشخصيات الحكائية الحيوانية فيما بينها.

× الوظيفة التواصلية La Fonction du communication : وذلك سواء في العنوان الرئيس (كليلة و دمنة) أو في العناوين الفرعية ، فأما الأول و على الرغم من إحالته لبابين فقط من الكتاب إلا أنه شكل حافزا للمتلقي وشدّه بطريقة آلية و بـخطة تكتيكية منظمة و قصدية إلى إتمام القراءة ؛ بل و أكثر من ذلك بروز عنصر التشويق و الفضول لدى المتلقي إلى ما هو آت من قصص و عبر وعلاقتها بالعنوان الرئيس و العنوان الفرعي .

كذلك لا يخفى علينا ما للسؤال الذي يستلزم انجاز الطلب ، و الذي يشكل كذلك افتتاحية كل حكاية من حكايات **كليلة و دمنة** من دور في الحفاظ على سيرورة العملية التواصلية ، و المتمثل مجملا في إحدى هذه الصيغ : « اضرب لي مثلا » و « كيف كان ذلك ؟ » و « و ما مثل ذلك ؟ ».

× الوظيفة الاغرائية La Fonction de ductive : وهي نوع من الإشهار للنص ، تدفع القارئ وتجذبه نحو النص لقراءته ، فالعنوان كالنواة التي يركّز فيها الكاتب مجمل نصه ، ولكن هذه النواة تبقى ناقصة ، مفتقرة إلى الكمال و تقف كتساؤل يحتاج إلى الإجابة ، هذه الإجابة هي النص. و في **كليلة و دمنة** فإننا نتساءل كمتلقين جدد لهذا المنتج السردي عن ماهية العنوان ، وما العلاقة بين طرفيه (كليلة - دمنة) ، و ما علاقة ذلك كله بالمتن أو الأحداث الواردة فيه ، وأما بالولوج إلى عالم القص في **كليلة و دمنة** ، فإنّ القارئ يتفاجأ بعناوين أخرى فرعية بالنسبة للعنوان الأول ، بينما هي عناوية رئيسة بالنسبة لعناوين فرعية تدرج ضمنها ، وهكذا دواليك .

نخلص إلى أنّ الوظيفة الإغرائية تكاد تكون سمة عامة في معظم العناوين ، فما دام المرسل يضع في الحسبان ذوق المتلقي ، إضافة إلى متطلبات الكتابة ، فإنّه يميل إلى أقرب العناوين إلى نفسية المتلقي ليستميله إلى نصه ، رغبة منه في انتشار النص ، وتداوله.

× الوظيفة الاحالية أو المرجعية La Fonction référentielle : وقد تسمى **وظيفة الغرض** ، إذ يشكل العنوان في **كليلة و دمنة** بشكل عام إحالة ضمنية إلى موضوع الكتاب و مضمون ما احتوى عليه من قصص و عبر.

و يجدر التنبيه إلى أن هناك وظائف أخرى للعنوان لا تخرج هذه الوظائف التي ذكرناها ، بالإضافة إلى الوظيفة الإيديولوجية ، الوظيفة الإيحائية ، الوظيفة التناسلية ، وظيفة الإحالة ، وظيفة الاستحالة ، وظيفة الحث ،

الوظيفة التأسيسية ، الوظيفة الانفعالية ، الوظيفة الاختزالية ، الوظيفة التكتيفية⁽¹⁾، إلا أن وظائف العنوان لا تقف عند هذا الحد ؛ بل تريد عن ذلك ، كما نلمس تشابكها وتمازج بعضها ببعض .

وإلى جانب العنوان فقد حوى الكتاب **مقدمات** عدة لعل أهمها تلك التي تحدث فيها ابن المقفع عن الغرض العام من وضع الكتاب، فضلاً عن القيم الفكرية و التربوية الأخلاقية التي ترشح بها نصوص **كليلة ودمنة** ، مبيناً للقارئ الطريق الأمثل لتحقيق الفائدة من الكتاب، يقول: « **يجب على قارئ هذا الكتاب أن يديم النظر من غير ضجر و يلتمس جواهر معانيه ، ولا يظن نتيجه إنما هي الإخبار عن حيلة بهيمتين أو محاوره سبع بثور فينصرف بذلك عن الغرض المقصود** »⁽²⁾، فالغاية من الحكي بأكمله ليس إفهام المتلقي أن حيوانا يتحدث إلى حيوان ، و إنما أرغم السياق الاجتماعي و السياسي بالخصوص مؤلف الكتاب انتخاب استراتيجية التلميح لتمرير الخطاب ، و سنعرف كيفية حصول ذلك في مواضع لاحقة من هذا الفصل .

4_القناة Canal:

وهي المسلك الذي تنتقل عبره المقاصد، فالجهازان الصوتي و السمعي مسئولان عن الرسائل في التواصل الشفوي ، فكل نقص أو خلل فيهما من شأنه أن يعيق العملية التواصلية، إذ سلامة الرسالة من سلامة القناة⁽¹⁾ . ولقناة المشافهة وسائلها الاغرائية و التأثيرية في توجيه الخطاب، كما تمكن من رصد بعض الظواهر التي من شأنها أن توضح المعنى أو تغنيه « فالتواصل الشفاهي، وهو وحده الطبيعي، هو الحامل الوحيد لكامل المعنى الأصلي، إنه متعدد الطبقات لا يحفظ أي نظام في الكتابة أثره ، و إنما تظهره بجلاء ظاهرة أساسية واحدة : إنها أداء الصوت »⁽²⁾ .

ولا يخفى علينا ما للسامع من دور بالغ الأهمية في تفعيل العملية التواصلية الشفاهية ؛ إذ يساهم في نجاحها من خلال إصغائه الجيد، ذلك أن «التواصل الجيد مبني على الإنصات الجيد»⁽³⁾، وكذلك من خلال تدخلاته لإعانة المتكلم لتوضيح مقصديته من حين لآخر، فإذا ما حدث و تشرد ذهنياً، وأعرض عن السمع الفعلي، واكتفى بالحضور الجسدي فمن حق المتكلم أن يعيده إلى جو التواصل بألفاظ من قبيل: انتبه، هلا سمعتني ، ركز معي ، ألا توافقني الرأي ... ذلك أن « نشاط القائل على قدر فهم السامع »⁽⁴⁾ .

(1) أنظر: الطيب بودربالة ، قراءة في كتاب "سيمياء العنوان" لبسام قطوس ، الملتقى الوطني الثاني "السيمياء و النص الأدبي" ، ص 26.

(2) كليلة و دمنة ، ص 70 .

(1) جميل عبد المجيد ، البلاغة و الاتصال ، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، دط ، 2000 ، ص 88 .

(2) كلود حجاج ، إنسان الكلام ، مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية ، تر : رضوان ظاظا ، مراجعة : مصباح الصمد و بسام بركة ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 1 ، 2003 ، ص 109 .

(3) جان كلود مارتان ، ما التواصل ؟ علامات 21 ، 2004 ، محور العدد : استراتيجيات التواصل ، ص 49 ، موقع سعيد بنكراد

www.saidbengrad.net

(4) الجاحظ ، البيان و التبيين 2 / 58 .

وفي المقابل للسامع القدرة على التحكم في سير العملية التواصلية، طولاً وقصراً، بتشجيعاته، بالانتباه والإصغاء، مع تحريك الرأس من حين لآخر دلالة على موافقة المتكلم (باختلاف الأمم)، فهذه المساهمات من شأنها أن تطيل التواصل، أما التلفظ بأقوال معارضة أو السخرية أو الانسحاب من المجلس أو الإعراض عن السمع، أو إظهار علامات التضييق والتشويش، أو التأفف وإكثار الحركة المصطنعة والاعتناء بالهندام وما إلى ذلك، فهي سلوكيات من شأنها قطع التواصل، وتقصير مدته⁽¹⁾.

ويعد اللفظ العنصر الأساس في التواصل الشفاهي⁽²⁾، واختياره ضروري لأنه ميزان الحكم على صاحبه، فيكون إما له، وإما عليه، ولهذا اهتم علماء العربية، ولا سيما البلاغيون به، وأوردوا له شروطاً للجودة، فلا بد أن يكون لتأليف اللفظة في السمع حسناً ومزية على غيرها.

ولئن كانت قناة المشاهدة كذلك فلا يمكن بحال الاستغناء عن، فالكتابة تنقل الذات الكاتبة عبر أزمنة مختلفة أزمنة القراءة حيث ترد في سياق مغاير جداً، كما أن تلقي الرسالة المكتوبة هو نوع من « فك التشفير عن طريق العودة بها إلى إطارها المرجعي »⁽¹⁾، فمتلقي النص المكتوب هو متلق كوني، ذلك أن « الأصل في الخطاب أن يكون لمعين، وقد يخرج على غير معين ليفيد العموم »⁽²⁾.

وعلى الرغم من أهمية الكتابة كعامل أساس في توثيق المكتوب وحفظه، إلّا أننا ننظر إلى الخطاب كعامل يمد الخطاب بأبعاد تواصلية تداولية، فالشفوية تعني أن المتكلم والسامع يجمعهم مقام واحد⁽³⁾، أو « تعني وحدة العرف والإطار المرجعي اللغوي بين المرسل والمتلقي، إذ يجمعهما عصر واحد ومكان واحد »⁽⁴⁾.

(1) أنظر: مرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص 28.
(2) إن العيش في عالم الكلمة الذي يبدو أنه العالم الحقيقي لا يعني أن التواصل بأنماط السلوك الأخرى غير ذي قيمة تذكر، فربّ إشارة أبلغ من عبارة، فالخطاب يقول على مستوى اللفظ شيئاً معيناً، في حين يتم على مستوى آخر إبلاغ أشياء لم تفصح عنها الكلمات. وقد أطلق توماس هال على التواصل باللغة غير اللفظية مصطلح (اللغة الصامتة)، وهو كذلك عنوان مؤلفه الصادر عام 1959 بنيويورك، توماس هال، الثقافة والتواصل، تر = أحمد الفوحي، علامات 21، موقع الباحث سعيد بنكراد www.saidbengrad.net، ص 19، وقد ورد مثله في قوله سبحانه وتعالى لزراريه: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ أَتَيْتُكَ آلَا تَكَلَّمُ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَادَّكَّرَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [سورة آل عمران، آية 41]، ولهذا نجد جاك لاكان يقرر بأن الرمز هو الذي يجعل من الحيوان الناطق إنساناً، أحمد يوسف، السيميائيات والتواصل، علامات 24، ص 38 إذ في البدء كانت الإيماء، أنظر: جان كلود مارتان، ما التواصل؟، تر: س. ب. علامات 21، ص 44.

(1) عبد الحليل مرتاض، الظاهر والمخفي، طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2005، ص 14.
بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1972، 219/2.
(2)

(3) لا يخفى علينا ما للمقام من دور في إثبات المعاني؛ يقول بيير شوفالي: « عندما نتكلم تكون نيتنا انعكاساً لنوايانا » جان كلود مارتان، ما التواصل؟ تر: س. ب. علامات 21، ص: 46. فالتنعيم على سبيل المثال لا الحصر سمة صوتية لا يمكن للكتابة نقله، وإلّا بالرجوع إلى المقام، وهذا ليس بيسير في كل الحالات، والتنعيم يقوم مقام الأدوات النحوية وهذا أمر لم ينتبه إليه المتقدمون فعمدوا إلى التقدير والقول بالحذف، نحو القول بحذف حرف النداء في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [سورة يوسف، آية 29]، وحرف الاستفهام في قول ابن أبي ربيعة: قالوا تحبها؟ قلت: بـ... ولعل مرد هذا الأمر إلى اعتماد الدارسين المكتوب وعدم الانتباه إلى الخصائص الصوتية، مادام الأصل في اللغات الطبيعية اللفظ لا الخط. توماس هال، الثقافة والتواصل، تر: أحمد الحوفي، علامات 21، ص 24 (الهامش)، كذلك تنوب علامات الترقيم والتنقيط في المكتوب عن النبر والتنعيم في المنطوق.

(4) جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص 52.

على خلاف الكتابة حيث يكون الواقع النفسي و المقامي للكاتب و متلقيه مختلفا تماما، وبالتالي يختلف الفهم من قارئ لآخر، ومن هذا المنطلق ليس هناك تواصل أنجح من التواصل الشفوي (المباشر)، ففي التواصل الشفاهي « ينظر إلى الاتصال الوجه بالوجه بوصفه أكثر الأدوات فعالية بالنسبة للناس، فيما يتعلق بعملية الإقناع و التأثير، لما يتميز به من قدرات و مرونة و عرض آني »⁽⁵⁾، عندها يتيقن السامع أنه المقصود وحده دون غيره بالخطاب « فقد لا تحمل الجمل في ذاتها أي دلالة، بينما تكون العلامات الأخرى أبلغ و أفصح »⁽⁶⁾، و إذ ذاك يزداد بذلك اهتمامه و استعدادة للتقبل و التأثير.

5_السنن Code:

وهو « القانون المنظم للقيم الإخبارية ، و الهرم التسلسلي الذي ينظم عبر نقاطه التقليدية المشتركة بين المرسل و المرسل إليه كل نمط تركيبي »⁽¹⁾، و يسمى كذلك "الشفرة" لأنه عبارة عن مواضعة بين طرفين على الأقل حتى تستمر العملية التواصلية، وعلى هذا الأساس فهو « نسق القواعد المشتركة بين الباث و المتلقي، والذي بدوره لا يمكن للرسالة أن تفهم أو تقول »⁽²⁾، فوجود السنن المشترك بين المتخاطبين يبين قصدية المتكلم، الذي يرسل رسالة خطابية معينة حيث يعمل على الترميز «⁽³⁾، و يعين السامع على أن « يفكك رموزها بحثا عن القيمة الإخبارية التي شحنت بها Décodage »⁽⁴⁾.

x التواصل و الخطاب الأدبي :

يقتضي التواصل اشتراك جانبيين عاقلين، وأي غياب لأحد الأطراف يشل العملية التواصلية؛ بل إن حضور كل واحد منهما يجب أن يكون حضورا نوعيا و ايجابيا، بحيث يهدف الأول منهما **المتكلم** إلى عقد ميثاق تواصل مع **السامع** من داخل الخطاب نفسه، وقد اشترط التداوليون في عملية التواصل مع السامع مقصدية تواصلية مسبقة ، إذ لكي يسهل على السامع فهم دلالة الخطاب ينبغي عليه أولا أن يدرك المقصدية التي تنظم الخطاب و توجه مغزاه .

(5) عبد المنعم خفاجي و عبد العزيز شرف ، البلاغة العربية بين التقليد و التجديد ، دار الجيل ، دط ، دت ، ص 78 .

(6) توماس هال ، الثقافة و التواصل ، تر: أحمد الفوجي ، علامات 21 ، موقع الباحث سعيد بنكراد www.saidbengrad.net، ص21.

(1) الطاهر بومزير ، التواصل اللساني و الشعرية ، ص 28 .

(2) عمر أوكان ، اللغة و الخطاب ، إفريقيا الشرق، المغرب ، دط ، 2000 ، ص 48 .

(3) الطاهر بومزير ، التواصل اللساني و الشعرية ، ص 28 .

(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

آ المستوى الأول من التواصل السردي نجد المؤلف الحقيقي المنتج للنص السردي الذي ينتهي بين يدي القارئ الحقيقي. هذا المؤلف له قصدية، إنه يكتب للآخر (قارئ افتراضي)، وله أهداف محددة، وهذا المؤلف الحقيقي ينقسم على الأقل إلى ثلاثة أقسام: «أنا» خاص مرتبط بالضمير، ثم أنا كاتب مرتبطة بإسقاطات الكاتب نفسه، وهي خارج نصية، وتمثل فعالية مجردة تتموقع بجانب المؤلف، وأخيرا أنا إعلامية، فعالية أخرى مجردة يحاول الكاتب أن يربطها بالمؤلف المنخرط⁽¹⁾.

آ المستوى الثاني: في ارتقاء «الأنا الكاتبة» داخل العمل الأدبي، فهو إذن مؤلف منخرط بيت النصوص، وهو «ذات» أدبية تمارس بعض الخيارات القصصية، أين يكون الكلام بين الراوي والشخصيات، هذه الفعالية التي عادة ما تبقى متضمنة داخل النص، وقد يعاد تشكيلها من طرف القارئ كـ «مؤلف نموذجي أو منمذج»⁽²⁾.

ولئن افترض أن المؤلف الحقيقي أو المؤلف المنخرط ضمانيان في الخطاب السردي، إلا أنه قد يكون لهما وجود ظاهر في بعض الحالات، أين يتواصل الراوي من داخل الرواية بالمؤلف.

آ المستوى الثالث من التواصل السردي يبرز الراوي والمروي له، ويتقلص الراوي لأنه ليس سوى فعالية نصية يكلفها المؤلف المنخرط بعملية السرد والتعليق ووصف تحركات الشخصيات، ولكنه ليس مسئول عن نقل إيديولوجية النص، إنه مجرد صوت من أصواته التعبيرية.

صار من المؤكد أن دور الباحث قد درس بإسهاب، إلا أن المتلقي حسب بارت قد استغل في التواصل السردي بطريقة سيئة، يقول: «كما أن هناك وظيفة تبادل كبيرة داخل المحكي (موزعة بين مانح و مستفيد)، كذلك وبشكل متجانس، فإن المحكي كموضوع هو رهان تواصل: هناك واهب للمحكي، وهناك متلق للمحكي، وكما نعرف، إن (الأنا و الأنت) في التواصل اللساني متلازمان، و يقتضي وجود أحدهما وجود الآخر، وفي السياق نفسه فإنه لا يمكن أن نتصور محكيا بدون راو أو بدون مستمع (قارئ)، فهذا بديهى، ومع ذلك فقد استغل بشكل سيء»⁽³⁾.

فالمؤلف سواء كان هو الراوي أو لا فإن حضوره واضح في المحكي، إذ «العلامات الدالة على الراوي تظهر أكثر وضوحا و أكثر عددا من العلامات الدالة على القارئ... ببساطة فالعلامات الدالة على القارئ تكون أكثر اختفاء من تلك الدالة على الراوي؛ كما أنه في كل مرة يجلب فيها الراوي أحداثا (يعرفها ضمنا)، والتي يجهلها القارئ فإنه يتشكل، بتجاهل دال، علامة قراءة؛ لأنه لا معنى في أن يمنح الراوي لنفسه خبرا ما، كما نخبرنا إحدى الروايات بضمير المخاطب المفرد: فهذا علامة للقارئ، قريية مما يسميه جاكبسون الوظيفة الإيحائية للتواصل»⁽⁴⁾.

(1) المرجع نفسه، ص 236.

(2) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(3) رولان بارت، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ص 38.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

x الخطاب الأدبي خطاب في سياق :

من أول مهام المناهج اللسانية غير البنيوية ، سيما التداولية، و هي تقتحم مجال التنظير للنصوص الأدبية_____ و تحليلها، أن تعمل على تجاوز المنهج البنيوي«الذي و إن سلمنا بكفاءته في تقديم منهج علمي للغة، فمن الصعب التسليم بكفاءته في تحليل النصوص الأدبية و إنارتها و تحقيق المعنى»⁽¹⁾، ولعل هذا ما دعا **تودوروف** إلى القول أن«الاعتماد على مبدأ البنية الشكلية المباشرة يقود إلى العقم، أو إلى الانتهاء إلى مجرد تصنيف محدود»⁽²⁾.

وانطلاقاً من ذلك تجاوزت التداولية التعامل البنيوي مع النص باعتباره نظاماً مستقلاً عن السياق أو المرجع، إلى التعامل معه باعتباره خطاباً مرتبطاً بمقام و منجزاً بسياق معين .
وأما عن عناصر المقام المتدخلة في إنتاج الخطاب الأدبي فقد حصرها التداوليون في: المخاطب، و المخاطب ، وزمن التلفظ و مكانه، و خصائص الملفوظ الدلالية (صوتية كانت أم نحوية ...)، و التي تنطوي على مظاهر تحيل إلى قصدية المخاطب، فضلاً عن الخلفيات المعرفية للمتخاطبين ، و كفاءتهم ، و علاقاتهم الاجتماعية .

ويسهم السياق إلى حد بعيد في إزالة اللبس الذي يكتنف الخطاب، إذ تعمل المحددات السياقية على إضاءة جوانب النص ، سيما إذا كانت تلك المحددات تحيل على عناصر لها وجود واقعي مرجعي ، غير أننا نصادف و بشكل واسع خطابات تتجاوز الوجود المرجعي للعناصر، وذلك في النصوص المجازية«التي تنطوي على شيء أكبر من إثارة الخيال، أو خلق ارتباطات جديدة، فهي تحمل في أحشائها رمزية الحقيقة و تنطق باسمها»⁽³⁾.

وتحتل نظرية السياق مركزاً هاماً في الدرس التداولي، ولعل هذا ما دعا ماكس بلاك للقول بأن«التداولية يجب أن تدعى بالنظرية السياقية»⁽⁴⁾. وتتضح أهمية السياق في الدرس التداولي من خلال ارتباط التداوليات على اختلاف نماذجها بالسياق، وقد أشارت إلى ذلك **فرانسواز أرمينيكو** من خلال ربطها لكل درجة من درجات التداولية الثلاث بنمط سياقي معين . و يمكن أن نجمل هذه الأنماط ، و التي لا تتكامل النظرية التداولية إلا بتضافرها فيما يلي :

Ã السياق النصي: و هو سياق القرائن أو ما يسمى بنحو النص، فالوظيفة النصية تختص ببناء الحدث اللغوي (المقال) وذلك باختيار الجمل المناسبة للمقام ولقوانين النحو ولتنظيم المحتوى بطريقة منطقية مترابطة

(1) عبد العزيز حمودة ، المرايا الخدبة (من البنيوية إلى التفكيك) ، عالم المعرفة ، الكويت ، ع 232 ، 1998 ، ص 281 ، 282 .

(2) صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط 3 ، 1985 ، ص 104 .

(3) وليد منير ، النص القرآني من الجملة إلى العالم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، ط 1 ، 1997 ، ص 97 .

(4) فرانسواز أرمينيكو ، المقاربة التداولية ، ص 18 .

تتسق مع عملية الاتصال في مجموعها⁽¹⁾، وعلى الرغم من أهميته في تقريب الدلالة إلا أن « الاكتفاء بالمعنى الحرفي أو معنى المقال أو معنى ظاهر النص يعتبر دائما سببا في قصور الفهم »⁽²⁾.

آ السياق الوجودي: ويتضمن هذا السياق المرجعي، بطبعه، عالم الأشياء، حالاتها، الأحداث، و التي ترجع إليها التعبيرات اللغوية، ويتم « الانتقال من الدلالة إلى التداولية حالما يدرك أن المرسل و المرسل إليه، وكذلك موقعهم الزماني و المكاني هي مؤشرات للسياق الوجودي »⁽³⁾.

آ سياق الفعل: تعد الأفعال اللغوية أصنافا جزئية من السياق المقامي، والأفعال التداولية، من وجهة نظر تداولية، أفعال إرادية، إذ يقصد المرسل إنجازها، و يريد أن يدرك المرسل إليه هذا القصد، ويرى أوستين أن كل ما يتلفظ به المتكلمون هو منظومات أدائية، إذ لم تعد هناك جمل وصفية ذات معنى قار؛ بل إن كل الجمل تقال لتكون لها قوة تسمى القوة الانجازية⁽⁴⁾.

آ السياق النفسي: إن عد الخطاب فعلا لغويا ذو قصد مشروط يقود إلى دمج الحالات الذهنية و النفسية في نظرية تداولية اللغة، لتصبح المقاصد و الرغبات حالات ذهنية مسؤولة عن برنامج الفعل و التفاعل، و هذه الحالات هي مناط اهتمام الوصف و التفسير التداولي بوصفها السياق النفسي لإنتاج اللغة و فهمها⁽⁵⁾.

آ المقام: من المصطلحات التي تستعمل استعمال المقام و الحال الموضع و المقدار و الأقدار و المشاكلة و المطابقة و الاقتضاء و الظرف و السياق، وجميعها فروع عن أصل ثابت في تفكير اللغويين العرب، وإن لم يتبلور على الصعيد الاصطلاحي، هو فكرة المناسبة و الملاءمة⁽⁶⁾، ويسميه جي آر فيرث «سياق الظرف»⁽⁷⁾، وورد في كتاب (النظريات اللسانية و البلاغية عند العرب) باصطلاح « المطابقات النحوية »⁽⁸⁾.

وينبغي التأكيد في البداية على أن الوحدات الكلامية للغة الطبيعية ليست مجرد سلسلة أو خيوطا من صنع الكلمات، فهناك مكون لا كلامي يفرض دائما بالضرورة فوق المكون الكلامي في كل وحدة كلامية محكية.

إن هذه المميزات غير الكلامية للوحدة الكلامية مهمة في تحديد معناها كأهمية معنى الكلمة والمعنى

(1) سعد مصلوح، الدراسات الإحصائية للأسلوب، ص 118، نقلا عن: رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، مجلة اللسان العربي، ص 07.

(2) تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، دط، 1994، ص 372.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 42، 43.

(4) علي آيت أوشان، السياق و النص الشعري، ص 62.

(5) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 44.

(6) حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، حمادي صمود ص 208، 209.

(7) جون ليونز، اللغة و المعنى و السياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1، 1987، ص 240.

(8) محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية و البلاغية عند العرب، النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين، دار الحدائق، بيروت، ط 1، 1986، ص 174.

النحوي ويدخل كلاهما في المكون الكلامي⁽¹⁾.

فالنظر إلى اللغة على وجه التقعيد و الوصف و التفسير ينتهي بالضرورة إلى اعتبار المتغيرات الخارجية التي تكتنف المادة اللغوية و استعمالاتها⁽²⁾، وذلك لأن المعنى القاموسي أو المعنى المعجمي ليس كل شيء في إدراك معنى الكلام ، فثمة عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى؛ بل هي جزء من معنى الكلام، وذلك كشخصية المتكلم و شخصية المخاطب، و ما بينهما من علاقات، و ما يحيط بالكلام من ملايسات و ظروف ذات صلة به⁽³⁾.

وإجمالاً، فهذه الأنواع من السياقات متداخلة و مترابطة، فلا يستغني أي منها عن الأنواع الأخرى، ولهذا لا يمكن بحال نكران تأثير دلالة سياق النص اللغوي و سياق الموقف الملايس له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير، ذلك أن « القيمة الفنية قيمة سياقية تبرز من تلاحم عناصر النص و تماسكها ونظمها »⁽⁴⁾.

فالمقام شرط تداولي، إذ « لا تكون الرسالة بذات وظيفة إلا إذا أسعفها السياق بأسباب ذلك ووسائله »⁽⁵⁾، كما أنه الأساس الذي ينبنى عليه الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال⁽⁶⁾.

وإذا كان تحليل المقال في سياقه المقامي واجبا في اللسانيات الاجتماعية والتاريخية والنفسانية فإنه في مجال التحليل الأسلوبي أوجب، فالاختيارات الأسلوبية لا تحكمها ظواهر اللغة الخالصة فحسب⁽⁷⁾، بل تحكمها كذلك محددات المقام ونعني بها الخصائص التي تحدد الظرف الاجتماعي الذي سيق في إطاره الكلام، لأن القيمة الفنية إنما هي « قيمة سياقية تبرز من تلاحم عناصر النص و تماسكها ونظمها »⁽⁸⁾.

فكل من المقام والمقال متمم للآخر وكل منهما يفترض الآخر مسبقاً، وتعتبر النصوص مكونات للسياقات التي تظهر فيها، أما السياقات فيتم تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون والكتاب في مواقف معينة⁽⁹⁾.

ولهذا أصبح لزاماً على الكاتب أو القارئ —عندما يتعلق الأمر بالنصوص المدونة التي فمدت عنصر المقام

(1) جون لايتز ، اللغة و المعنى و السياق ، ص 27 .

(2) نهاد الموسى ، نظرية النحو العربي، ص 88 ، نقلاً عن : رشيد بلحبيب ، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى ، مجلة اللسان العربي ، ص 01.

(3) محمود السعمران ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 2 ، 1997 ، ص 263 .

(4) حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب ، ص 528 .

(5) عبد الله الغدامي ، الخطيئة و التكفير من النبوية إلى التشريعية ، قراءة نقدية لنموذج معاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 4 ، 1998 ، ص 10.

(6) تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ص 337 .

(7) رشيد بلحبيب ، أسلوبيات التراكيب وقضايا التقديم والتأخير في التراث النحوي والبلاغي، ص 455. نقلاً عن : رشيد بلحبيب ،

أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى ، ص 02 .

(8) حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب، حمادي صمود ص 528 .

(9) جون ليونز ، اللغة والمعنى والسياق ، ص 215.

الاجتماعي فخفي علينا من ظروف قولها أشياء كثيرة – أن يعيد تكوين هذا المقام بتصور ما يمكن تصوره من أحداث بغية الوصول إلى أكبر قدر ممكن من المعاني.

فالمعنى الدلالي لا يتضح بمجرد النظر إلى معنى "المقال" وعليه فالمقام يعتبر عاملا مهما في تحديد محتوى القضية « وكلما كان وصف المقام أكثر تفصيلا كان المعنى الدلالي الذي نريد الوصول إليه أكثر وضوحا » (1).

والجدير بالذكر، هنا، أن السياق التداولي في كتاب *كليلة و دمنة* كخطاب سردي لا يتوضح إلا من خلال فعالية الوصف التي عجت بها نصوصه، لذا سنتعرف على الفائدة التي تتيحها هذه الفعالية من خلال التطبيق على الكتاب، بحيث نتناول وصف الشخصيات الحيوانية ووصف الزمان و المكان، وعلاقة كل ذلك بالتداولية .

× السياق و الوصف :

يعد الوصف خطابا من أشد الخطابات حضورا و تغلغلا في مختلف الميادين الحياتية ولا سيما الأدبية، فهو «متسع الأرجاء، ممتد الحدود ، قابل لوطة جميع أنواع القول، والانخراط في أضعافها» (2) ، إلا أنه في الوقت نفسه «غامض البنية، قائما في مفترق طرق أو في منطقة غائمة» (3)، فقد يشكل خطابا منفردا له كيانه المستقل ، كما قد يكون تقنية يرومها خطاب آخر لتحقيق وجوده .

والوصف ضرورة يتوسلها الكاتب أو القاص لدعم فعل السرد، وإن كان التمييز بينهما على المستوى العملي ليس بسيطا، يقول *جيرار جونيوت* أن «كل حكي يتضمن بطريقة متداخلة، أو بنسب شديدة التغير أصنافا من التشخيص لأعمال أو أحداث تكون ما يوصف بالتحديد سردا (Narration)، هذا من جهة، ويتضمن من جهة أخرى تشخيصا لأشياء أو لأشخاص، وهو ما ندعوه في يومنا هذا وصفا (Description)» (4).

و على الرغم من أن القانون الذي يخضع له السرد يختلف عن القانون الذي يخضع له الوصف، إلا أنهما متداخلان ، فإذا كان من الممكن الحصول على نصوص خالصة في الوصف ، فإنه من العسير أن نجد سردا خالصا .

وعلى كل يضطلع الوصف بوظائف عدة :

(1) تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ص346 .

(2) محمد ناصر العجمي ، الخطاب الوصفي في الأدب العربي القديم ، الشعر الجاهلي أمودجا ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ط1 ، 86/1 .

(3) المرجع نفسه ، ص 35 .

(6) Genette ,fugures,p 56

نقلا عن : حميد الحميداني ، بنية النص السردى ، ص78.

الأولى _ وظيفة جمالية: يقوم الوصف في هذه الحالة بعمل تزييني ، و هو يشكل استراحة (Pause) في مسار السرد ، فالوصف يقتضي عادة انقطاع السيرورة الزمنية ، و يعطل حركتها⁽¹⁾.

الثانية _ وظيفة توضيحية أو تفسيرية: أي أن تكون للوصف وظيفة رمزية دالة على معنى معين في إطار سياق الحكيم...دون الحاجة إلى التصريح بذلك المعنى سواء قبله أو بعده، ولكنه مع ذلك يظل خاضعا للتخطيط العام للسرد الحكائي⁽²⁾.

كذلك يضطلع الوصف بوظيفة تواصلية، ولأنه كذلك فقد تبوأ مقاما محمودا في التداولية، التي «تنطلق من هدف أساسي هو استثمار الممكن و المتاح من الآليات لتوصيل رسالة لغوية معينة ، و جعل المعنى بها يتحرك في إطار انجازها»⁽³⁾.

فالسردانية المعاصرة تضع الخطاب السردى في إطار من إستراتيجية التواصل، فمنتج القصة يبنى نصه وفق ما يهدف إليه من تأثير في المتلقي، وتأويل القارئ أو المستمع لا يقف فقط على ظاهر النص، بل يتعداه إلى القصيدة التواصلية للمنتج _ المتلفظ⁽⁴⁾.

ولئن ربطنا الوصف بالسياق؛ فلأهمية هذا الأخير، إذ يعد من أهم المكونات الفاعلة في الحقل التداولي، ولعل الوسيلة المتاحة لرسم المشهد السياقي هي الوصف «فالعلاقة بين اللغة و الواقع أو العلامة و مرجعها لا تلخص إلا في المعنى المشيد عن طريق وصف اللغة للأشياء و تسميتها»⁽⁵⁾، ففعل التسمية يرتبط في شق كبير بالأطراف المتخاطبة ، و عليه فإن فعل الوصف ينغرس في الفضاء التداولي .

x وصف الشخصيات في كليلة و دمنة :

أ _ المستوى السردى الأول : وتبرز في هذا المستوى شخصيتان :

أ الملك دبشليم : ورد وصفه من خلال التقديم الغيري من خلال صوت الراوي :

«فملكوا عليهم ملكا يقال له دبشليم... فلما استوسق له الأمر، واستقر له الملك، طغى و بغى، وتجبر و تكبر، وجعل يغزو من حوله من الملوك، و كان مع ذلك مؤيدا مظفرا منصورا، فهابته الرعية، فلما رأى ما هو عليه من الملك و السطوة عبث بالرعية، و استصغر أمرهم ، و أساء إليهم... فكانت له... إلا ازداد عتوا»⁽⁶⁾.

(1) المرجع السابق ، ص 76 .

(2) المرجع نفسه ، ص 79 .

(3) محمد سالم محمد الأمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 2008 ، ص 175.

(4) Adam (J.M), Revaz (f), L'analyse des récits, p10_11

نقلا عن : بوجمدين لبوخ ، تواصل الفعلية السردية ، نموذج "حباب ليتفالت" التلفظي ، ص 223

(5) أحمد يوسف ، الدلالات المفتوحة ، مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، المركز الثقافي العربي المغرب ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط 1، 2005 ص 87 .

(6) كليلة و دمنة ، ص 14 ، 15 .

وكذلك ما جاء على لسان الفيلسوف بيدبا: «اعلموا أي أطلت الفكرة في دبشليم، وما هو عليه من الخروج عن العدل و لزوم الشر و رداءة السيرة و سوء العشرة مع الرعية»⁽¹⁾، و«إنك أيها الملك.. قد ورثت أرضهم و ديارهم و أموالهم و منازلهم التي كانت عدتهم، فأقمت فيما خولت من الملك، وورثت من الأموال و الجنود، ولم تقم في ذلك بحق ما يجب عليك، بل طغيت و بغيت، و عتوت و علوت على الرعية، و أسأت السيرة، و عظمت منك البلية»⁽²⁾.

الفيلسوف بيدبا :

«رجل فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم يعرف بفضله و يرجع في الأمور إلى قوله»⁽³⁾، و على لسان التلاميذ: «أيها الفيلسوف الفاضل، والحكيم العادل، أنت المقدم فينا، والفاضل علينا، وما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك، وفهمنا عند فهمك؟»⁽⁴⁾، وقول التلاميذ: «أيها الحكيم الفاضل، و اللبيب العاقل والذي وهب لك ما منحك من الحكمة و العقل و الأدب و الفضيلة»⁽⁵⁾، وكذلك وصف أفعاله: «فجلس بمجلس العدل والإنصاف، يأخذ للدين من الشريف، و يساوي بين القوي و الضعيف، و ردّ المظالم، ووضع سنن العدل»⁽⁶⁾.

ب_ المستوى السردى الثاني: و تبرز فيه شخوص حيوانية عدة نذكر منها:

آ_ دمنة: من صفاته الطمع، و ذلك كقوله: «نحن أحق أن نروم ما فوقنا من المنازل»⁽⁷⁾، واستعمال المكر و الدهاء إلى أن يصل إلى غايته و هو ما جاء على لسانه: «إن الرجل الأديب الرفيق لو شاء أن يبطل حقا أو يحق باطلا لفعل»⁽⁸⁾.

و كذلك الحسد، فعندما رأى دمنة أن العلاقة بين الأسد و الثور قد توطدت «حسده حسدا عظيما، و بلغ منه غيظه كل مبلغ»⁽⁹⁾، فسعى بينهما بالنميمة و الخداع «لم أجد حيلة و لا وجهها إلا الاحتيال لآكل العشب هذا حتى أفرق بينه و بين الحياة»⁽¹⁰⁾. كما يتبين المكر و السعي للفرقة في قول دمنة: «حدث ما لم يكن الملك يريد و لا أحد من جنده. قال: و ما ذاك؟ قال: كلام فظيع. قال: أخبرني به... قال دمنة: حدثني الأمين الصدوق عندي أن شترية (الثور) خلا برؤوس جنديك و قال لهم: إني قد خبرت الأسد و بلوت رأيه و مكيدته و قوته، فاستبان لي أن ذلك يؤول منه إلى ضعف و عجز، و سيكون لي و له

(1) المصدر نفسه، ص 15.

(2) المصدر نفسه، ص 26.

(3) المصدر نفسه، ص 15.

(4) المصدر، ص 18.

(5) المصدر نفسه، ص 32.

(6) المصدر نفسه، ص 30.

(7) المصدر نفسه، ص 101.

(8) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(9) كلية و دمنة، ص 113.

(10) المصدر نفسه، ص 119.

شأن من الشؤون ، فلما بلغني ذلك علمت أن شترية خوان غدار، وأنت أكرمتها و جعلته نظير نفسك، فهو يظن أنه مثلك، وأنت متى زلت عن مكانك كان له ملكك، ولا يدع جهدا إلا بلغه فيك»⁽¹⁾، ورغم قناعة الأسد في نفسه بإخلاص الثور في صداقته و مناصحته إياه، يقول: «لا أظن الثور يغشني ولا يرجو لي الغوائل»⁽²⁾، إلا أن كلام دمنة وقع في نفسه موقعا بليغا، يقول: «لقد تركتني أكره مجاورة شترية إياي»⁽³⁾

ورغم شك شترية الثور فيما أخبره به دمنة من أن الأسد قال: «قد أعجبت، سمع الثور و ليس، لي إلى حياته حاجة ، فأنا آكله و مطعم أصحابي من لحمه»⁽⁴⁾، وعلى الرغم إيمان الثور بأن الأسد قد حمل عليه بالكذب و البهتان إلا أن دمنة الكاذب المحتال تمكن من تحريش أحدهما على الآخر حتى هلك الثور.

آ كليله: ويمثل «الأنا الأعلى المجهض في ذات دمنة ، و الضمير الحي في قصب القص»⁽⁵⁾، إنه صوت الخير المكتوم ، ودليل ذلك إنكاره لفعل أخيه دمنة المشين: «أيها الفسل ما أنكر جهلتك و أسوأ عاقبتك»⁽⁶⁾ ، و تحذيره دمنة من مغبة ملازمة الملوك و السعي بينهم و بين خاصتهم بالنميمة ، لأنها لا تكون إلا وبالا على صاحبها .

و تبرز صفة أخرى عند كليله وهي التعاطف الوجداني تجاه دمنة، فعندما أيقن أنه ميت لا محالة «أتاه مستخفيا، فلما رآه و ما هو عليه من ضيق القيود و حرج المكان، بكى»⁽⁷⁾، فالعبرات ترجمة للتعاطف؛ بل أكثر من ذلك للانصعاق الوجداني ، ورغم علمه بجرم دمنة « ما وصلت إلى ما وصلت إليه إلا لاستعمالك الخديعة و المكر و إضرابك عن العظة و النصح»⁽⁸⁾ ، فإنه ما استطاع أن يبقى في الوجود بعد فراق أخيه ، فإذا به «أخذه الوجد إشفاقا ... و مات»⁽⁹⁾، وذلك ما أضاف إلى محنة دمنة محنة وجدانية « فبكى و حزن و قال: ما أصنع بالدنيا بعد مفارقة الأخ الصفي، وا حرَّ قلباه»⁽¹⁰⁾، ولعل موت كليله المثير للاستغراب و الدهشة باعثا على الترجيح أنه رمز لموت القيم الفاضلة.

آ الحمامة المطوقة والجرذ والظبي والغراب: هذه الشخصيات الأربعة تجسد ثيمة الصداقة و الأخوة، وذلك لقول الحمامة لصاحبها و هن جميعا واقعات في شرك الصياد: «لا تحاذلن في المعالجة، ولا تكن نفس إحداكن أهم إليهما من نفس صاحبتها ، و لكن نتعاون جميعا»⁽¹¹⁾ .

(1) المصدر السابق ، ص 128 ، 129

(2) المصدر نفسه ، ص 131 .

(3) المصدر نفسه ، ص 135 .

(4) المصدر نفسه ، ص 139 .

(5) عبد الوهاب الرقيق ، أدبية الحكاية المثلية في كليله و دمنة لعبد الله بن المقفع ، دار صامد ، صفاقس ، تونس ، ط 1 ، 2007 ، ص 37 .

(6) عبد الله بن المقفع ، كليله و دمنة ، ص 153 .

(7) المصدر نفسه ، ص 174 .

(8) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(9) كليله و دمنة ، ص 183 .

(10) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(11) المصدر نفسه ، ص 194 .

وأيضاً لهروع الجرذ لمساعدة صديقه الحمامة» ثم إن الجرذ أخذ في قرض العقد الذي فيه المطوقة»⁽¹⁾، لتعود الحمامة مرة أخرى لتقدم لنا نموذجاً للإيثار؛ إذ طلبت من الجرذ البدء بقطع عقد سائر الحمام، وبعد ذلك عقدها مما زاد من مكانتها في نفس صديقها، يقول: «هذا مما يزيد الرغبة فيك و المودة لك»⁽²⁾.

ولأن الغراب كان متابعاً لسير الأحداث فقد أدرك مقدار ما بين الحمامة المطوقة و الجرذ من الإخاء و المودة ، فرغب في صداقة الجرذ بعد أن وثق به: «قد قبلت إخاءك... وإنما بلوتك بما بلوتك به إرادة التوثق لنفسى»⁽³⁾، فالصديق عند ابن المقفع خليل ودود جدير بالثقة، «ثم إن الجرذ خرج إلى الغراب فتصافحا و تصافيا، وأنس كل واحد منهما بصاحبه»⁽⁴⁾.

وبتجاورهما نمت صداقتهما و تجذرت محبتهما، لكن المخاطر المحدقة بهما دفعتهما إلى مغادرة موطنهما نحو مكان تسكنه سلحفاة هي للغراب صديقة، فأحسنست استقبالهما، وصارت هي الأخرى صديقة للجرذ، وعاش الثلاثة في وئام إلى أن وقع الظبي في شرك صياد فاحتالوا لإنقاذه، ولكن السلحفاة «خير الأصدقاء التي خلقتها ليست للمجازاة و لا لالتماس مكافأة، ولكنها خلة هي أفضل من خلة الوالد لولده ، خلة لا يزيلها إلا الموت»⁽⁵⁾ بحكم بطئها وقعت في قبضة القانص ، فهبَّ الأصدقاء لعملية إنقاذ جديدة إلى أن «اجتمع الغراب و الظبي و الجرذ و السلحفاة إلى عريشهم سالمين امنين كأحسن ما كانوا عليه»⁽⁶⁾.

ثم إنَّ الصديق في كليلة و دمنة نصوح، ومثله الظبي في أوج محتته كان ناصحاً للسلحفاة أن تعود للماء خوف أن يأخذها القانص، يقول: «ما أصبت بمجيتك فإن القانص لو انتهى إلينا و قد قطع الجرذ الحبال سبقتة عدوا، وللجرذ أبحار كثيرة، والغراب يطير و أنت ثقيلة لا سعي لك و لا حركة، وأخاف عليك القانص»⁽⁷⁾، فهذا الإيثار لحظة المحنة عنوان التفاني و الوفاء في الصداقة.

آ الحمامة والتعلب و مالك الحزين: و تجسد هذه القصة أنموذجاً حياً و عملياً للنصح و الإرشاد و التعاون لرزء الخطر، إذ دهيت الحمامة بتعلب يأخذ فراخها ، فاستنجدت بمالك الحزين الذي لم يخل عليها برأيه، وبالفعل اقترح عليها ما يلي: «إذا أتاك ليفعل ما تقولين فقولي له لا ألقى إليك فرخي فارق إلي و غور لنفسك، فإذا فعلت ذلك، وأكلت فرخي طرت عنك و نجوت بنفسى»⁽⁸⁾ ، وكانت الفكرة ناجحة .

وصنيع مالك الحزين في النصح و الإرشاد كصنيع أم الأسد، فقد أضاءت لابنها ما خفي عليه من نعمة و خداع دمنة و حثته على معاقبته « لإفشاء السر خير من أن يبقى على الخائن دمنة الذي ادخل الفساد

(1) المصدر نفسه ، ص195 .

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(3) المصدر نفسه ، ص198 .

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(5) المصدر السابق، ص213 .

(6) المصدر نفسه ، ص215 .

(7) كليلة و دمنة ، ص212 .

(8) المصدر نفسه ، ص334 .

بينك و بين الثور بمكره و فجوره...العلماء...قد نهوا عن اغتفار الجرم العظيم و الذنب الكبير»⁽¹⁾، بل واجهت دمنة بنفسها تقول : «إنه قد بان للملك كذبك و فجورك و خديعتك في قتل الثور من غير ذنب كان منه ، فلست حقيقا أن تترك بالحياة طرفة عين»⁽²⁾، وأقنعت الشاهد الأساسي النمر بوجوب الإدلاء بشهادته، حتى لا يزيغ الأسد عن القرار الصواب بشأن دمنة .

2_ **الاشاريات في كليله ودمنة** : لا تتم عملية التلفظ بالخطاب دون حضور الأدوات الاشارية ، والتي هي :
Ã **الاشاريات الشخصية** : وهي الاشاريات الدالة على المتكلم أو المخاطب أو الغائب، وتعد الأنا أو الذات المتلفظة هي محور التلفظ في الخطاب تداوليا، كما أن ممارسة التلفظ هي ما يدل على المرسل في البنية العميقة، مما يجعل حضور الأنا يرد في كل خطاب ، و لهذا لا ينطقها المرسل في كل حين، إذ يعول على كفاءة المرسل إليه .

ونشير في هذا المقام أن المتخاطبين يخضعون لجملة من القواعد يؤطرها سياق التكلم، وقد تنبه النقاد قديما إلى ذلك. فلنجاح العملية التواصلية ينبغي على المتكلم مراعاة السامع، ذلك برسم حدود المسافة الاجتماعية بينهما، عليه أيضا معرفة أقدار المعاني، و يوازن بينها و بين أقدار السامعين، و بين أقدار الحالات. فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار السامعين على أقدار تلك الحالات⁽³⁾ .

ولأننا نتعامل مع نص سردي بحث فإننا نصطدم بأصوات عدة تسرد علينا حكايات **كليله و دمنة** من الصفحات الأولى له إلى غاية تمامه، وكأننا أمام نص بوليفوني Polyphonie ؛ أي متعدد الأصوات ⁽⁴⁾ في السرد.

مما يعني أن النموذج التلفظي للرواية هو صيرورة معقدة، ولا يقتصر على ثنائية : قارئ / مروي له، من حيث الاستقبال، وكاتب/راو من حيث البث فقط، ولكنه نموذج يتكون من المستويات الثلاثة التي وضعها شميدت (Smidt) ، و عرضها لينتفالت (Lintvelt Jaap)⁽⁵⁾ .

(1)المصدر نفسه، ص 166 ، 167.

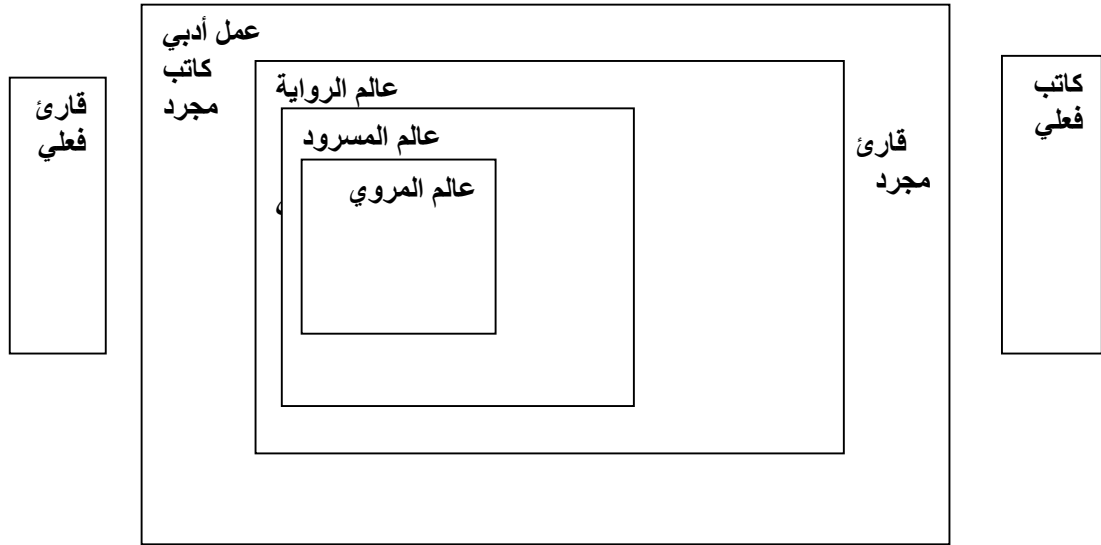
(2)المصدر نفسه ، ص 167 .

(3)الجاحظ، البيان و التبيين، 136:137/1.

(4)تيزفيتان تودوروف ، باحثين المبدأ الحوارى ، تر : فخري صالح ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، دار الفارس ، عمان ، الأردن ، ط2 ، 1996 ، ص 17.

(1) Linivelt (J) , Modèle discursif du récit encadré poétique , p : 353

نقلا عن : بوجملين لبوخ ، تواصل الفعالية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي ، ص 223 .



وقد ألغى علماء السرد وجود هذه المستويات الثلاثة لصعوبة التمييز بين الكاتب الوهمي و الكاتب، ولخلطهما قى كثير من الأحيان بالراوي، لذلك يحدد مونقانو وجودهما في سياق ما أشرنا إليه سابقا بتعددية الأصوات La polyphonie، إذ يرى أن المؤلف الفعلي يندرج تحت مصطلح كاتب، وأن المؤلف المجرد (المستول عن التلفظ يندرج تحت مصطلح (مؤلف)، وهو بذلك يخلط بين المؤلف و الراوي⁽¹⁾.

إن الراوي بلا شك هو المصمم للنص، إذ « لا تتحدد القصة بمضمونها فحسب، ولكن أيضا بالشكل أو الطريقة التي يقدم بها ذلك المضمون »⁽²⁾، ويتعلق الأمر هنا بالتقنية المستخدمة لحكي القصة المتخيلة، ذلك ما يسميه بوث زاوية الرؤية Point de vue التي هي بمعنى من المعاني « مسألة تقنية ووسيلة من الوسائل لبلوغ غايات طموحه »⁽³⁾.

فالراوي في كليلة و دمنة رواة، فهناك أولا هذا الصوت الذي يقدم الشخصيات، إذ يعرف بالملك « فملكوا عليهم ملكا يقال له دبشليم... »⁽⁴⁾، وعن الفيلسوف يقول في الافتتاحيات: « وكان في زمانه فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم يعرف بفضل و يرجع في الأمور إلى قوله يقال له بيدبا »⁽⁵⁾، ثم يتم عملية السرد « فلما رأى الملك و ما هو عليه من الظلم و الرعية فكر في وجه الحيلة في صرفه عما هو عليه... »⁽⁶⁾، فمن ذا الذي ينقل لنا وقائع حكاية الفيلسوف بيدبا مع الملك دبشليم ؟.

(2) Maingueneau (D) , de linguistique pour le texte littéraire , p 31

نقلا عن: المرجع السابق ، ص 224.

(2) حميد الحميداني ، بنية النص السردى ، ص 46.

(3) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

(4) كليلة و دمنة ، ص 14 .

(5) المصدر نفسه ، ص 15 .

(6) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

إننا نجهل عنه كل شيء؛ لأنه لا يتكلم بصيغة الأنا الذي « يتنازعه الغياب الجسد في ضمير الغياب ، و الحضور اليهودي الممثل في ضمير المتكلم »⁽¹⁾، وكأنه لا يشارك في أحداث الحكاية، إنه متعال عن عالمه التخيلي الذي ينشئه بعملية السرد، أين يذوب السارد بالمسرود، أو بتعبير تودوروف الرؤية المصاحبة La vision avec ، هذا النوع يسميه عبد الوهاب الرقيق ساردا أصليا⁽²⁾، باعتباره منشئ القص و الجذع الذي يتفرع عنه بقية الساردين، ويسميه كذلك غيريا⁽³⁾، بحكم اقتصره على سرد حكاية غيره دون المشاركة في إحداثها .

وعنه يتفرع سارد غيري آخر هو الفيلسوف بيدبا، الذي يقص على الملك ديشليم قصصا أبطالها من الحيوان تارة ، و من البشر تارة أخرى، وبذلك يمكن أن نستخدم عليه اسم السارد الفرعي الغيري، بما أنه يقع على مستوى قصصي ثان و يقص حكاية غيره، إذ يتدأ عملية السرد بعبارة (زعموا)، وهي اللازمة السردية الغالبة على نص كليل و دمنة⁽⁴⁾، و لم يكد ابن المقفع يصطنع سواها إلا قليلا في مطالع حكايات هذا الخطاب السردية .

هذا وتنسجم عبارة (زعموا) مع طبيعة السرد القائم على التسلسل الزمني الآتي من الخارج، أو عن طريق حياد المؤلف المزعوم القائم على اصطناع ضمير الغائب، فكأن هذا الشكل السردية يقابل ما يعرف لدى منظري الرواية ما يطلق عليه تودوروف: الرؤية من خلف La vision par derrière، أين « يكون الراوي عارفا أكثر مما تعرفه الشخصية الحكائية ، إنه يستطيع أن يصل إلى كل المشاهد عبر جدران المنازل، كما أنه يستطيع أن يدرك ما يدور في خلد الأبطال »⁽⁵⁾.

فالممتنع لحكايات كليل و دمنة التي يرويها بيدبا يجد أنه لا يدعي أنه اخترعها بنفسه، إنما ينسبها إلى أشخاص لا يسميهم، فمن هم أصحاب الزعم ؟ من كليل و دمنة و من عبارة (زعموا) الماضية نكتشف أنهم عاشوا قبل بيدبا ، و هذا سبق في الزمن يمنحهم مزية عظيمة، فالحكمة تنبع من الماضي. ثم هم حكماء حكوا ما حكوا قصد إفادة من سيأتي بعدهم و يطلع على أقوالهم، فهم أهل الثقة و أصحاب الفضل، ولذلك لا يفتأ يستشهد بأقوالهم غير مرة : «العلماء قالوا...»⁽⁶⁾، و «إن العلماء كتبوا...»⁽⁷⁾، و «فإن العلماء قد قالت...»⁽⁸⁾، و «أما بلغك عن العلماء أنهم قالوا...»⁽⁹⁾، و «وجدت العلماء قد قالوا...»⁽¹⁾، وأشباه ذلك في كتاب كليل و دمنة كثير.

(1) عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، دط ، دت، ص 254 .

(2) أنظر كتابه : أدبية الحكاية المثلية في كليل و دمنة ، ص 99 .

(3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(4) تكررت هذه العبارة في كتاب كليل و دمنة ثلاثا و أربعين مرة على الأقل.

(5) حميد حميداني ، بنية النص السردية ، ص 47.

(6) كليل و دمنة ، ص 179.

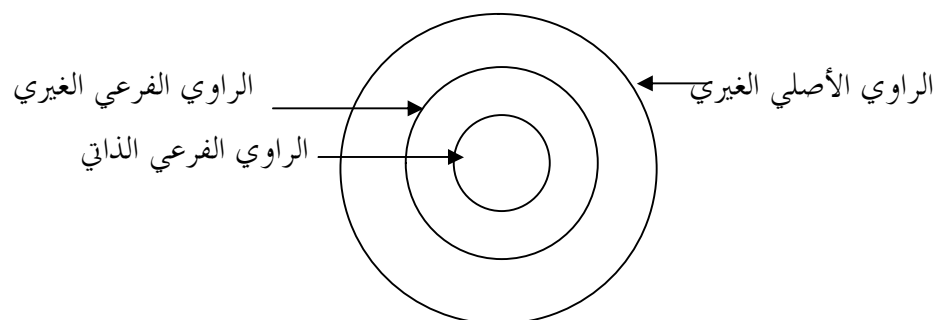
(7) المصدر نفسه ، ص 180 .

(8) المصدر نفسه ، ص 191 .

(9) المصدر نفسه ، ص 188 .

وقد أجمع نقاد الرواية الحداثيون على أن ضمير الغائب الذي «هو الأكثر استعمالاً في السرد الشفوي»، و المكتوب جميعاً»⁽²⁾، والمائل هنا في عبارة (زعموا) ليس إلا دلالة حتمية على نفي الوجود التاريخي، وإثبات الصفة الخيالية الخاصة للعمل الأدبي عامة ، و السردية خاصة.

وكثيراً ما يسكت هذا الراوي الفرعي الغيري (بيدبا) ليعطي الكلمة لشخصية من شخصيات الحكاية التي يسردها، لنحصل على سارد من النوع نفسه فرعي-غيري ، و الذي يسرد هو الآخر حكاية لا يشارك في أحداثها، فإذا قصت تلك الشخصية حكاية قامت بدور في تسيير أحداثها حصلنا على سارد من نوع آخر، نصطلح عليه اسم **السارد الفرعي الذاتي**⁽³⁾. ويمكن أن التمثيل لهذه المستويات السردية أو لأنواع السرد بهذه الترسيمية :



نستنتج من خلال ما سبق أن إشكالية تعدد الأصوات تدحض وحدة الذات الناطقة، «تعدد الأصوات في حد ذاته استشهد بأقوال متلفظين آخرين أو أطراف أخرى»⁽⁵⁾، حيث لا يضطلع المنتج الفعلي للملفوظ بهذا الملفوظ ، أي لا يشعر بأنه مسؤول عنه .

وانطلاقاً من مخطط لينتفالت الأنف الذكر يمكن تتبع السيرورة السردية في كلفة ودمنة من خلال

المستويات الآتية:

أ المستوى الأول : كاتب فعلي — قارئ فعلي

في هذا المستوى الأول يتوجه الكاتب الفعلي (الفيلسوف بيدبا / ابن المقفع) إلى القارئ الفعلي (الملك ديشليم / أبو جعفر المنصور)، فما كلفة و دمنة و غيرهما من الشخص الحكائية إلا أقنعة لبيدبا الحكيم ، الذي هو قناع للراوي الأصلي الغيري، الذي هو فيما يتبين قناع ابن المقفع كذلك، فالنص بأكمله خطاب مزدوج تتداخل فيه أقوال بيدبا الفيلسوف بأقوال ابن المقفع، وتتشابك فيه مقاصدهما، إذ يترجمان بإرادتهما القصصية العليا عن إرادة كل مثقف عاقل قادر على ربط الحكمة التي تتضمنها الحكاية المثلية بالعمل .

(1) المصدر نفسه ، ص 207 .

(2) عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص 231.

(3) عبد الوهاب الرقيق ، أدبية الحكاية المثلية في كلفة و دمنة ، ص 100.

(4) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(5) دومينيك مونغانو ، المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب ، تر : محمد يجياتن ، ص 100 .

ولذلك يمكن اعتبار الحكاية في كتاب **كليلة و دمنة** خطابا موجها مثيرا لردود أفعال مختلفة، لذلك يصعب التكهن بالنتائج نفسها، فقد تبوأ **الفيلسوف بيدبا** المكانة الرفيعة عند **الملك ديشليم** ، فيما قتل ابن **المقفع** و نكل بجثته، وذلك ما يعكس الدور الخطير للسياق العام الذي ينجز فيه الخطاب .

Ã المستوى الثاني : الكاتب المجرد _____ للقارئ المجرد

فالأول منهما يسميه **بوث** _____ (الكاتب المضمّر)، يقول: «حتى في الرواية التي لا يسجل فيها الراوي ظهوره فإنها تقتضي صورة ضمنية لكاتب متخف وراء الكواليس، بصفته مخرجا و محركا للأحداث...و هو الكاتب المضمّر المختلف عن " الإنسان الحقيقي " _ و كيفما تخيلناه _ فهو يخلق نسخة أرقى منه في الوقت الذي يبدع عمله ...و في حال أن الرواية لا تعيدنا صراحة إلى هذا الكاتب فإننا لا نسجل أي فرق بينه و بين الراوي المضمّر، المتخفي» (1).

وفي هذا المستوى يختلط الراوي المضمّر بمفهوم الكاتب المضمّر بالرغم من أن دورهما في **كليلة و دمنة** يبدو مختلفا ، وذلك استجابة لدواعي الإستراتيجية التضمينية أو الإيحائية، فالراوي مسئول عن الجانب السردي من الرواية، والكاتب المضمّر مسئول عن الرواية بأكملها، بما أنه هو الذي يهتم بتوزيع المعلومات بين المستوى السردى و المستوى الحوارى ، حينئذ سوف يلعب الكاتب المضمّر أو كما اصطلح على تسميته " محرّك الأحداث " دور المنظم للحكي .

إن هذا الموقف يستدعي وصف بنية الخطاب السردى لا باعتباره نظاما لغويا مغلقا يكتفى فيه بالبنية السطحية ، التي تكون فيها الدوال على أقدار المدلولات، حيث أنه يقف بالنص الأدبي عند عتبة البنية اللغوية الظاهرة، ممثلة في الصيغ و التراكيب الموظفة فيه دون تجاوزها إلى البنية العميقة، التي تعول على الأنظمة الخارجية الأخرى، مثل : المرجعيات الثقافية و الاجتماعية و السياسية و الأيديولوجية المنتج في كنفها النص، وكذا الظروف و الملابس المحيطة به، ذلك أن النص الأدبي نتاج شخص أو أشخاص عند نقطة ما من التاريخ الإنسانى، نسج في صورة معينة من الخطاب، تستمد معانيها من الإيماءات التأويلية لأفراد القراء، الذين يستعملون الشفرات النحوية و الدلالية والثقافية المتاحة لهم (2) لفك مغلفات هذا النص.

وانطلاقا من **كليلة و دمنة** فإن الراوي المفترض الذي هو بحسب **جينيت** " بناء ذهني يقوم على النص كله " هو **الفيلسوف بيدبا** في حد ذاته ، و الذي يسمى الراوي الفرعى الغيرى، في حين أن الراوي خارج القصة هو الذي ذكرناه سابقا تحت اسم **سارد أصلي** غيرى، الذي ما هو إلا « صوت داخل النص » (3).

(1) Booth (W.C) , Distance et point du vue , 92_93:

نقلا عن : بوجملين لبوخ ، تواصل الفعلية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي ، ص 225 .

(2) روبرت شيراز ، السيميائى و التأويل ، تر : سعيد العالمى ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، عمان ، 1994 ، ص 41 ، نقلا عن : رابح بومعزة ، تحليل البنية العميقة للنص الأدبي، مجلة علامات ، ج 56 ، م 14 ، ربيع الآخر 1426 هـ ، يونيو 2005 ص 193 ، 194 .

(1) Genette (G) , Nouveau discours du récits , p :93_104

نقلا عن : بوجملين لبوخ ، تواصل الفعلية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي ، ص 226 .

فاستجابة لدواع سياقية أحيل فعل الحكي لذات غير حاضرة آن التلفظ، والمتمثلة في ضمير الجمع الغائب المتصل في عبارة (زعموا)، دلالة على أن منتجي تلك الحكايات قد سبقوا التلفظ بها زمنيا، وما انتخاب الإستراتيجية الإيحائية في مثل هذا الموقف إلا كما يرى لوفينسون « رغبة المرسل، أحيانا، في التملص و التهرب من مسؤولية الخطاب »⁽¹⁾.

وبالمقابل نجد المتلقي، وقد استخدم السردانيون الأوائل مصطلح (القارئ التخيلي) الذين استعاضوا عنه بمصطلح (المروي له) بقصد المحافظة على تناسبه مع الراوي، فهو نمط تخيلي يقابل الراوي⁽²⁾.

و مفهوم القارئ التخيلي قريب إلى حد بعيد من مفهوم القارئ الضمني، على افتراض أن كل مؤلف أو أديب « يكتب و في ذهنه قارئ ما، قارئ يعرفه المؤلف و يخاطبه و يتعامل معه؛ بل قد يحدث أن الكاتب لم يكتب النص إلا من أجل ذلك القارئ بطلب منه أو لمواجهته »⁽³⁾.

وهذه المعرفة تجعل الكاتب / المتكلم « يخاطب إنسانا ماثلا أمامه يتفاعل معه وفق شروط و ظروف و متطلبات هذا التعامل، ما يجعل هذا القارئ بمثابة مؤلف مشارك يؤثر على خطاب الكاتب و يوجهه. هذا القارئ ليس سوى مؤلف ضمني للنص من حيث كونه حاضرا في ذهن المؤلف الفعلي حضورا كاملا، وهذا الحضور يأخذ أبعادا حقيقية في صياغة النص و اختياره »⁽⁴⁾، فهو إذن منخرط في النص، ويستطيع أن يشكل حضورا ظاهرا و يتشكل وفق الاستدلالات من خلال العلامات النصية، وهو ما فعله أميرتو إيكو في تحديده للقارئ النموذجي⁽⁵⁾.

لذلك فإن القارئ إذا أراد أن يكتشف الكاتب يتعين عليه القيام بسلسلة من الاستنتاجات مستخدما مؤشرات النص، وهي مؤشرات غير مباشرة للحضور الضمني للكاتب، أو قد يقع على مؤشرات ضمن ما يسميه جيرار جونييه المناص La paratexte، وفي كليله و دمنة قد يرجع الملك إلى تمهيدات الفيلسوف بيدبا إذ سأل العبدول عن تصرفاته وعن ظلمه للرعية، وإذ ذكره بآبائه و أجداده « الذين أسسوا الملك ... و بنوا القلاع و الحصون ... فلم يمنعهم ذلك من اكتساب جميل الذكر ، و لا قطعهم عن اغتنام الشكر، و استعمال الإحسان ... »⁽⁶⁾.

وقد تكون لبعض الأمكنة إichاءات تجعل من الملك يقوم بإسقاطات على الواقع، فالأجمة مثلا ترمز إلى المكان الذي يعيش فيه الشعب و تمارس عليه السلطة، والأسد هو ترميز للسلطة السياسية، وأما أصناف السباع و غيرها من الحيوانات فهي فئات الشعب المختلفة بشرائحها و طبقاتها و مصالحها، فللحيوانات مملكات لا

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 372.

(2) حاتم عبد العظيم ، النص السردى و تفعيل القراءة ، مجلة فصول ، م 16 ، ع 3 ، شتاء 1997 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص 85 ، نقلا عن : بوجملين لبوخ ، تواصل الفعلية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي ، ص 228 .

(3) عبد الله الغدامي ، تأنيث القصيدة و القارئ المختلف ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط 2 ، 2005 ، ص 148.

(4) المرجع نفسه ، ص 149 .

(5) بوجملين لبوخ ، تواصل الفعلية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي ، ص 228 .

(6) عبد الله بن ، كليله و دمنة ، ص 25 .

تفترق كثيرا عن مملكة الإنسان، لذلك يرى الكثير من الباحثين أن مثل هذه الإسقاطات المباشرة كفيلا بأن يضعف الرمزية التي بني عليها نص كليل و دمنة.

والأكيد أن خاتمة الكتاب تؤكد للمتلقي الملك دبشليم هوية المتكلم أو المنتج الفعلي للحكايات أو على الأقل تبلغه بالغاية التي من أجلها سرد الفيلسوف بيديا حكايات كليل و دمنة ،وقد جاء فيها قوله :« و قد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان الأمور...فأبلغتك في ذلك غاية نصحي و اجتهدت فيه برأيي و نظري و مبلغ فطنتي ، و الله تعالى يقضي بحسن النية منك في إعمال فكرك و عقلك فيما وضعت لك من النصيحة و الموعدة ...فافهم ذلك أيها الملك»⁽¹⁾.

فتلك عتبات أو موجهات نصية كفيفة يبلوغ الغاية من الحكيم أو من التأليف عموما، كما أنها شهادات على الوجود النصي للمؤلف في خضم التضييلات الأدبية التي حالت دون اكتشافه من الوهلة الأولى، على أنه في كثير من الأحيان لا يتعلق الأمر بضمير ما، إنما أمام ضمير في « هذا الضمير، ضمير الكتابة، يؤثر تأثيرا خاصا على ضمير القراءة ، فكل ما يفعله خطابه هو تشكيل ذاتية هذا الخطاب، أو بالأحرى إن هذا الخطاب يحمل علامات تدل على هذا الضمير ... إنه بإصغائنا إلى هذا الإيقاع نصغي بالضرورة إلى هذا الضمير »⁽²⁾.

× الاشارات الزمنية و المكانية :

يعد كل من الزمان و المكان عنصرين هامين لبناء تصور عن السياق، إذ يؤثران و بشكل واضح على الاختيارات اللغوية للمتكلمين، فإدراك لحظة التلفظ هي مرجع السامع لتأويل صحيح، كما تخضع الاستعمالات اللغوية لمكان تواجد مستخدميها، فلغة أهل البدو تختلف عن لغة أهل الحضر، و قد تتحدد لغة فئة مجتمعية تبعا لمكان تواجدها الوظيفي ، فللتجار لغتهم، و للفلاحين لغتهم ، و للأطباء كذلك .

ويتجلى الزمن و المكان في اللغة العربية بواسطة القرائن التي تتحدد بجوار الأفعال، أو بواسطة الظروف الزمكانية ، و التي تدعى أيضا بالمبهمات الزمنية :الآن، اليوم، الغد، أمس، الأسبوع الماضي...و المبهمات المكانية : الدالة على القرب ، البعد ، الخلف ، الأمام ..

أما عن تحليلات الزمن في كليل و دمنة فالواضح أنه زمن ماض أوجزته عبارة (زعموا)، التي هي صيغة تدل كما تمت الإشارة من قبل على غياب صوت المؤلف الحقيقي، أو بالأحرى أسند الراوي ذلك الزعم إلى ضمير الجمع الغائب، الذي ينم عن التزامه حدود الشكل السردى الذي جاءت عليه أحداث القصة، وهو ما يقوم مقام فعل السرد، وهذا ما يدعى في المصطلحية التي أسس الفرنسيون تقاليدها بـ Narration enchâssante أو السرد المحتضن « بعضهم يحكي أن بعضهم حكى له أن...»⁽³⁾.

(1) كليل و دمنة ، ص 336 .

(2) Dessong (G) , Meschonic H) , Traité du rythme , des vers et des proses , p 44

نقلا عن: بوجملين لبوخ ، تواصل الفعالية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي ، ص 230 .

(3) دومينيك مونغو و باتريك شارودو و غيرهم ، معجم تحليل الخطاب ، تر : عبد القادر المهيري و حمادي صمود ، مراجعة :صلاح الدين الشريف ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، دت ، 2008 ، ص 472 .

وأما المكان في كليلة و دمنة فلا نجد له تحديدا دقيقا، وإنما هو نسبي غامض، فأمكنة من قبيل : منزل - أجمة - شجرة - وكر - جبل - أرض كثيرة المياه و العشب - غدير - ساحل - أرض فيلة - حجر سنور أو جرذ - رأس نخلة طويلة.. فهي أمكنة توصف بعموميتها و عدم دقتها ، كما أنها تعبر عما يمكن للحيوان بمختلف صنفه التواجد فيه.

ويبقى أمر غياب التحديد الزماني و المكاني في نصوص **كليلة و دمنة** ما يؤكد صفة الإبهامية، ذلك بنسبية تحديد الزمان في لفظة **(زعموا)**، وهي اللازمة السردية التي ابتدأت بها تقريبا كل حكايات **كليلة و دمنة**، كذلك العنصر المكاني كان نسبيا، وقد يرجع ذلك لعنصر المثل الأكثر استهدافا من أي عنصر آخر عند ابن المقفع و/أو الفيلسوف بيدا .

× الخطاب الأدبي خطاب حوارى :

تتخذ دراسة الخطاب الأدبي باعتباره حوارا بعدين أساسيين: بعدا تداوليا، وبعدا أدبيا مع ميخائيل باختين (Bakhtine) في تحليله للخطاب الروائي بالخصوص؛ فأما هذا الأخير فيرى أن أهم مظهر من مظاهر التلفظ هو " حواريته " ؛ أي ذلك " البعد التناسي "، الذي يجزم على أن كل خطاب، عن قصد أو غير قصد، يقيم حوارا مع الخطابات السابقة له، الخطابات التي يشترك معها في الموضوع نفسه، كما يقيم حوارات مع الخطابات التي ستأتي، والتي يتنبأ بها ، و يحدد ردود فعلها⁽¹⁾، إلا أن ما يشغلنا في هذا المقام هو الحوارية كمصطلح تداولي، والتي لم تتبلور مفهوما نظريا و آلية توظف في تحليل الخطاب تداوليا إلا مع ديكرور و أنسكومبر؛ إذ أعطيا المفهوم بعدا حجاجيا، ليؤكدوا على أن وظيفة التكلم الأساسية هي الحجاج، وتوصلا إلى أنه « لا يمكن دراسة البنى الأسلوبية منفصلة عن أهدافها الحجاجية »⁽²⁾.

وتلك دعوة منهما إلى ضرورة عرض الخطاب عرضا حجاجيا، على نحو معين للتأثير في المخاطب و توجيهه الوجهة التي يريد بها المتكلم، في ظل ما تسخره اللغة له من إمكانيات لسانية«فالغة تنطوي على علاقات استلاب قاهرة ، ليس النطق أو الخطاب تبليغا كما يقال عادة ، انه إخضاع ، فالغة توجيه و إخضاع معلمان

(3)

فاللغة على هذا الأساس تمارس سلطتها على مستعملها؛ إذ تفرض عليهم نمطا معيناً من الخطابات بحسب المواقف التواصلية، كما تجبر المتكلمين على خيار لغوي دون آخر.

ومن هذا المنظور قام ديكرو و انسكومبر باستحداث مفهوم جديد ، يقوم على دمج المكونات

La اللغوي والتداولي، فيما اصطلاحا عليه بالتداولية المندمجة

(1) أنظر: ترفيثان تودوروف ، باختين و المبدأ الحوارى ، تر: فخري صالح ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، دار الفارس ، عمان ، الأردن ، ط2 ، 1996. ص 16 .

(2) عبد الله صولة ، الحجاج : أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان و تيتيكا ، ضمن : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف : حمادي صمود ، كلية الآداب ، منوبة ، ص 111 .

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 225 .

pragmatique intégrée، على اعتبار أن الحجاج مائل في اللغة نفسها، ومحكوم بشروطها، و بالتالي فإن»
ترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي، وإنما هو ترابط حجاجي؛ لأنه مسجل في أبنية اللغة
بصفته علاقات توجه القول وجهة دون أخرى، وتفرض ربطه بقول دون آخر»⁽¹⁾.

و تبرز أهمية الحوار من كونه النشاط الذي يبرز استعمالات اللغة المختلفة في إطار تفاعلي بين المتكلم و
السامع ، و يمكن القول أنه فعل ملازم للإنسان، والذي يشق من ذاته ذاتا يحاورها إن لم يكن هناك ذاتا أخرى

و يرتبط الحوار في الخطاب الأدبي القصصي منه على وجه الخصوص بجوانب عدة من جوانب الصياغة
و الإنشاء، الذي تتحدد كميّاته و تنظم بقواعد « الأدبية »⁽²⁾، بحيث يترع المتكلم إلى تشكيل مشاهد تعطي
للقارئ انطبعا بأن الأحداث مروية بأمانة، أو على الأقل كما وضعت في الأصل.

إن صيغ تنظيم القول هي إجراء تنظيمي للخطاب، أو بالأحرى من مستلزمات "الأدبية"، هذا الإجراء
يؤحي بالتعدد ظاهريا، ويوهم بالحوار و يوحى بما يشبهه؛ لكنه في الواقع حوار وحيد الطرف، وهو في النهاية
عرض متعدد الأوجه لحقيقة واحدة، أو لموقف واحد، أو لرؤية واحدة، صادرة كلها من منشئ الخطاب .

لذا لا يعدو الحوار باعتباره إجراء فنيا في الخطاب الأدبي ، كونه تنوعا لصور و أشكال و زوايا
الموقف، دون أن يكون تنوعا للموقف ذاته، تنوعا يهدف إلى إقناع المتلقي و التأثير عليه، فيكون بذلك شكلا
من أشكال المحاجة وغيرها، مما يدخل في حكمها من طرق و فنيات الكلام و التواصل مما تهتم التداولية
بدراسته و توضيحه.

وإنه من الأهمية بمكان في كل بحث تداولي الاحتفال بالحوار، بوصفه بنية كبرى، والفعل اللغوي بوصفه
بنية صغرى⁽³⁾.

× تمظهرات الحوار في كليله و دمنه :

آ التواصل الذاتي: إنَّ الإنسان في تفكيره، وحتى في تواصله مع الآخرين أو عندما يحدث نفسه يكون
قد أحدث اتصالا ذاتيا، هو المتكلم فيه و السامع في آن واحد» فالتفكير ليس سوى الحركات الشعورية
الصوتية، وإنه نوع من الهمس غير المسموع الذي يدور بين المرء و نفسه «⁽⁴⁾.

فالحوار الذاتي نمط خاص من التواصل _ الذي يفترض وجود تبادل بين شخصين على الأقل _ المتكلم
فيه هو نفسه المخاطب، ولعل تمثالات الحوار الذاتي في كليله و دمنه تظهر في قول بيدبا لتلامذته: « اعلموا أني

(1) شكري ميخوت ، نظرية الحجاج في اللغة ، ضمن : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ، ص 352 .
(2) إبراهيم صحراوي ، النص الأدبي فضاء للحوار، مجلة علامات، جدة ، السعودية ، ج 54 ، م 14 شوال 1425 ديسمبر 2004 ، ص 598

(3) الجليلي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص 33.

(4) أحمد محمد معتوق ، الحصيلة اللغوية ، عالم المعرفة ، دط ، 1996 ، ص 31 .

أطلت الفكرة في ديشليم، وما هو عليه من الخروج عن العدل و لزوم الشر...»⁽¹⁾، إذ حصل الاعتقاد في ذات بيدبا بعدم صلاحية الملك ما دام الملك ظلماً، وهذا النوع من التواصل الذاتي « يتضمن الأنماط التي تتشكل في ذات الفرد و يطورها في عملية الإدراك أي عن طريق الملاحظة و التقويم ، و إضفاء معنى على الأفكار و الأشياء الخارجية ⁽²⁾، فالإنسان يفك الرموز في مجال الإدراك أولاً، وذلك بتحويل الأشياء التي يميزها في عالمه الخارجي إلى دلالات تظهر لغيره إذ « أن إدراك الذات يتم على أساس تصور وجود الغير »⁽³⁾.

فقد ترسّخ في نفس الفيلسوف بيدبا الاعتقاد و الإيمان بما هو عليه الملك من جور و خروج عن العدل و سوء العشرة مع الرعية، وذلك ما يقوله الواقع و يترجمه، وبعد إجمالة النظر و الفكر فيما هو عليه الملك، و بعد أخذ و عطاء مع النفس توصل بيدبا إلى وجوب الحد من تلك التصرفات، فصارح تلامذته بنيتة و قصده في ردع الملك يقول: «ونحن ما نروض أنفسنا لمثل هذه الأمور إذا ظهرت من الملوك إلا لنردهم إلى فعل الخير و لزوم العدل ، و متى أغفلنا ذلك و أهملناه لزمنا من وقوع المكروه بنا ، و بلوغ الخدورات إلينا إن كنا في أنفس الجهال أجهل منهم ، و في العيون عندهم أقل منهم، وليس الرأي عندي الجلاء عن الوطن، ولا يسعنا في حكمتنا إبقاؤه على ما هو عليه من سوء السيرة، وقبح الطريقة، ولا يمكننا مجاهدته بغير ألسنتنا »⁽⁴⁾، فهذا الكلام قد تمخّض في نفس بيدبا و اختمر قبل أن يلقيه إلى تلاميذه، فقد أطل التفكير و حدّث نفسه و حاورها في السبيل إلى ردع الملك عن سلوكه و أخلاقه المشينة مع شعبه « فلما لم يجد عندهم ما يريد فكّر... أن ذلك أمر إنما يتم باستفراغ العقل »⁽⁵⁾.

ومن التواصل الذاتي الصمت و الإنصات، وليس المقصود بهما الانقطاع عن الكلام بغير حاجة، وإنما المقصود الإنصات و حسن الاستماع، مما يفيد صاحبه في العملية التواصلية على التفكير و التدبر، فإذا ما أراد السامع أن يصل إلى درجة العلم بالشئ فعليه بحسن السمع و الإصغاء ذلك أن « أول العلم الصمت ، و الثاني الاستماع »⁽⁶⁾.

فالملك ديشليم بعد أن وقف الفيلسوف بيدبا بين يديه و سجد له و كفر، و استوى قائماً ثم سكت، فكر ديشليم في سكوته و قال (في نفسه) : « إن هذا لم يقصدنا إلا لأمرين : ... »⁽⁷⁾، وكذلك : « نظرت إليك يا بيدبا ساكتاً لا تعرض حاجتك و لا تذكر بغيتك فقلت: إن الذي أسكتته هيبة ساورته أو حيرة أدركته، وتأملت عند ذلك في طول وقوفك ، وقلت: لم يكن لبيدبا أن يطرقنا على غير عادة إلا لأمر حركه إلى ذلك .. فهلا نسأله عن سبب دخوله ؟ فإن يكن من ضيم ناله... و إن كانت بغيته غرضاً من

(1) كلية و دمنة ، ص 15 .

(2) عبد العزيز شرف ، علم الإعلام اللغوي ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لوجمان ، ط1 ، 2000 ، ص 12 .

(3) عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي ، ص : 59 .

(4) كلية و دمنة ، ص 15 ، 16 .

(5) المصدر نفسه ، ص 35 .

(6) الجاحظ ، البيان و التبیین ، 198/2 .

(7) كلية و دمنة ، ص 20 .

أغراض الدنيا... وإن يكن من أمر الملك... وإن كان شيئاً من أمور الرعية يقصد فيه أن اصرف عنايتي إليهم نظرت إلى ما هو، فإن الحكماء لا يشيرون إلا بالخير، والجهال يشيرون بضده»⁽¹⁾.

فالنظر هنا بمعنى التبصر و التأمل في داعي صمت بيدبا، هذا الصمت الذي يقول الشيء الكثير، مما أثار الحيرة في نفس الملك، فأجرى بينه و بين نفسه حواراً داخلياً أو مونولوجاً أو تواصلاً داخل ذاته لعله يصل إلى سبب صمت الفيلسوف، وقد صارحه بالحوار الذي أجراه في نفسه، والتساؤلات التي لم يجد لها إجابات، وعندئذ قال: «وأنا قد فسحت لك في الكلام»⁽²⁾.

وبعد أن تكلم بيدبا و فرغ من مقالته و قضى مناصحته، أوغر قلب الملك و أمر به أن يقتل و يصلب، إلا أنه فيما بعد أحجم فيما أمر به، إذ في ليلة من الليالي شهد سهداً شديداً «فمدَّ إلى الفلك بصره، وتفكر في تفلك الفلك، و حركات الكواكب فأغرق الفكر فيه فسلك به إلى استنباط شيء عرض له من أمور الفلك، والمسألة عنه، فذكر عند ذلك بيدبا، و تفكر فيما كلمه فيه ، فارعوى لذلك و قال في نفسه : لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف و ضيعت واجب حقه ، و حملني على ذلك سرعة الغضب»⁽³⁾، وذلك من باب إعمال الفكر والتعقل بالاعتبار و الإنصات، وقد أنفذ في ساعته من يأتيه به « قال الملك : يا بيدبا، أعد عليّ كلامك كله و لا تدع منه حرفاً جئت به ، فجعل بيدبا ينشر كلامه و الملك مصغ إليه ، و جعل دبشليم كلما سمع منه شيئاً ينكت الأرض بشيء كان في يده»⁽⁴⁾، فنكت الأرض أمانة على التفكير في ما يلقي على السمع، فالمستمع الصامت في أغلب الأحيان إنما ينصت إلى محدثه، و يجري عمليات تواصلية داخل ذاته ، و هو يفكر في الرد عليه أو ما يمكن أن يضيفه إلى ما يسمع من قول⁽⁵⁾.

و يؤكد الجاحظ على أهمية الإنصات في أكثر من موضع من مؤلفه البيان و التبيين، وينقل لنا في النص الآتي ما أوصى به عبد الله بن الحسن ابنه محمداً فيقول: «أي بني، إني مؤد إليك حق الله في حسن تأديك، فأد إلي حق الله في حسن الاستماع... واستعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى القول، فإن القول ساعات يضر فيها خطؤه، ولا ينفع صوابه»⁽⁶⁾.

فالإنصات و التدبر و التأمل فيما يقال من آداب المحاوراة لذلك يدعو ابن الحسن في النص السابق ابنه إلى الاستعانة بالإنصات و الصمت، ولذلك يقول محمد بن حفص « كن إلى الاستماع أسرع منك إلى القول»⁽⁷⁾، فالصمت و حسن الإصغاء طريق إلى العلم، إذ يعين على التفكير، وإنزال الأمور منازلها التي تليق بها، و يتبين ذلك من خلال قول الملك: « يا بيدبا، إني قد استعذبت كلامك، وحسن موقعه في قلبي، وأنا ناظر في الذي أشرت به، وعامل بما أمرت. ثم أمر بقيوده فحُلَّت وألقى عليه من لباسه و تلباه بالقبول... و قد وليتك

(1) كلیلة و دمنه ، ص 21 .

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(3) المصدر نفسه ، ص 28 .

(4) المصدر نفسه ، ص 29 .

(5) جان كلود مارتان ، ما التواصل ؟ تر : س.ب ، مجلة علامات ، ص 19 .

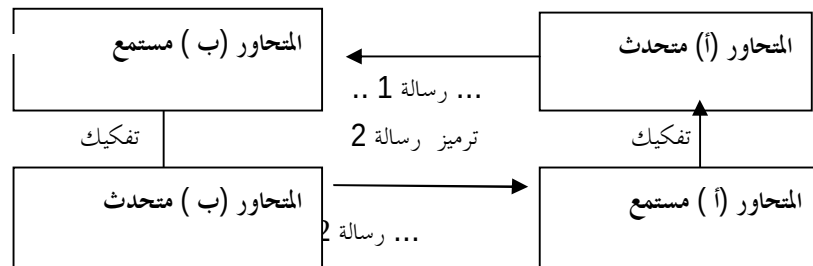
من مجلسي هذا إلى جميع أقاصي مملكتي»⁽¹⁾، فكلام الملك دال على اقتناعه بما أراد يبدأ نصحه به، فارتدع عن أفعاله السابقة بعد تأمل و تدبر.

فالتواصل الذاتي، والحال هذه، قائم على الاعتبار و التأمل و التفكير، أو فيما اصطلح عليه الجاحظ بالنصبة التي هي « الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السموات و الأرض، و في كل صامت و ناطق، و جامد و نام، وزائد و ناقص، فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق... لذلك قال الأول سل الأرض فقل : من شق أنهارك، وغرس أشجارك، ووجنى ثمارك ؟ فإن لم تجبك حواراً، أجابتك اعتباراً »⁽²⁾.

وبالفعل فقد أتى الصمت أكّله ، و هو في الحقيقة صمت إيجابي، إذ « لما انتهى المنطق بالفيلسوف إلى هذا الموضع سكت الملك »⁽³⁾، فالصمت سلوك معروف بدلالته على القبول، والافتناع بالحديث، والذي ما أمكن إلا بحسن الإصغاء و الاستماع.

آ التواصل الشخصي: إن الخطاب لا يتم إلا بين شخصين فما فوق « فالمخاطبة مفاعلة، ولا تستعمل إلا بين نفسين يصح لكل واحد منهما أن يخاطب ابتداء و يجيب صاحبه على خطابه »⁽⁴⁾، و في حالة الحوار مع الذات ، أو التواصل الذاتي، كما سبقت الإشارة، أو ما يسمى بالمونولوج أو المناجاة الذاتية فإن الداخل يقوم مقام الغير الذي يتجه إليه الخطاب. ويشترط في التواصل الإفادة، ذلك أن «التخاطب إجمالاً عبارة عن إلقاء جانبين لأقوال بغرض إفهام كل منهما الآخر مقصوداً معينا»⁽⁵⁾، وذلك مدار البلاغة « لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه»⁽⁶⁾.

و التواصل فعل قصدي « ينبي... على أساس تبادل الوظائف بين المخاطب و المخاطب عبر نفس الوضع même code ليتحول المتلقي نفسه إلى مرسل، والمرسل إلى متلق خلال عملية الإرسال و الاستقبال »⁽⁷⁾، و يمكن تمثيل هذا التبادل من خلال المخطط الآتي⁽⁸⁾:



- (1) كلية و دمنة ، ص 29 .
- (2) الجاحظ ، البيان و التبيين ، 81/1 .
- (3) كلية و دمنة ، ص 335 .
- (4) أحمد يوسف ، السيميائيات و التواصل ، علامات 24 ، ص 37 .
- (5) طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 237 .
- (6) أبو هلال العسكري ، سر الصناعتين ، ص 15 .
- (7) ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ، ص 150 .
- (8) الطاهر بومزير ، التواصل اللساني و الشعرية ، ص 26.

وفي **كليلة و دمنة** يتنامى الحوار على اعتبار أن « الحوار يعد استجابة لتمظهرات لسانية تتناسل تناسلا لا نهائيا لا تحبسه أي إرادة خارجية »⁽¹⁾، وبالتالي النص، بمدى رغبة الملك دبشليم في السرد، وهذا ما يحرص عليه بشدة محدثه الفيلسوف **بيدبا**، حتى يضمن متابعة يقظة و متحمسة، ويجعل السامع يشارك في العملية السردية، فإذا لم يبد السامع رغبة في الاستماع فإن السرد يصبح بلا معنى و بلا جدوى، الراوي إذن يحرص على تلبية دعوة السامع، و بدون هذه الدعوة لا يصغى إليه و لا يؤبه له .

هذه الدعوة يتم التعبير عنها بصيغة قد تختلف من حكاية إلى حكاية : « **حدثني عن** » ، « **اخبرني** » ، « **اضرب لي مثلا** »، فهذه الألفاظ تومئ بفكرة التفاعل أو تبادل الأدوار في حلقة الكلام، فالمستمع متلق قد يتحول إلى متكلم ، و السائل متكلم يتحول إلى متلق، وهكذا وفق ما يقتضيه الموقف التواصلية، وإذًا يشترع **بيدبا** في عرض بعض الحكم التي تأخذ بالضرورة صبغة العمومية، و يختم خطابه الحكمي بجملة تشويقية من نوع: « **و من أمثال ذلك** »، فيسأل دبشليم: « **و كيف كان ذلك ؟** ». هذا السؤال ينبئ عن رغبته في الإصغاء، وفي معرفة ما جرى بين شخصين الحكاية، و بمجرد أن تظهر الرغبة في السرد تبدأ الحكاية : « **زعموا أنه كان بمكان كذا** » .

وبذلك فإن السرد يحتاج إلى الإعلان عن نفسه بصيغة من الصيغ تكون بالنسبة إلى الحكاية كالإطار بالنسبة إلى اللوحة... و إن شيئا من التفكير يجعلنا نعتقد بأن السرد القديم يحرص على احترام افتتاحية معينة تتكرر بصفة ملحوظة ، و يحترم كذلك خاتمة معينة تؤكد نهاية الحكاية و تثبت أهمية الإطار⁽²⁾، فعلى سبيل المثال تنتهي حكاية « **الناسك و جرة السمن** » بهذه الجملة: « **وإنما ضربت لك هذا المثل لكي لا تعجل بذكر ما لا ينبغي ذكره، وما لا تدري أيصح أم لا يصح ، و لكن أدع ربك و توسل إليه و توكل عليه** »⁽³⁾.

و في هذا السياق لا بد من التنويه أن الحوار في **كليلة و دمنة** هو في البدء حوار بين الفيلسوف **بيدبا** و **الملك دبشليم**، إلا أننا إذا أمعنا النظر في جميع نصوص الكتاب نجد ذاتا متكلمة واحدة، تبادر بالكلام و تدبر الخطاب، ألا و هي ذات **بيدبا** نفسه، ويتجلى بوضوح من خلال النصوص السردية التي بين أيدينا أنها تحوي داخلها ذاتان ؛ ذات متكلمة و مدعية و مندفعة نحو التأثير على الغير، وذات باطنة معترضة تقف في صف المستمع، تفحص كل كلمة و كل معنى تريد الذات الأولى إطلاقه⁽⁴⁾.

(1) أحمد يوسف ، السيميائيات و التواصل ، علامات 24 ، ص 37 .

(2) عبد الفتاح كيليطو ، الحكاية و التأويل ، دراسات في السرد العربي ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، دط ، دت ، ص 34 .

(3) كليلة و دمنة ، ص 261 .

(4) للتوسع في مفهوم قصد الادعاء و قصد الاعتراض راجع طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 225 .

وفي هذا المضمار تشير أوركويوني إلى السبب في عدم اعتبار الرواية حواراً بمعنى الكلمة، ذلك أنها نتاج الفعالية الباثية فقط، وليس للفعالية المستقبلية دور في إنتاجها⁽¹⁾، تقول: «حوار (مصطلح واسع): خطاب موجه، لكنه لا ينتظر جواباً، بسبب النظام التلفظي الذي ينتمي إليه، أو المعايير الخاصة التي تدير وظيفته مثل) معظم النصوص المكتوبة، وبعض الخطابات الشفوية، خطابات إعلامية، قراءات شعرية، محاضرات أكاديمية، الخ (2)»، وتضيف أن هذه الخطابات قد تكون تحاورية «إذا ما كانت تضم عدة أصوات»⁽³⁾.

وانطلاقاً من نص كليل و دمنة يمكن تصنيف أنواع الحوار فيه إلى :

Ã حوار خارج _ نصي Extratextuel بين المؤلف الحقيقي (الفيلسوف بيدبا) والقارئ الحقيقي (الملك ديشليم): وهي الحالة التي تختص بكل مقابلات المؤلف لقرائه سواء بطريقة خاصة أو بطريقة معلنة للجمهور، وفي كليل و دمنة تم الحوار بين الطرفين أو لنقل تمت القراءة الأولى لكليل و دمنة في جو احتفالي، وتلك صورة تتم عما يتمتع به من إمكانات التأثير الجماهيري في إطار مسرحي أشبه ما يكون بالقراءة الدرامية، ذلك أن الملك ديشليم حدد يوماً لسماع الكتاب: «ووعده يوماً يجمع فيه أهل المملكة ثم نادى في أقاصي بلاد الهند ليحضروا قراءة الكتاب، فلما كان ذلك اليوم أمر الملك أن ينصب لبيدبا سرير مثل سريره، وكراسي لأبناء الملوك والعلماء»⁽⁴⁾.

Ã حوار خارج _ نصي بين المؤلف الحقيقي و القارئ الافتراضي (المنخرط): وفيه يستهدف المؤلف القراء المتوقعين، فيحاول أن يجيب عن الأسئلة المفترضة ثم يرغب و يوجه إلى قراءة كتابه، و في كليل و دمنة فإنَّ القارئ الافتراضي هو «متلق ينخرط انخرطاً فعالاً في فعل السرد، وتفريع الحدث»⁽⁵⁾، لكن حضوره كامن في ذهن المؤلف، ذلك أنه القائم بفعل السرد و ليس الراوي، ويرى عبد الفتاح كيليطو أن «تسلسل الأفعال السردية رهن باعتقادات المتلقي حول مجرى الأمور، فالقائم بالسرد ملزم باحترام هذه الاعتقادات إلى حد أنه يمكن أن يقال أنَّ

القائم بالسرد الفعلي هو المتلقي»⁽⁶⁾، إذ لا يفتأ الملك ديشليم أن يسمع صوته داخل الكتاب، إذ هو الذي يقترح في بداية كل فصل الموضوع الذي يجب أن يتطرق إليه بيدبا، و ما لبيدبا إلا تنفيذ الأمر.

وفي هذا المستوى يحاول المؤلف أن يتطابق مع الصورة التي حددها له القراء المفترضون، وفي حال حدوث العكس فإنَّ القراء يصابون بخيبة أمل، على أن رد فعل المتلقي الافتراضي، الذي هو عند الفيلسوف بيدبا الملك

(1) على أن السلطان ديشليم من ناحية يعد مؤلفاً ضمناً لكليل و دمنة، فهو المقصود بالحكمة، كما أن بيدبا لم يؤلف الكتاب من تلقاء نفسه، و إنما استجابة لرغبة عبر عنها ديشليم، إذن لا بد من الانتباه إلى مشاركة المتلقي في إنجاز الكتاب.

(1) Orecchioni, Les intraction verbale, p 15

نقلاً عن: لبوخ بوجملين، تواصل الفعالية السردية، نموذج (جانب لينتفالت) التلفظي، ص 238.

(2) Ibid, p 16 نقلاً عن المرجع نفسه، الصفحة نفسها

(4) كليل و دمنة، ص 38.

(5) علي بن تميم، السرد و الظاهرة الدرامية، دراسة في التحليلات الدرامية للسرد العربي القديم، المراجعة، ص 237، 2003.

(6) عبد الفتاح كيليطو، الأدب و الغرابة، دار الطليعة، دط، 1982، ص 36.

دبشليم، و ذلك في المستوى العميق /الضمني، يتوضح من النص الآتي: « قال الملك:يا بيدبا،ارفع رأسك فإن هذا يوم هناء و فرح و سرور ، و أمره الملك أن يجلس،فحين جلس لقراءة الكتاب سأله الملك عن كل باب من أبواب الكتاب، و إلى أي شيء قصد فيه ، فأخبره بغرضه فيه و في كل باب ، فازداد الملك منه تعجبا و سرورا ، فقال له : يا بيدبا ما عدوت الذي في نفسي،و هذا الذي كنت أطلب ، فاطلب ما شئت و تحكم»⁽¹⁾.

Ã حوار داخل نصي(بين النصوص):و يتوضح ذلك من خلال الاستطرادات القصصية في كليلة و دمنة (باب: الأسد و الثور،الفحص عن أمر دمنة ، الحمامة المطوقة)،وإدخال أمثلة على أمثلة في مشهدية درامية،وكان الحكايات تتحاور فيما بينها بحيث تفسح الحكاية الواحدة منها الدور لحكاية أخرى لتظهر للمشاهدين بما تحتويه من شخوص و حوار و مشهدية درامية فضلا عن اللغة التي « تحمل طاقة حركية درامية لا تقف عند حدود إظهار القدرة اللغوية أو البلاغية...و إنما تتعاقب مع الحدث و الشخصية »⁽²⁾.

آ حوار داخل_ نصي بين المؤلف المنخرط و الشخصيات بما فيها الراوي: فقد يتدخل المؤلف في نصه لمحاورة الشخصية و كذلك الراوي، فللمؤلف وجودا داخل _ حكايتي فيصبح شخصية من شخصيات الحكاية، عندها يمكن أن نطلق عليه : شخصية _ المؤلف، فتتماثل هذه الحال بحوار الشخصيات، لكنها تعكس وضعية حياتية أين يصبح المؤلف مسكونا بشخصياته فيذهب إلى حد محاورتهم ذهنيا⁽³⁾.

وفي كلية و دمنة فإن مثل هذا الحوار هو حوار ضمني نتيجة لدواع سياقية، فمن البديهي أن يكون الفيلسوف يبدا المؤلف الفعلي لكليلة و دمنة هو المسير لفعل السرد؛ بل إنه يتبدى في كل شخصية خيرة من شخصيات حكاياته ، لذلك كثيرا ما نجده يقيم حوارات، وإن كانت ضمنية، مع شخصياته تارة، ومع الراوي تارة أخرى، وكل ذلك خدمة للغاية الأساسية التي أنتج الكتاب لتبليغها.

آ حوار ذهني و خارج نصي بين القارئ و المؤلف الحقيقي و المنخرط: ويأخذ هذا النوع طبيعة مونولوجية ، و يتعلق الأمر هنا بالإحساس الذي ينتاب القارئ الحقيقي عندما يتحاور مع المؤلف أو مع النص. إنَّ هذه العناصر و غيرها ⁽⁴⁾ تمثل ما يمكن أن يعتمد عليه لفهم طبيعة الحوار في النصوص السردية، وبطبيعة الحال فإن هذه الحوارات ليست على المستوى نفسه، لأنَّ - - - - - ي - - - - - ر - - - - - ر - - - - - نصي، ولا يمكن عدّها من النمط نفسه لا على المستوى الحواري و لا المستوى النصي ، فما بين المؤلف الحقيقي (يبدوا في كليلة ودمنة)، وبين القارئ الحقيقي (السامع الملك دبشليم على اعتبار التلقي الشفاهي لكليلة و دمنة) هو حوار حقيقي، ولن يشبه بحال من الأحوال الحوارات الأخرى .

✖ التواصل الاجتماعي :

(1) كلیلة و دمنه ، ص 38 ، 39 .

(2) علي بن تميم ، السرد و الظاهرة الدرامية ، ص 125 .

(3) لبوخ بوجملين ، تواصل الفعالية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي ، ص 241 .

(4) أنظر : المرجع السابق ، ص 239 _ 243 .

معلوم أنَّ اللغة تواضع اجتماعي حيث «يوجد على الأقل في كل موقف تواصل شخصان أحدهما فاعل حقيقي و الآخر فاعل على وجه الإمكان، أي المتكلم أو المخاطب على التوالي، وكلاهما ينتميان على الأقل إلى جماعة لسانية ؛ أي طائفة من الأشخاص لها نفس اللغة و ترابط ضروب الاتفاق و التواطؤ للقيام بالفعل المشترك الانجاز»⁽¹⁾.

فالمواضعة أساس التواصل بين أفراد المجتمع الواحد«ونعني بالاتصال أو التفاعل الاجتماعي هنا، جميع أشكال الاحتكاك والتواصل التي تفرضها العلاقات الاجتماعية الإنسانية، وتدعو الأغراض الحياتية أو المعيشية للفرد و الجماعة ، و تستدعي التخاطب و استخدام اللغة في إطارها اللفظي أو الرمزي العام»⁽²⁾.
على أنَّ التواصل الاجتماعي ليس تواصلًا لفظيًا فحسب؛ بل قد يكون سلوكًا اجتماعيًا ذو طبيعة تواصلية «فكل سلوك اجتماعي يتضمن تواصلًا سواء كان بمعنى صريح أو ضمني، فالمجتمع لا يبدو بوصفه بنية ثابتة، بل بوصفه شبكة بالغة التعقيد، و يعاد التأكيد و التشديد على هذه الشبكة بصورة خلاقة عن طريق أفعال معينة ذات أبعاد تواصلية»⁽³⁾.

ويعد **كليلة ودمنة** نصًا سرديًا يترع إلى الأداء استنادًا إلى الجو الاحتفالي الذي تمت فيه القراءة الأولى، ذلك أن «الحكاية تتوسل باللغة و بالأداء، أي أنها تداعب السمع و النظر ، فهي أكثر تجسيدًا للمقاصد... لأنها مخرجة للحالة من الوهم إلى التشخيص»⁽⁴⁾ في ظل التواصل الشفاهي، الذي «يوجد الجماعة، لأنه يخاطب بنيات جماعية، ولأن فعل القص في الجماعة يمثل انجازًا حميميًا، ومشاركة وجدانية جماعية ملموسة»⁽⁵⁾، وهنا يكمن الدور الإيجابي للمتلقين فـ«لا يقتصر على الاستماع فقط، بل يتعداه إلى مجموعة من ردود الأفعال، التي تتمثل في عدد من الممارسات السلوكية، التي تعد بدورها استكمالًا للطابع الدرامي الذي تبدأ به العملية الأدائية للقص من جانب القاص»⁽⁶⁾.

× الخطاب السردى و قواعد التخاطب

إنَّ من مبدأ خضوع المخاطب للمتلقى و خضوع المتلقى للمخاطب كان لزامًا البحث عن القواعد التي تساهم في تواصل النشاط الكلامي (الخطابي) استنادًا إلى مبادئ جرايس، التي تعمل على إنجاح العملية التواصلية أو الرفع من القوة الانجازية للفعل الكلامي، أو بغية تحقيق مكاسب معينة على الصعيد الاجتماعي أو السياسي .

(1) فان دايك ، النص و السياق ، ص 258

(2) أحمد محمد معتوق ، الحصيلة اللغوية ، ص 71 .

(3) رومان جاكسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، تر: علي حاكم صالح و حسن ناظم ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط 1 ، 2002 ، ص 59 ، 60 .

(4) علي بن تميم ، السرد و الظاهرة الدرامية ، ص 33 ، 34 .

(5) المرجع نفسه ، ص 236 .

(6) ألفت الروي ، الموقف من القص في تراثنا النقدي ، ص 105، نقلا عن : علي بن تميم ، السرد و الظاهرة الدرامية ، ص 225 .

ويشير الدرس التداولي إلى أربعة اتجاهات أساسية عנית بهذه القواعد، وهي مبدأ التعاون لغرايس ، ومبدأ التأدب لروين لايكوف ، و مبدأ الوجه لبراون و لوفينسون ، و مبدأ التأدب الأقصى لليتش.

× مبدأ التعاون : ويقضي « أن يتعاون المتخاطبون على الوصول إلى الغرض المطلوب من دخولهما في التخاطب »⁽¹⁾، و يضم هذا المبدأ أربعة أحكام فرعية :

أ قاعدة الكـم : ومؤداها « لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته من غير زيادة و لا نقصان »⁽²⁾، فلا يقلل المتكلم كلامه إلى الحد الذي لا يفهم فيه خطابه، كما لا يكثر منه إلى الحد الذي يدخل الملل و الضجر في نفس متلقيه.

وفي كـلية ودمنة يصارح بيدبا في افتتاحية الكتاب أو مقدمته تلاميذه بنيتة و مقصده في التصدي لطغيان و ظلم الملك دبشليم للرعية، يقول: « اعلموا أي أطلت الفكرة في دبشليم ، وما هو عليه من الخروج عن العدل و لزوم الشر و رداءة السيرة و سوء العشرة مع الرعية »⁽³⁾، وقد بنى فكرته هذه على ما تعارف عليه الشعوب من أن الشر سيغال جميع فئات المجتمع، إن هم سكتوا عن فساد الحكم .

و قد ورد في كتاب كـلية و دمنة من أوله إلى آخره العزم على فك ضيق حال الشعوب و تغيير مصائرهما و ذلك على أيدي العلماء، على اعتبار أن العلم و المعرفة هما مصدر الفضيلة و الحكمة و السؤدد، و حجة ذلك ما جاء على لسان الفيلسوف بيدبا متجسدا في الضمير « نحن » في قوله: « و نحن ما نروض أنفسنا لمثل هذه الأمور إذا ظهرت من الملوك إلا لنردهم إلى فعل الخير و لزوم العدل، ومتى أغفلنا ذلك و أهملناه لزمنا من وقوع المكروه بنا ، و بلوغ المخدورات إلينا »⁽⁴⁾.

فالضمير العائد « نحن » منفصلا و متصلا في العبارة يحيل بالمعنى القريب على الفيلسوف و تلامذته، في حين يشمل بالمعنى البعيد كل من هو في مرتبة الفيلسوف، علما و فضلا، في أي زمان و مكان. ثم هو في موضع آخر من الكتاب اختار الفيلسوف أن تتم عملية الإخبار على لسان بهيمنتين تنطقان بالحكمة ، حتى تصغي إليهما الخاصة و العامة على تفاوت درجة الاستفادة منه .

ومما لا شك فيه أن المتكلم يتوسل من خلال خطابه إقناع السامع بما يراه، وهذا كله لا يتأتى بالإكراه؛ وإنما بالاقناع الذي يقترن في بعض الأحيان بالإمتناع، يقول طه عبد الرحمن: « وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتناع فتكون... أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يهبه هذا الإمتناع من قوة استحضر الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب كأنه يراها رأي العين »⁽⁵⁾.

(1) طه عبد الرحمن ، التواصل و الحجاج ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب ، دت ، دط ، ص 12 .

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(3) كـلية و دمنة ، ص 15 .

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(5) طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تحديد علم الكلام ، ص 226 .

فالباحث يؤكد هنا على ما للإمتاع من أهمية في حصول الاقتناع، حيث يقوم المتكلم باستغلال هذا الإجراء حتى يذعن السامع و يقتنع. وقد كان لفعل السرد في **كليلة و دمنة** الأثر الإيجابي في نفس الملك دبشليم، إذ استطاع ببدا صياغة تصور شامل للمتلقي النموذجي السردى، وما يمكن أن يؤثر فيه، وفد وقع اختياره على الحكاية الخيالية، ذلك أن « ما يقدم من خيال... يخرج من الواقع، ولكنه يأخذ الحس الجمالي فيتحول الشخص إلى مثال عام لكل من يشبه هذا المثال الجمالي، ومن ثم لكل شخص رمز فكري، تكمن الحقيقة _ بمفهومها الأخلاقي _ تحت هذه الأمثلة و الشخص و الرموز، لأنها تتوارى مع رموز اجتماعية أراد المبدع تصويرها، كما أن التحوير الحادث في نمط الشخصية يأتي من قبيل تكبير المثالب و تكبير المحامد، لنبعد عن المذمة و نقرب من المحمدا »⁽¹⁾.

ولأن النفس البشرية على العموم تملّ خطاب الحكمة، فقد اقترن الإقناع في **كليلة و دمنة** بالإمتاع ، حتى يخرجها من الحالة الأولى التي كانت عليها إلى درجة من اليقين بما تحتويه من مضامين أخلاقية قيمة ، بغض النظر عن كثافة نصوص **كليلة و دمنة** ، و تكرارها للعديد من المضامين في أكثر من موضع ، فقد سرّ الملك به وأنس، جاء في الكتاب: « فازداد الملك منه تعجبا و سرورا فقال له: يا بيدبا ما عدوت الذي في نفسي و هذا الذي كنت أطلب ، فاطلب ما شئت و تحكم »⁽²⁾. وكذلك اعتبر، إذ « لما انتهى الفيلسوف إلى هذا الموضع سكت الملك »⁽³⁾، وفي السكوت دلالة على الاقتناع بالمقول و حصول الفائدة بالتمام .

آ قاعدة الكيف: وتشتط هذه القاعدة الصدق في الكلام الموجه إلى المخاطب، و مفاده « لا تقل ما تعتقد أنه كاذب ، لا تقل ما تفتقر إلى دليل كاف عليه »⁽⁴⁾.

ومن يقرأ كتاب **كليلة و دمنة** يجد أن الاستعارة تغذي نصوصه بأكملها ، ذلك أنه نص استعاري على الأقل بالنسبة لواقعه الفيلسوف بيدبا، قصد منه استعارة دلالات على السنة الحيوان، حيث يتحرك أمامنا بعواطف الحب، و الغيرة ، والكبرياء ، والكراهية ، والمكر، والخبث، والتسرع، والأسى، والانطواء، والإخلاص... وهي دلالات تشبه تلك التي في عوالم البشر. ولئن عُدَّ النشاط الاستعاري اختراقا أو انتهاكا لقواعد المحادثة الأربع، بما فيها انتهاك قاعدة النوع (ليكن إسهامك في الحديث صادقا)، فإن هذا لا يعني أن « استعمال الاستعارة معناه الكذب »⁽⁵⁾، إذ يمكن

(1) علي بن تميم ، السرد و الظاهرة الدرامية ، ص 107.

(2) كليلة و دمنة ، ص 38 ، 39 .

(3) المصدر نفسه ، ص 335 .

(4) صلاح إسماعيل ، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس ، الدار المصرية السعودية للطباعة ، القاهرة ، ط 2005، ص 87 نقلا عن : رحيمة شيتير

، تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب أنموذجا ، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه علوم في الأدب ، إشراف الأستاذ الدكتور : عبد القادر الداخني ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر، 2008-2009 ، ص 137 .

(5) بتصرف : سعيد الحنصالي ، الاستعارات و الشعر العربي الحديث ، دار توبقال ، دط ، 2005 — ص 150 .

وبالتالي صار لزاما على الفيلسوف **بيدبا** «مراعاة كيفية التعبير عن قصده، وانتخاب الإستراتيجية التي تتكفل بنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى»⁽¹⁾ حتى لا يلقي بنفسه في التهلكة .

وبعد است فراغ العقل و إعمال الفكر و بفضل حكمته ارتأى أن يكون كلامه على لسان بهيمتين (كليفة و دمنة) يقول: «فأصغت الحكماء إلى حكمه، وتركوا البهائم و اللهو، وعلموا أنها السبب في الذي وضع لهم، ومالت إليه الجهال عجا من محاورة بهيمتين، ولم يشكوا في ذلك و اتخذوه هوا ، و لم يعلموا الغرض الذي وضع له»⁽²⁾.

ففي الكتاب سر لن يفطن إليه إلا القارئ الذي «يدم النظر من غير ضجر و يلتمس جواهر معانيه، ولا يظن نتيجه إنما الإخبار عن حيلة بهيمتين أو محاورة سبع لثور، فينصرف بذلك عن الغرض المقصود»⁽³⁾.

ويستفاد من قاعدة العلاقة أو المناسبة أنها قد تخرق سيما في المخاطبات الداخلية، فقد يتاح للمتكلم بيدبا (أو ما ينوب عنه كالسارد أو مجموعة السارد مثل ما رأينا في كليفة و دمنة) أن يأمر و ينهي في الوضع الذي لا تتاح له هذه الأفعال على مستوى التواصل العادي.

على أن هذا الخرق في الواقع لا ينتج عن عدم مراعاة الملك دبشليم؛ بل ينتج عن مراعاة مقام أولى منه، وهو مقام الأخلاق، التي هي دستور الشعوب، والذي يقضي إلى تعديل رؤية تلك المخاطبات، وقبولها في سياق الفعل السردى، لا الفعل الكلامي العادي .

قاعدة الجهة أو الطريقة: على المتكلم مراعاة الوضوح، وترتيب الكلام، والإيجاز، والابتعاد عن الغموض و اللبس، على أن الخطاب السردى سرعان ما يتمرد على مثل هذه القواعد، ولعل هذا الأمر طبيعى، فاحترام الخطاب السردى لقواعد التخاطب يدخله في بوتقة الخطاب العادي .

وفي كليفة و دمنة فإن المقصدية الفعلية من وراء السرد هي مقصدية متوارية، وهنا تكمن إشكالية الوضوح و الابتعاد عن اللبس و الغموض في توجيه الخطاب « فالعبرة هي بالقصد الظاهر من صيغة العقد ، أي ما يتلفظ به المرسل حتى لو لم تتفق مع قصده الباطن ، لأنه يصعب التأكد من المقاصد عند مخالفتها لمقتضى الألفاظ»⁽⁴⁾، وكليفة و دمنة خطاب ينتهك قاعدة الوضوح و ذلك لدواع مقامية و مراعاة لسلطة المتلقي الملك دبشليم وخوفا من رد فعله، فقد اختبر الفيلسوف بيدبا ذلك لما صارحه بما هو عليه من الخروج عن العدل، و ظلمه للرعية ، و قد رأينا عاقبة ذلك على بيدبا، وعليه انتخب الإستراتيجية التلميحية من خلال فعل التشخيص أو توسل الحكمة على لسان الحيوان في إطار حكائي يلهمي متلقيه و يشغله، على أنه في آخر المطاف يستدعي منه استخلاص العبرة و الغرض الأساسي من فعل الحكيم.

(1) طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 180.

(2) كليفة و دمنة ، ص 37 .

(3) المصدر نفسه ، ص 70.

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 186 .

كذلك روعيت قاعدة ترتيب الكلام في **كليلة و دمنة**، إذ أن قارئ حكاياتها يجد أنها وردت ضمن القصة الإطار التي يعد «تجاوز بنيتها السردية غير منطقي، فتلك المتون رويت ضمن حكاية أقل طولاً وإشارة، بما يجعلها تؤطر تلك المتون كما يحيط الإطار بالصورة»⁽¹⁾.

وإدخال أمثلة على أمثلة و الروايات المتداخلة كما في حكايات **الأسد و الثور**⁽²⁾، و**الفحص عن أمر دمنة**⁽³⁾، و **الحمامة المطوقة**⁽⁴⁾، إنما هي من اقتضاء فعل الحكيم، كما أن هذه الطريقة تستدعي اهتمام السامع و تشد اهتمامه و تحطف سمعه و تعمل على تشويقه و استشرافه للقدام من أحداث الحكاية، والتي بالطبع تتوج بحكمة معينة ترتبط ارتباطاً مسبباً بأحداثها، و خير دليل هو السؤال المعهود الذي تتبناه الشخصيات الحكيم له وهو: «**وكيف كان ذلك ؟**»، ولذلك يمكن القول أن الاستطرادات القصصية في **كليلة و دمنة** إنما هي استطرادات قصصية و محمودة و مستساغة لدى السامع، فمدار الأمر عند كل سارد «ألا يطيل فيمل السامع، ولا يقطع و بالنفوس ظمأ للمزيد»⁽⁵⁾.

× مبدأ التأدب: و قد صاغته روبين لايكوف في مقالها «منطق التأدب»، ويتفرع إلى مبادئ تظهر ضمن قاعدتين هما: كن واضحاً، وكن مؤدباً. هذه القواعد ليست بالدرجة نفسها في الحضور، وإنما لكل منها مجالها السياقي «إذ تعدو الغلبة أحياناً لقاعدة التأدب، في الحوارات غير الرسمية، مقابل قاعدة الوضوح، ومرد ذلك هو أولوية تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية على تبليغ المعلومات»⁽⁶⁾.

وقد فرعت لايكوف ثلاث قواعد عن مبدأ التأدب سمتها قواعد تهذيب الخطاب، إذ يتلفظ المرسل بخطابه وفقاً لواحد منها أو أكثر، وهي: «**قاعدة التعفف:** و مقتضاها هو: لا تفرض نفسك على المخاطب، ولتجعل المخاطب يختار بنفسه. **قاعدة التودد:** و مقتضاها هو: لتظهر الود للمخاطب»⁽⁷⁾.

في **كليلة و دمنة** تمت مراعاة كلتا القاعدتين؛ إذ أن بيدبا لم يفرض نفسه على الملك دبشليم⁽⁸⁾، ذلك أنه لم يؤلف الكتاب من تلقاء نفسه، أو محبة في التأليف؛ وإنما استجابة لرغبة عبّر عنها الملك بقوله: «يا بيدبا، إنك حكيم الهند و فيلسوفها، وإني فكرت و نظرت في خزائن الحكمة التي كانت للملوك قبلي، فلم أر فيهم أحداً إلا و قد وضع كتاباً يذكر فيه أيامه و سيرته، وينبئ عن أده و أهل مملكته... وأخاف أن يلحقني

(1) عبد الله إبراهيم، السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ص 93.

(2) كليلة و دمنة، ص 94.

(3) المصدر نفسه، ص 163.

(4) المصدر نفسه، ص 192.

(5) ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر و نقده، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 2000، ص 24.

(6) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 100.

(7) طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان، ص 240، 241، أنظر كذلك: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 100.

(8) رأينا ما حصل للفيلسوف بيدبا إذ فرض نفسه على الملك دبشليم لما أتاه ناصحاً، إذ لولا أن الملك رجع عن قراره و تاب عنه لقتل و صلب، يقول دبشليم: «لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف و ضيعت واجب حقه و حملني على ذلك سرعة الغضب... و ما كان هذا جزاؤه مني؛ بل الواجب أن اسمع كلامه و انقاد لما يشير به» ص 28.

ما لحق أولئك مما لا حيلة لي فيه، ولا يوجد في خزائني كتاب أذكر به و ينسب إلي، وقد أحبيت أن تضع لي كتابا بليغا... يبقى لي بعدي ذكرا على غابر الدهور»⁽¹⁾.

كما أن الملك دبشليم هو الذي يقترح، في بداية كل فصل، الموضوع الذي يجب أن يتطرق إليه بيدبا، وكل فصل يفتح بأمر دبشليم يقول مثلا: «اضرب لي مثلا لمتحابين يقطع بينهما الكذب المختال حتى يحملهما على العداوة و البغضاء»⁽²⁾، وبعد ذلك يأخذ بيدبا في الكلام، يقوم بتنفيذ الأمر فيقول: «إذا ابتلي المتحابان بأن يدخل بينهما الكذب المختال لم يلبثا أن يتقاطعا و يتدابرا، وآفة المودة النميمة»⁽³⁾، ثم يسرد بيدبا الحكاية مجسدة لتلك الحكمة.

وأما قاعدة "لتظهر الود للمخاطب" فتظهر من خلال معاملة الفيلسوف بيدبا للملك دبشليم، إذ ليست معاملة الند للنند، خاصة و أنه أقل مرتبة من مخاطبه⁽⁴⁾، إذ عمل بيدبا على تقوية علاقات التضامن بينه و بين الملك، فقد أكثر من عبارات الدعاء التي يطلقها بين الفينة و الأخرى، من قبيل: «أسأل الله تعالى بقاء الملك على الأبد، ودوام ملكه على الأمد»⁽⁵⁾، و «أيها الملك السعيد جدّه، علا نجمك، وغاب نحسك، ودامت أيامك»⁽⁶⁾، و «الله يحفظك و يمتعني بمودتك»⁽⁷⁾، «سَلِّمَ اللهُ لك في العقل و الأدب»⁽⁸⁾، «أكرم الله الملك كرامة يجمع له بها شرف الدنيا و الآخرة ، و أحسن جزاءه فقد أغناي الله بحسن رأيي الملك عن جميع عروض الدنيا»⁽⁹⁾، «أدام الله لك أيها الملك السرور و الفرح و قرة العين، ورزقك من الشرف في الدنيا ما تفوق به جميع المخلوقين، وفي الآخرة أفضل المنازل مع الصالحين في جنات النعيم»⁽¹⁰⁾.

وكذلك عبارات المدح: «الملك السعيد جده الطالع كوكب سعده»⁽¹¹⁾، «أيها الملك الناصح الشفيق، الصادق الرفيق»⁽¹²⁾، وكذلك ما ورد في خاتمة الكتاب، يقول: «أيها الملك عشت ألف سنة، ومُلِّكتَ الأقاليم السبعة، و أعطيتَ من كل شيء حظا، و بلغتَ ما أمَلَّته من خير الدنيا و الآخرة في سرور منك ، و قرة عين من رعيتك بك ، و مساعدة القضاء و القدر لك ، فإنه قد كمل فيك الحلم و العلم، و حسن منك العقل و النية ، و تمَّ فيك البأس و الجود، و اتفق منك القول و العمل ، فلا يوجد في

(1) كليلية و دمنة ، ص 33 .

(2) المصدر نفسه ، ص 94.

(3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(4) من الناحية السياسية لا غير ، و يظهر ذلك في قول دبشليم نفسه : « إن كان للملوك فضل في مملكتها فإن للحكماء فضل في حكمتها أعظم ؛ لأن الحكماء أغنياء عن الملوك ، و ليس الملوك بأغنياء عن الحكماء بالمال .. » ، كليلية و دمنة ، ص 20.

(5) كليلية و دمنة ، ص 22 .

(6) المصدر نفسه ، ص 34 .

(7) المصدر نفسه ، ص 46 .

(8) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(9) المصدر نفسه ، ص 50 .

(10) المصدر نفسه ، ص 53 .

(11) المصدر نفسه ، ص 26 .

(12) المصدر نفسه ، ص 27 .

رأيك نقص، و لا في قولك سقط و لا عيب، و قد جمعت النجدة و اللين، فلا توجد جباناً عند اللقاء، و لا ضيق الصدر عند ما ينبئك من الأشياء»⁽¹⁾.

ومن التودد قول بيدبا: « فانظر أيها الملك فيما ألقى إليك، و لا يثقلن ذلك عليك، فلم أتكلم بهذا ابتغاء غرض تجازيني به، و لا التماس معروف تسوقه إلي، ولكنني أتيتك مشفقاً عليك»⁽²⁾.

وقوله: «وقد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان الأمور، و شرحت لك جواب ما سألتني عنه منها تزلفاً إلى رضاك و ابتغاء لطاعتك، فأبلغتك في ذلك غاية نصحي، واجتهدت فيه برأيي و نظري و مبلغ فطنتي، و الله تعالى يقضي حقي بحسن النية منك في أعمال فكرك و عقلك فيما وضعت لك من النصيحة و الموعدة»⁽³⁾، ليختتم الفيلسوف خطابه بقول يجسد قيمة التواضع، يقول: «مع أنه ليس المنصوح بأولى من الناصح، و لا الأمر بالخير بأسعد من المطيع له فيه»⁽⁴⁾. كما تندرج صور التأدب التي ذكرناها في كتاب كليله كليله و دمنه ضمن مبدأ التأدب الأقصى الذي قدمه ليتش، والذي يصوغه في صورتين: «قلل من الكلام غير المؤدب، و أكثر من الكلام المؤدب»⁽⁵⁾، و يشمل هذا المبدأ قواعد ذات صورتين مختلفتين:

- « قاعدة اللباقة: و صورتها: قلل من خسارة الغير، أكثر من ربح الغير.
- قاعدة السخاء: و صورتها: قلل من ربح الذات، و أكثر من خسارة الذات.
- قاعدة الاستحسان: و صورتها: قلل من ذم الغير، و أكثر من مدح الغير.
- قاعدة التواضع: و صورتها: قلل من مدح الذات و أكثر من ذم الذات.
- قاعدة الاتفاق: و صورتها: قلل من اختلاف الذات و الغير، و أكثر من اتفاق الذات و الغير.
- قاعدة التعاطف: و صورتها: قلل من تنافر الذات و الغير، و أكثر من تعاطف الذات و الغير»⁽⁶⁾.

فهذه القواعد جميعاً هي من قبيل الخطط التي أحسن الفيلسوف بيدبا حبكها، حتى يبعد كل ما من شأنه أن يوقع التزاع بينه و بين الملك أو يمنع من التعاون، كما أنها أحفظ للصلة الاجتماعية التي هي شرط في التعاون، خاصة و أن الخطاب في كليله و دمنه هو خطاب لا مباشر، و يظهر ذلك في الأوامر غير المصرح بها التي أتت في صيغة حكايا مطولة، و الأكثر ورودها على لسان الحيوان، فتخل بمبدأ الإيجاز و الوضوح، ولكنها على الرغم من طولها و استغلاقتها فإنها تحافظ على التعاون و تواصله، و الدليل أن المتكلم (بيدبا) لو صرح بالأمر تصريحاً متبعاً قواعد التعاون لأفضى ذلك إلى قطع التخاطب، و بالتالي فشله في جعل المخاطب (دبشليم) ينجز المطلوب.

(1) المصدر نفسه، ص 335.

(2) المصدر نفسه، ص 27.

(3) كليله و دمنه، ص 335، 336.

(4) المصدر نفسه، ص 336.

(5) طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان، ص 246.

(6) المرجع نفسه، ص 246، 247.

x مبدأ الوجه أو التواجه :

وقد صاغه كل من براون و لوفينسن، وينطلق هذا المبدأ من اعتبار الوجه بؤرة التواصل ، و مفاده :
لتصن وجه غيرك. وقد ارتكز مبدأ الوجه على عاملين اثنين هما :

1- قيمة الوجه الاجتماعية : و يمكن أن نميز بين نمطين من أنماط الوجه ، هي :

آ الوجه الدافع: وهو أن يريد المرء أن لا يعترض الغير سبيل أفعاله ، أو هو بصيغة أخرى : إرادة دفع الاعتراض.

Ā الوجه الجالب : فهو أن يريد المرء أن يعترف الغير بأفعاله ، أو هو بصيغة أخرى : إرادة جلب الاعتراف⁽¹⁾.

2- نسبة تهديد الوجه: إذ من الأقوال التي هي بمثابة الأفعال في التداولية ما يهدد الوجه تهديدا ذاتيا، وهي الأقوال التي تعوق بطبيعتها إرادات المتكلم أو المستمع في دفع الاعتراض أو جلب الاعتراف.
فأمّا الأقوال التي تهدد وجه المتكلم الدافع : قبول شكر المرسل إليه أو اعتذاراته ، أو قبول عرضه ، عدم الرغبة في قطع الوعد أو التقدم بالعرض، قبول المدح... ومن الأقوال التي تهدد وجهه الجالب : الاعتذار ، و الندم، و الإقرار بالذنب .

وأمّا ما يهدد وجه السامع الدافع فإنّها تلك الأفعال التي لا يحترم المرسل فيها حرية المرسل إليه، ومن الأقوال التي تهدد وجهه الدافع قد تكون أقوالا تحمله على أداء شيء نحو: الأمر، و الطلب، و النصيح، التذكير ، و الإنذار، والتهديد، و التحذير، إذ تمارس بعض الضغوط عليه ، إما بالإقدام ، أو بالإحجام .
أمّا ما يهدد وجهه الجالب فتتمثل في تلك الأفعال التي تدل على عدم اكتراث المرسل بوجه المرسل إليه الجالب و برغبته ، مثل : إخافته ، عدم توقيره ، التعرض لكلامه قبل أن يفهم مراده ، أو قطع كلامه قبل أن يُتّمه ، أو قد تكون أقوالا تعبر عن التقويم السليبي مثل : الذم و السخرية⁽²⁾ .

ويقترح الباحثون تحديد «خطط تخاطبية»⁽³⁾ للتخفيف من آثار هذا التهديد، فالمرسل ينتج خطابه واضعا في الحسبان المعايير السياقية المنجز فيها الخطاب، ومن ذاك :

Ā البعد الاجتماعي بين المتكلم و السامع .

Ā علاقة السلطة بينهما .

Ā القيود التي تفرضها ثقافة معينة على المرسل و نوعية تلك القيود⁽⁴⁾ .

(1) المرجع السابق ، ص 243 .

(2) بتصرف عن : المرجع نفسه، الصفحة نفسها ، أنظر كذلك : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 104 ، 105 .

(3) طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 244 .

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 106 .

وهي معايير سياقية متغيرة نظرا لتغير السياقات و تنوعها،على أن كل منها يساهم في تحديد المرسل لإستراتيجية خطابه المناسبة،حتى يتمكن من حفظ ماء وجهه و وجه المرسل إليه في الوقت نفسه،ويتم تحديد الإستراتيجية الملائمة من خلال عملية ذهنية تكشف كفاءته التداولية .

وفي كلية و دمنة تبنى الفيلسوف بيدبا أول ما تبنى الإستراتيجية الصريحة و المباشرة،على الرغم من تيقنه بأن ذلك يهدد وجهه،يقول بيدبا:«ولا يسعنا في حكمتنا إبقاؤه على ما هو عليه من سوء السيرة و قبح الطريقة،و لا يمكننا مجاهدته بغير ألسنتنا،ولو ذهبنا إلى أن نستعين بغيرنا لم نتهياً لنا معاندته،وإن أحس منا بمخالفته و إنكارنا سوء سيرته كان في ذلك بوارنا»⁽¹⁾،وكذلك قول تلامذته:«هذا الملك لم تفرعه النواب،ولم تؤدبه التجارب،ولسنا نأمن عليك من سورته و مبادرته بسوء إذا لقيته بغير ما يجب»⁽²⁾.

وبالفعل لما صارح بيدبـــــــــــــــــا الملك دبشليم بطغيانه و عتوه ، و علوه على الرعية ،استنكر الملك جرأة بيدبـــــــــــــــــا و تسلطه و مجاوزة حده،فما يهدد وجه السامع (دبشليم) الدافع هو قبول النصح و قبول عرض الفيلسوف بيدبا، الذي هو حسن النظر بالرعية ،والاستقامة، و الابتعاد عن البطر و الأمنية و الغرور، و سياسة الملك بالرفق و المداراة⁽³⁾،وأما ما يهدد وجهه الجالب فهو الندم و الإقرار بالذنب .

على أن الملك دبشليم اغتاز من كلام بيدبا،فأغلظ له الجواب استصغارا لأمره،وفي هذا تهديد لوجه بيدبا الجالب ،متمثلا في عدم الاكتراث بكلامه و مواجهته بالسخرية منه،يقول الملك:« لقد تكلمت بكلام ما كنت أظن أحدا من أهل مملكتي يستقبلني به...فكيف أنت مع صغر شأنك،وضعف منتك،وعجز قوتك؟»⁽⁴⁾.

وكذلك إخافته «و ما أجد شيئا في تأديب غيرك أبلغ من التكيل بك،فذلك عبرة لمن عساه أن يبلغ و يروم ما رمت أنت من الملوك إذا أوسعوا لهم في مجالسهم،ثم أمر به أن يقتل و يصلب»⁽⁵⁾.

ولأن الملك لم يتلقى الخطاب كما يلزم عمد بيدبا إلى إستراتيجية التلميح ، تاركا للملك فرصة تأويل الخطاب، و استلزام القصد ، و بالفعل أتت هذه الإستراتيجية أكلها ، إذ أحجم الملك عن معاقبة بيدبا، ليعترف قائلاً : « لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف و ضيعت واجبه ...فاعاملته بضد ما يستحق ...و ما كان هذا جزاؤه ؛ بل كان لواجب أن اسمع كلامه و أنقاد لما يشير به»⁽⁶⁾.

كما اعتبر من الحكمة التي تغذي جُلّ حكايات كلية و دمنة«فسكت»⁽⁷⁾،والصمت خطاب ذو دلالات متعددة بتعدد السياقات،واختياره هنا إنما هو دليل موافقة و اقتناع و اعتراف صمني.

(1) كلية و دمنة ،ص 15 ، 16 .

(2) المصدر نفسه ،ص 19 .

(3) أنظر المصدر نفسه ،ص 26 .

(4) المصدر نفسه ،ص 27 .

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) المصدر نفسه ، ص 28 .

(7) كلية و دمنة ،ص 335 .

نستنتج مما سبق أن الخطاب في **كليلة ودمنة** إنما انتظم وفق قواعد المحادثة المذكورة آنفاً ؛ إذ بنى المتكلم الفيلسوف **بيدبا** خطابه وفق إستراتيجية تلميحية ، هذه القواعد عملت على توجيه العملية التواصلية بينه وبين مخاطبه الملك **دبشليم** عن طريق تحديدها للأدوار التي يجب أن يحتلها كل منهما ، كما ساهمت في إبراز البعد التحواري التبادلي للخطاب ، إنها «القواعد ، المتغيرة بتغير الثقافات ، التي يفترض كل مشارك أن الآخر يحترمها عندما يلعبون لعبة التبادل اللغوي»⁽⁸⁾.

كما نجح المرسل (**الفيلسوف بيدبا**) في جعل المتلقي المستهدف (**الملك دبشليم خصوصاً /ذوي السلطة والحكام بشكل أعم**) يدخل في سياق المشاركة "مبدأ التعاون" coopération ، على الرغم من الإقرار الضمني بذلك، إذ لجأ إلى التلميح دون التصريح ، من خلال سرده لقصص خرافية على ألسنة الحيوان . كذلك نجح المرسل (**بيدبا**) في تفعيل عملية التواصل مع متلقيه ، من خلال التبادل الكلامي و التناوب الحواري ،وقد ساعدت تقنية سؤال جواب في ربط جسور التواصل بين المتخاطبين ؛ كما «تنبئ المتكلم بإمكان إثارة الكلام استفهاماً في ذهن السامع ، فيبادر إلى الجواب قبل السؤال لضمان الاستمرار في الكلام»⁽¹⁾.

كذلك كفلت نصوص **كليلة ودمنة** لمتلقيها تحصيل **الإفادة**، فائدة إثراء معلومات ومعارف المخاطب، فحكايات **كليلة ودمنة** تستمد قوة إفادتها من مدى تأويلها وفهمها من طرف الملك **دبشليم** تأويلاً وفهماً صحيحين،وذلك بما حوته بين جنباتها من قيم وأخلاقيات و خصال حميدة على كل المخاطبين،على اختلاف طبقاتهم ، التحلي بها.فكان هذا الكتاب أشبه بالدستور الذي ينظم ويشرع سلوكيات المجتمع،على تنوع فئاته، من العامة إلى غاية الملوك ، و حاشياتهم ووزرائهم ، فكل هؤلاء أمام هذا الدستور سواء لا يتمايزون .

x الخطاب الأدبي خطاب ذو مقاصد :

يعد مفهوم **المقصدية** (Intentionnalité) من أكثر المفاهيم غموضاً وتعقيداً في مختلف ميادين المعرفة الإنسانية،فحضوره قوي و فاعل في العديد منها ، سواء أعلق الأمر ببعض المدارس الفلسفية⁽²⁾، و الاجتماعية، والقانونية ،والنفسية و البيولوجية⁽³⁾ وغيرها ؛ أم تعلق بعضها باللغة والأدب.

(8) دومينيك مونقانو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص 82 .

(1) محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 116 .

(2) يستمد مصطلح القصد وجوده من الدلالة الفلسفية له ، إذ يعني توجه النفس إلى الشيء ، أو انبعاثها إلى نحو ما تراه موافقاً ، و هو في هذه الحالة يرادف النية ، وأكثر استعماله في التعبير عن التوجه الإرادي ، و إن كان بعض الفلاسفة يطلقونه على التوجه الذهني ، أما القصد الدال على التوجه الإرادي فإنه يحيل إما على المشروع ، ومن ثمّة العزم على الفعل والانبعاث نحوه ، أو يحيل على الهدف ، و من ثمّة الغاية ، التي من أجلها حصل التوجه ، أما القصد الذي يدل على التوجه الذهني ، فهو الذي أشار إليه الفلاسفة المدرسيون في القرون الوسطى ، ثم الظاهريون و الوجوديون في العصر الحديث ، جميل صليبا ، المعجم = الفلسفي ، ج2 (من ط إلى ي) ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، 1982 ، ص 193 ، 194 أنظر كذلك : أنطوان خوري ، معنى المعنى في قصيدة هوسرل ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الإنماء القومي الكويت ، ع 18 ، 19 ، شباط / آذار 1982 ، ص 57.

(3) أكثر الأشكال البيولوجية بدائية للمقصدية تتمثل في أشكال الرغبة ، التي تشمل الحاجات الجسدية كالجوع والعطش و ما إلى ذلك .

(4) أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، الفروق اللغوية ، دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع ، دط ، 2006 ، ص 45 ، 46 .

وفي الدراسات الأدبية و اللسانية فإنَّ لمصطلح **القصد** صدى واسعاً في التراث البلاغي و الأصولي العربي، خاصة و أنهم ربطوه بمصطلح «**المعنى**»، الذي كان له نصيب وافر من اهتمام علماء العربية .

يعرف **أبو هلال العسكري** المعنى انطلاقاً من مفهوم القصد يقول: «**المعنى** هو القصد الذي يقع به المعنى على وجه دون وجه ، وقد يكون معنى الكلام في اللغة ما تعلق بع القصد... والكلام لا يترتب في الخبر أو الاستخبار وغير ذلك إلا بالقصد».(4)

وفي ذلك إشارة إلى أن القصد يمكن أن يكون المعنى المتواضع عليه في اللغة، و أن تغير الأساليب له علاقة عميقة بالقصد ،وأحيانا جعلوا المعنى جميعاً في القصد، يقول **ابن فارس**: «فأما المعنى فهو القصد»(1). كذلك نلني اهتماماً بالغاً بهذا المصطلح عند الأصوليين، إذ هو ثابت عند المتكلم لا يتغير ، لذلك يتخذ من الوسائل الكلامية و المقامية ما يعين السامع على إدراك ما يريد ، و لكن مراتب السامعين تتفاوت في إدراك مقصود المتكلمين تبعاً لتفاوت قدراتهم العقلية و اللغوية و الثقافية(2)، والقصد عند **أبو حامد الغزالي** يرتبط بالخبر يقول: «يصير الخبر خبراً بقصد القاصد إلى التعبير عما في النفس»(3).

ويؤكد **ابن خلدون** على الأداء الفعلي للغة من طرف المتكلمين، وهما يلتقي بالدرس اللساني و التداولي الحديث، يقول: «اعلم أن اللغة في المتعارف علي هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، و تلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد لإفادة الكلام»(4)، ويشير إلى قضية هامة تتعلق بتأويل الخطاب فيقول: «ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين و ما يقتضيه حال الفعل»(5).

وذلك تأكيد على أهمية الحضور الفعلي للسامع في المواقف التخاطبية للوصول إلى القصد الحالف على ما في النفوس بتعبير **ابن جني**(6)، والذي يؤكد أيضاً كلام **عبد القاهر الجرجاني** مخاطباً المتكلم ، يقول : « أن تعلم السامع بما شيئاً لا يعلمه، ومعلوم أنك أيها المتكلم لست تقصد أن تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها... وإنما جئت بما لتفيده وجوه التعلق... والإحكام التي هي حصول التعلق»(7)، إذ يربط القصد بالمتكلم، الذي يقيم اختياراته اللفظية على أساس المعاني النفسية .

أما المحدثون فقد جعلوا القصد في العلامة في حد ذاتها إذ لا بد من توفر النية في إبلاغ ما تفيده، وهو ما يؤكد على عدم خروج المتكلمين عن مبدأ المواضع ، كما يولي المحدثون اهتماماً بالمتكلم ، وحاله الاجتماعية

(1) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مج 4 ، ص 148 .

(2) محمود أحمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 73 .

(3) أبو حامد الغزالي ، المستصفى من علم الأصول ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط 1 ، 1937 ، 85/1 .

(4) ابن خلدون ، المقدمة ، تعليق و شرح : علي عبد الواحد وافي ، 3 / 1128 .

(5) المرجع نفسه ، 3 / 1135 .

(6) أنظر : ابن جني (أبو الفتح عثمان) ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، دط ، 1952 ، 260/1 .

(7) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، شرح وتعليق محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، 1999 ، بيروت ، ط 3 ، ص 116 .

،وما يتخللها من معتقدات و أفكار تتدخل في انجازه للكلام ، و أيضا بالمتلقي سواء كان معاصرا للمتكلم / المؤلف، أو تاليا له زمنيا ،ودوره في توجيه التأويل.

يعرف **محمد مفتاح** المقصدية ، فيقول: « نعني بها ما يكون محركا للمنتج من معتقدات و ظنون و أوهام لانجاز كلامه،سواء أكانت مشعورا بها أو غير مشعور ، وهي نفسها تكون لدى المتلقي في حالة وجود عقدة بينه و بين المنتج ،وقد تكون مخالفة جزئيا أو كليا في حالة عدم العقدة، فالمقصدية ، إذن ، ليست واحدة ، لأنّ هناك قطبين أساسيين يشاركان في صنع القرار اللغوي،وهما المنتج و المتلقي،في زمان و مكان معينين،لذلك يتعين تفريع هذا المفهوم إلى عدة أنواع :

Ã مقصدية المنتج و المتلقي الحاضرين اللذين بينهما ميثاق متراضى عنه يحتوي على حقوق وواجبات .

Ã مقصدية المنتج المضمرة التي يحاول المتلقي المعاصر له وسع جهده استكشافها بناء على قرائن خارجية و نصية،وقد يوفق بعض التوفيق،وقد يخيب مسعاه،ولكن تأويله _ في نهاية المطاف_ هو نتيجة لمقصدية

Ã مقصدية المنتج المعلنة التي يحاول المتلقي ، الذي ليس بمعاصر ، أن يفهمها و يتأولها .

Ã مقصدية المنتج المضمرة التي يسعى المتلقي _ الذي ليس بمعاصر له _ أن يستخرج حساب تأويلها ، و لكن مهمته _ حينئذ _ عسيرة جدا ⁽¹⁾.

كذلك ينبه **محمد مفتاح** إلى أن مفهوم المقصدية يجب أن يكون مرنا؛ إذ لا تحصل المطابقة بين مقصديتي المنتج و المتلقي إلا في القليل النادر، كما أنها تتوقف على قدرة المتلقي على التأويل،وأیضا إمكانية وجود متلقين لا ينتمون زمنيا للمنتج .

ويشير **بول ريكور** إلى مفهوم المقصدية الخطائية ، فهذا المفهوم هو الأكثر انتشارا في الأبحاث المتعلقة بتحليل الخطاب اللساني و الأدبي،ودلالة القصد هنا تصدر مسبقا عن وعي ذاتي يقصد إليه متكلم معين،و يتوجه به صوب مخاطب ما، غير أن هذا التصور الخطابي سيأخذ عدة أبعاد تلفظية و مظاهر دلالية، و ذلك بحسب وضعية الخطاب،ووجهة نظر الباحث إلى الموضوع ، و القصد بهذا المعنى ينقسم إلى :

Ã **القصد اللساني**:وقد استعمله تودوروف (Todorov) لدراسة بعض التحولات الخطائية التي لا تحيل على الحدث في حد ذاته ؛ بل تتعداه إلى نية المتكلم الذي يحاول أن يقوم به ، و من القرائن الدالة على هذا النوع من القصد بعض الأفعال التي تحيل على عزم الذات و تصميمها المسبق ، وذلك مثل : (صمم ، عزم ، نوى ، حاول ، قصد ، و غيرها)⁽²⁾.

(1) محمد مفتاح ، دينامية النص (تنظير و انجاز) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط3 ، 2006 ، ص 82 ، 83 .
(2) تودوروف ، المعجم الموسوعي لعلوم اللغة ، ص 370 .

آ القصد التواصل: يهدف من خلاله المتكلم ربط ميثاق تواصل مع القارئ، و يتحقق ذلك من داخل الفعل اللغوي أو الفعل الخطابي نفسه، ورواد هذا الاتجاه كثيرون من بينهم: غرايس⁽¹⁾، ومدرسته التواصلية التي تضم كلا من أوستين و فريجة وفيتجنشتاين وغيرهم، و قد اشترط جميعهم في عملية التواصل مع القارئ مقصدية تواصلية مسبقة، تصدر عن نية المتكلم و توجه قواعد و أعراف لغته ، و لكي يسهل على القارئ فهم دلالة الألفاظ و العبارات فينبغي عليه أولاً أن يدرك هذه المقصدية التي تنظم الخطاب و توجه مغزاه .

آ القصد التداولي :

ذهبت التداولية إلى أن الخطاب الأدبي هو خطاب ذو مقاصد، و «تحوّل مقاصد المتكلم الفلسفة الظاهرية / الوجودية (هوسرل) إلى مقولة أساسية من المقولات التداولية ، و«تحوّل مقاصد المتكلم في الدراسات التداولية الحديثة إلى منطلق أساسي من منطلقات تحديد الخصائص الإنشائية للخطاب»⁽²⁾. فالمقاصد، بلا شك هي لب العملية التواصلية ؛ لأنه «لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدي وراء فعل التواصل، و دون وجود إبداع، أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات»⁽³⁾، ولأنها كذلك يرى سيرل بأن المقاصد ذات تكوين (بيولوجي)، ولها أطر معينة في ذهن المرسل، وعليه ففلسفة اللغة عنده تعد فرعاً من فلسفة العقل⁽⁴⁾.

فالأمر إذن يتعلق بالمتكلم و يختلف الشروط الإستراتيجية التي يقصد إليها في عملية مخاطبه مع المؤول / القارئ، والهدف منها هو مساعدة هذا الأخير و توجيهه التوجيه الصحيح لفهم دلالة النص، أو تأويله تأويلاً يلائم سياقه الخطابي. ولذلك فإن معرفة هذه المقصدية من قبل القارئ / المؤول شيء ضروري في العملية التداولية، ويمكن أن تمثل لهذا الاتجاه ببعض الدراسات التداولية المستفيدة من علم النفس المعرفي ، و التي ينتمي إليها كل من (لايبوف) و (التزكي) ، فالمقصدية عندهما موجودة في الأعمال الحكائية لا تتعلق أبداً بقصد تواصل يتم بين المتكلم والمتلقي عبر الأحداث المتسلسلة؛ وإنما هي مقصدية إستراتيجية ينتج عبرها

(1) للمزيد من الاطلاع على طبيعة المقصدية عند غرايس يمكن الرجوع إلى محمد مفتاح في كتابه تحليل الخطاب الشعري ، إستراتيجية التناس ، دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1985 ، ص 164.

(2) مقال المقاربة التداولية للخطاب الأدبي، مجلة كتابات الالكترونية .

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 183.

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص 183 ، بينما يرى بعض الباحثين أن المشكلة تكمن في أننا لا نستطيع أن نفسر قصديّة العقل بالاحتكام إلى قصديّة اللغة ؛ لأن « قصديّة اللغة تعتمد أصلاً على قصديّة العقل » ، جون سيرل ، العقل و اللغة و المجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي ، تر: سعيد الغانمي ، ص 136. هذا و قد ابتكر أوستين مصطلح " اتجاه الملاءمة " للإشارة إلى أن الاعتقادات ، و الإدراكات ، و الذكريات ، لها اتجاه ملاءمة من العقل إلى العالم ؛ لأن هدفها يكمن في أنها تمثل الكيفية التي توجد عليها الأشياء . و للرغبات و المقاصد اتجاه ملاءمة من العالم إلى العقل؛ لأن هدفها لا يكمن في تمثيل الكيفية التي توجد عليها الأشياء؛ بل الكيفية التي نود أن تكون عليها الأشياء، أو نخطط لها لتكون عليها. سيرل ، العقل و اللغة و المجتمع ، ص 152_154.

المتكلم أثرا في النص الحكائي، فيتمكن بموجبه المؤول من أن يعرف الكلية الدالة و بعدها التشكيلي في سياق التبادل الخطابي .

آ القصد الحوارى: ويتعلق بالوعى الحوارى؛ أى الأيدىولوجى / الخطابى، الذى يجسده الكاتب عن قصد فى خطابه الروائى، لإنشاء حوار ثقافى و تاريخى بين مختلف اللغات و الأصوات، و للخروج من دائرة الذاتية أو الصوت الواحد للانفتاح على الآخر.

نستنتج من خلال ما سبق أن **المقصدية** هي المصطلح العام لجميع الأشكال المختلفة التي يمكن أن يتوجه بها العقل، أو يتعلق ، نحو الأشياء أو الحالات الفعلية في العالم ⁽¹⁾، كما أنها « جوهر السيرة التواصلية و عماد المعنى ، و لا يمكن أن يكون فعلا نابعا من الضرورات الطبيعية التي تملئها الحاجات العضوية في الإنسان ، و لهذا تصبح الوظيفة الغائية غائبة في مضمون الرسائل، ذلك أن القصد توجه مباشر إلى الموضوع ليتماهى مع فعل الإدراك من قبل الذات » ⁽²⁾.

× المقصدية بين المعنى الصريح و المعنى الضمني :

لاحظ الكثير من فلاسفة اللغة و كذلك اللسانيين التداوليين، ومن ضمنهم غرايس أن العديد من البنى اللغوية للغة الطبيعية قد تتجاوز مدلولاتها صيغها الصورية، داخل سياق تواصلي محدد، ففي « بعض المقامات تدل على معنى غير محتواها القضوي » ⁽³⁾.

وقد لاحظ غرايس أن مقاصد المتكلم أثناء خطاباته قد تتغير تبعا للموقف التواصلي ، وقياسا بالبنية اللغوية التي يتلفظ بها هذا المتكلم ، فقد يطابق الملفوظ المقصود، وقد يكون المقصود أكثر وأكبر من الملفوظ ، وقد يكون مقصد المتكلم على عكس ملفوظه.

وعلى هذا الأساس فإن للبنية اللغوية (الملفوظ) معنى صريحا وآخر ضمني . - - - - - معنى صريح هو . « ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظية » ⁽⁴⁾، وبصيغتها الصورية. وأما المعنى الضمني فهو: « ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال » ⁽⁵⁾، والربط بين المعنى الصريح والمعنى الضمني هو الذي ينشئ ما يعرف عند التداوليين بـ " الاستلزام الحوارى " (Implicature conversationnelle)، الذي يعنى الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى الضمني للملفوظ ما، في سياق تواصلي معين، ولو وصف وتفسير هذه الظاهرة اقترح غرايس مقترحين هما :

المقترح الأول: يقوم على أساس تقسيم معاني الملفوظ والدلالة التي يحملها إلى معنى صريح ومعنى ضمني:

(1) جون سيرل ، العقل و اللغة و المجتمع ، ص 128

(2) أحمد يوسف ، السيميائيات و التواصل ، علامات 24 ، ص 39 .

(3) مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 33 .

(4) محمود أحمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 33.

(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

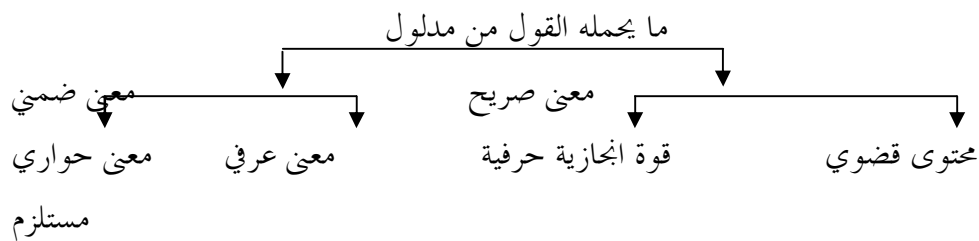
أ- **المعنى الصريح** : مدلول الصيغة الصورية والقيمة اللفظية التي يعينها الملفوظ ، ويشمل :
 - **محتوى قضوي** : هو جملة معاني الألفاظ والمفردات المسندة والمضمومة بعضها إلى بعض داخل الملفوظ.

- **قوة إنجازية حرفية** : هي القوة الدلالية المتحققة أسلوبيا بالأدوات والصيغ داخل الملفوظ .
 ب- **المعنى الضمني** : فهو ما يقصد المتكلم أن يبلغه السامع من خلال الملفوظ على نحو غير مباشر، يتعدى الصيغة الصورية لهذا الملفوظ ، في سياق تواصل محدد ، ويشمل :
 - **معنى عرفي** : هو الدلالة التي يقتضيها الملفوظ ، ويستلزمها في سياق تواصل محدد ، انطلاقاً مما تعارف أصحاب اللغة عليه.

- **معنى حوار** : هو الدلالة المتولدة من تغيير سياقات التواصل ، وتمثل مقصود المتكلم .
المقترح الثاني : يرى غرايس أن الأساس الأول لفهم المتلقي مقاصد المتكلم أثناء خطاباته ، يقوم على التعاون الحاصل بينهما للوصول إلى حوار مثمر ومحادثة مفيدة ، هذا الأساس سماه "مبدأ التعاون" ، والذي يتفرع إلى أربعة أحكام شرحناها قبلاً هي: حكم الكمية ، حكم الطريقة ، حكم المناسبة ، حكم الصدق.

وقد وجد غرايس أن التزام المتكلم بمبدأ التعاون واحترامه للأحكام المتفرعة عنه يؤدي إلى التطابق بين المعنى الصريح والمعنى الضمني ؛ أي أن ما يقوله المتكلم هو ذاته الذي يقصده أمام المتلقي. أما إذا لم يلتزم المتكلم بذلك المبدأ التزاماً كاملاً بخرقه أحد أو بعض الأحكام المتفرعة عنه ، فإن المعنى الضمني لا يطابق المعنى الصريح، فيؤدي هذا إلى نشوء الاستلزام الحوار بين المعنيين.

ولإظهار الفارق بين ما يقال و ما يقصد إليه، أو ما يعرف بالاستلزام الحوار ، يمكن تقديم بعض الأمثلة التوضيحية من كتاب **كلىة و دمنة** وفق المخطط الآتي :



ولتوضيح مسألة الاستلزام الحوار نورد المثال التالي من كتاب **كلىة و دمنة** :
 « يا نفس أما تعرفين نفعلك من ضرك ، ألا تنتهين عن طلب ما لا يناله أحد إلا قل انتفاعه به و كثر عناؤه فيه و اشتدت المؤونة عليه و عظمت المشقة لديه بعد فراقه ؟ يا نفس أما تذكرين ما بعد هذه الدار

فينسيك ما تشرهين إليه منها ؟ ألا تستحين من مشاركة الفجار في حب هذه العاجلة الفانية التي من كان في يده منها شيء فليس له وليس بباقي عليه فلا يألفها إلا المغرورون الجاهلون؟»⁽¹⁾.

فدراسة هذا المثال مفصولا عن سياقه يبرز أن المعنى الصريح هو نفسه المعنى الضمني ، من خلال استفهام يتطلب الجواب بـ (نعم) أو (لا). لكن عندما نحدد موضع هذا الاستفهام من النص ، وكذا سياقه التواصل ، نعلم أن قائله لا يطرح الاستفهام بحثا عن جواب ، وإنما القصد يتوارى خلف البنية الاستفهامية أو خلف المحتوى القضوي الذي يفترض الحصول على قوة انجازية حرفية ، التي هي الإجابة عن السؤال .

فالنص هنا يحمل قوة استلزامية أو معنى جديد بين المستفهم و المخاطب ، وبهذا يخرج أسلوب الاستفهام إلى أسلوب مجازي لا يطابق في دلالاته المجازية الدلالة الحقيقية . وبالتالي يظهر الفارق بين القول وبين ما يقصد منه ، فينشأ استلزام حوار بينهما .

وفي قوله : «كيف يأبى الصبر على أيام قلائل يعيشها في النسك و أذى تلك الأيام قليل يعقب خيرا كثيرا ، أو ليس أن الدنيا كلها بلاء و عذاب»⁽²⁾ ، فالمعنى الضمني المستلزم في هذا المثال هو التعجب من يفر من النسك و ترك ملذات الدنيا و شهواتها إلى التعلق بالدنيا الفانية .

وهكذا بالنسبة لجميع نصوص كليلية و دمنة فإنها بُنيت على الاستلزام الحوارية بدءا من انتخاب أسلوب الحكيم على لسان الحيوان ، إلى داخل الحكاية نفسها بما تضمنته من معان ضمنية تقول في كثير من الأحيان ما لا تفصح عنه صيغتها اللغوية ، أو قوتها الانجازية الحرفية باصطلاح التداولية .

والملفت للانتباه أن الاستلزام الحوارية -كآلية تداولية- يساعد على استخراج القيم الحجاجية ، إذ يعد الاستفهام في المثال السابق مثلا تدعيما للقيمة الحجاجية ليدعو المتلقي _ و إن أطلق المثال مخاطبا الذات (يا نفس) _ إلى ضرورة التنبه و الاستيقاظ من أوهام الدنيا و ملذاتها المنقطعة لا محالة ، ومن هنا يظهر دور الاستلزام الحوارية في الحجاج ، إذ يساعد على إبراز القيمة الحجاجية من خلال إشراك المتلقي في استنتاجها واستنباطها مما يقوله المحاجج.

× الخطاب الأدبي خطاب لغوي مخصوص :

من المفاهيم التي أرسنها التداولية في مجال تحليل الخطاب الأدبي الملفوظ الأدبي بوصفه " عملا لغويا " ، و في هذا الصدد ارتأى الباحثون ضرورة التمييز بين مفهوم الملفوظ و مفهوم الجملة ، على اعتبار أن الكثير من اللغويين لا يفصلون بينهما .

فلقد تجاوزت التداولية دراسة الجملة بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل إلى ما فوقها ؛ أي إلى دراسة الملفوظ ، و ذلك يربط السياق اللغوي بمحيطه و ظروفه التبليغية ، فقد دعا بورس (Pierce) إلى « تناول

(1) كليلية و دمنة ، ص 75 .

(2) المصدر نفسه ، ص 88 .

الدليل اللغوي في أبعاده الثلاثة»⁽¹⁾ : البعد التركيبي ، و البعد الدلالي ، و البعد التداولي ، مركزا على البعد الثالث في ربطه بين الدليل اللغوي و مؤوله داخل سياق تواصل محدد .

كما سعى ز. هاريس في بحثه المعنون "تحليل الخطاب" إلى « توزيع العناصر اللغوية في النصوص ، و تأكيد الروابط بين النص و سياقه الاجتماعي »⁽²⁾ ، كما لا تكمن الملكة التبليغية عند هايمس (Hymes) في الوحدات اللسانية عند المتكلم بل تتضمن القواعد الاجتماعية ، و طرائق استعمالها على حسب مقتضيات أحوال التبليغ .

وانطلاقا مما سبق بدأت تظهر مفاهيم و رؤى جديدة ، تعدت حدود الجملة إلى الملفوظ و التلفظ و يحدد بنفست بدقة أن موضوع الدراسة لا يتعلق بالملفوظ ؛ بل بالتلفظ في حد ذاته، لأنه يبرز أحوال المتكلم و السامع، و يرتبط بوظائف اللغة (Les fonctions du langage) ، و بنظرية التواصل Théorie du communication ، و يتعلق بما يصحب ظواهر المشافهة . فالخطاب ملفوظ متعلق باللغة المكتوبة ؛ أي أنه نص ، كون النص هو الملفوظ . و هو أيضا تلفظ مرتبط باللغة المنطوقة ، إذ يتطلب متكلما و سامعا و هدفا تأثيريا بكيفية معينة ، بوصفها بدايات لنشأة لسانيات جديدة .

يرى بنفينست (Benveniste) أن الملفوظ هو مجموع الوقائع الكلامية المؤداة من قبل المتكلم ، من أجل التمثيل الجزئي للتلفظ ضمن موقف ما و لغاية محددة ، و هو بذلك يشير إلى مفهوم مهم هو **التلفظ** الذي يعرفه بأنه « وضع اللغة في حركة بمقتضى فعل فردي في الاستعمال »⁽³⁾ ، و ينتج عن هذه الحركة تجسيد فعلي و واقعي للغة، كونها طاقة مخزونة في ذهن الإنسان، تتحول بمقتضى هذا التلفظ إلى كلام أو نص أو خطاب.

نستنتج مما سبق أن الملفوظ يختلف عن الجملة بكونه نتيجة للتلفظ بجملة يتغير معناها التداولي بحسب السياق الذي تستعمل فيه ، كما تنقل ما يريد المتكلم إبلاغه ، وهذا ما يجعل دراسته من مهام التداولية ؛ في حين أن الجملة متتالية من الكلمات ، لا تتغير بتغير السياق الذي تستعمل فيه ؛ لأنها محددة ببنيتها النحوية و بقيمتها الدلالية ، و هذا ما يجعل دراستها من اختصاص اللسانيات .

(1) حولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات العامة ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2000 ، ص 159 .

(2) صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي ، ج 1 ، ص 23 .

(3) كاترين فوك و بيارلي قوفيك ، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة ، تعريب : المنصف عاشور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، ص 134 .

الفصل الثاني

الفعل الكلامي في كتاب كيلة و دمنة

توطئة

- × الفعل الكلامي عند أوستين .
- × الفعل الكلامي عند سيرل .
- × الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب .
- × شروط نجاح الفعل الكلامي .
- × الفعل الكلامي المباشر .
- × الفعل الكلامي غير المباشر .
- × الفعل الكلامي و الخطاب الأدبي .
- × مفهوم الحدث الكلامي .
- × الوصف و انجاز الخطاب السردى .
- × الفعل الكلامي و الحجاج .

x نظرية أفعال الكلام⁽¹⁾

يعد مفهوم الفعل الكلامي (Acte du parole) نواة مركزية في الفلسفة التحليلية الغربية ، التي مهد لها الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجة (Gottlob Frege)، وعمّق البحث فيها الفيلسوف النمساوي لودفيغ فيتغنشتاين (Wittgenstein) مؤسس تيار " فلسفة اللغة العادية "، بالإضافة إلى عدد من الباحثين⁽²⁾، الذين آمنوا أن السبيل إلى فهم الإنسان لذاته و لعالمه هي اللغة ، فنادوا إلى ضرورة اتخاذها موضوعا للدراسة في أي مشروع فلسفي يروم فهم الكون و مشكلاته⁽³⁾.

وتمثل هذه النظرية تداولية الدرجة الثالثة، إذ «يتعلق الأمر بمعرفة ما تمّ من خلال استعمال بعض الأشكال اللسانية ، فأفعال اللغة مسجلة لسانيا»⁽⁴⁾.

1- الفعل الكلامي عند أوستين Austin :

ثارت نظرية الكلام ، من خلال أوستين ، على مفهوم الوصف المسند في الغالب للغة ، و الذي أقصى كثيرا من العبارات المستخدمة بحجة عدم خضوعها لمعيار الصدق و الكذب، ليؤكد أن هناك جملا لا يمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة ، كما لا تصف الحالة الراهنة أو السابقة ؛ و إنما تغييرها أو تسعى إلى تغييرها، قياسا بتعدد وظائف اللغة التي «لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها، ولكن للغة وظائف عديدة ؛ كالأمر و الاستفهام والتمني و الشكر و التهنة واللعن و القسم و التحذير»⁽⁵⁾.

يقول جون ليونز : « لقد كان هدف أوستين في البداية ، على الأقل ، أن يتحدى ما كان يعتبر مغالطة وصفية ، وهي فكرة أن الوظيفة الوصفية الفلسفية المهمة الوحيدة للغة هي إنتاج عبارات خبرية صادقة أو كاذبة ، وعلى نحو أدق، كان أوستين يتهم على رأي عالم التحقق المرتبط بالفلسفة الوضعية المنطقية ، التي تفيد أن الجمل تكون ذات معنى فقط إذا كانت تعبر عن قضايا يمكن التحقق منها أو تفنيدها »⁽⁶⁾.

وفي هذا الصدد انطلق أوستين في « الكشف عن التعارض بين نوعين من المنطوقات، هي المنطوقات التقريرية (Constative utterances)، ونوع آخر يتشابه مع النوع الأول تشابها ظاهريا في البنية، غير أنه لا يقوم بالوظيفة التي يقوم بها هذا النوع ، ويسمى أوستين هذا النوع بالمنطوقات الأدائية (Performative sentence)»⁽⁷⁾.

(1) شاع بين الدارسين استعمال مصطلح الفعل الكلامي ، على ما في هذه التسمية من تضليل و مجازفة، من حيث ارتباط الكلام بالمظهر المادي الصوتي ، ويرى جون ليونز أن فعل الكلام شامل للمنجز الكلامي و المنجز الكتابي . نعمان بوقرة ، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ، مجلة اللغة و الأدب ، ع17 ، جانفي 2006 ، الجزائر ص169.

(2) أمثال: إدموند هوسرل زعيم تيار الظاهراتية اللغوية ، و رودولف كارناب زعيم تيار الوضعانية المنطقية ، و أوستين (How to do things with words ?) المترجم إلى الفرنسية (Q uand dire c'est faire) ، و تلميذه جون سيرل .

(3) مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص18 _ 24.

(4) فرانسوا أرمينيكو، المقاربة التداولية ، ص38.

(5) محمود أحمد نخلة ، آفاق جديد في البحث اللغوي المعاصر، ص41، 42 .

(6) جون ليونز ، اللغة و المعنى و السياق ، ص 191 ، أنظر أيضا : محمود أحمد نخلة ، آفاق جديد في البحث اللغوي المعاصر، ص 42 .

(7) صلاح إسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ، 1993، ص137، 138.

ويشمل القسم الأول كل الأفعال التي تخبر عن واقع العالم الخارجي، والتي تحمل قيمتي: الصدق و الكذب، فيما يشمل القسم الثاني أفعالا ينجز بها المتكلم عملا: كالتسمية، والاعتذار، والترحيب، والنصح.. إلخ ، ولا يقتصر على مجرد الكلام بها ، ومن شروط نجاحها توافر عناصر الإرادة ، والقصد، والقدرة ، وحسن النية ، وغيرها من مقتضيات المقام التي تتناسب مع الأعمال الكلامية المنجزة ، مما يجعلها أفعالا موفقة، وإن لم تُراعَ فيها العناصر المذكورة استحالت أفعالا غير موفقة، ولذلك احتيج إلى ما يسمى بالمواضعة (convention)⁽¹⁾، والتي تتضمن بموجبه شروطا تحول دون فشل الفعل الانجازي ، و بتعبير ديكر « فإنَّ الأفعال الانجازية مؤسسة على مواضعات من النوع القضائي، حيث تترتب على المتكلم و المستمع حقوق وواجبات هما مطالبان بالالتزام بها »⁽²⁾.

ولقد تبين لأوستين أن التمييز بين الأفعال الإخبارية و الأفعال الآدائية غير حاسم، وذلك حينما « اكتشف أن لكل منطوق... بما في ذلك المنطوقات التقريرية أو العبارات _ بعد آدائي »⁽³⁾ ، فما لبث أن تحلى عن التمييز بين القول و الفعل، معتبرا الوحدات الكلامية الخبرية صنفا من صنوف الوحدات الكلامية الإنشائية، مختزلا إياهما ضمن نظرية شاملة للأفعال الكلامية .

هذا التمييز قاد أوستين إلى البحث عن معايير تقسيمية أخرى ، فارتأى وجوب الفصل بين الإنشاء (أو الانجاز) الصريح (Performative explicite)، الذي يستدل عليه بواسطة إسناد فعل إلى المتكلم المفرد المعلوم في زمن الحال، وبين الإنشاء (أو الانجاز) الأولي (Performative primaire)، أو بصيغة أخرى الفعل الانجازي الضمني، الذي يتسنى تأويله ببنية نحوية يتصدرها فعل انجازي صريح ، تمثله مختلف الصيغ الانجازية التي لا يسميها فعل ، وقد أبان أوستين أن الإنشاء الصريح نشأ ، على التدرج ، انطلاقا من الإنشاء الأولي ، بعامل تطور اللغة و المجتمع⁽⁴⁾.

(1) لاحظ أوستين أن صدق الملفوظ الخيري أو كذبه يخضع هو الآخر لشروط تشبه كثيرا تلك التي تحكم الملفوظ الانجازي ، بالإضافة إلى أن الملفوظات الخبرية تحمل إلى جانب المحتوى القضوي قيمة انجازية ، الأمر الذي يجعلها ملفوظات خبرية _ إيهامية ، هذه النتيجة حملته إلى إدخال مفهوم الأفعال الانجازية الضمنية ، و يسميها أفعالا انجازية أولية ، في مقابل الأفعال الانجازية الصريحة ؛ فمثلا عندما أصدر ملفوظا خبريا تأكيدا محذرا من يريد الخروج بقولي : " ستمطر " ، نكون أمام مضمون قضوي و قيمة تضمينية ، والأمر نفسه إذا أردت التأكيد فقط _ دون تحذير مضمَر _ ؛ أي إلى جانب المضمون القضوي هناك قيمة تضمينية ، تتمثل في أن أظهر صدق القضية التي أتلفظ بها ، مما يعني أن الملفوظ الخيري يقتضي هو بدوره المواضعة ، التي تسمح بتنظيم استعماله. أنظر : Austin, Quand dire c'est faire, Traduction Gilles Lane , Editions du SEUIL , Paris , 1970 , p97 ، نقلا عن : نصيرة غماري ، نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللغة و الأدب، كلية الآداب و اللغات ، الجزائر ، ع 17 ، جانفي 2006 ، ص 82 .

(2) Voir : Oswald Ducrot , Analyses pragmatiques in communication , édition du seuil 1980 , p 30 .

(3) صلاح إسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، ص 183 .

(4) Austin , Quand dire c'est faire , p 101

نقلا عن : صلاح الدين ملاوي ، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية ، ص 27 ، 28 .

وكتبت نتيجة لما سبق رأى أوستين أن أهم ما في الأمر هو الجواب عن السؤال : كيف ننجز فعلا حين ننطق قولاً ؟ إن ما نصنعه يتجلى في ثلاثة أفعال تعد جوانب مختلفة لعمل خطابي كامل (Acte de discours intégral) ، تختزل مختلف الوظائف اللسانية ، على النحو الآتي :

أ فعل القول Acte locutoire : وهو عملية الإنتاج الصوتي و التركيبي و الدلالي للملفوظات ، فقولنا " الجو جميل " يشكل ملفوظا يتشكل من أصوات تتركب بشكل يفضي لإكساب الجملة دلالة معينة .

ب الفعل الانجازي Acte illocutoire : يمكن القول أن هذا الفعل هو نتاج الفعل السابق و هو « الفعل الانجازي الحقيقي... وهو القيام بفعل ضمن قول شيء »⁽¹⁾ ، هذا الفعل لا يكون متحققا سطحيا في الجملة ؛ بل إنه انجاز لها ، ولذلك يتضمن الانجاز معنى الحركية و الدينامية ، التي تعني بدورها التغيير الدائم . هذا التغيير يقتضي تغييرا في العوالم ، و الأماكن ، و الأزمان .

ومن أجل أن يؤدي هذا النوع من الأفعال فعلا في الواقع وضع له أوستين مجموعة من الشروط التكوينية و القياسية⁽²⁾ ، أما التكوينية فتتعلق بالفعل في حد ذاته ، من حيث إمكانية تنفيذه ، و قدرة الناس على ذلك من خلال ملفوظ محدد ، وأما القياسية فتمثل صدق المشاركين في هذا الفعل ، من حيث المشاعر و النوايا و الالتزام به .

ج الفعل التأثري Acte perlocutoire :

يرى أوستين أن القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل متضمن في القول (فعل انجازي) يقوم بفعل ثالث ، هو التسبب في نشوء آثار في المشاعر أو الفكر ، ومن أمثلة ذلك : الإقناع ، الإرشاد ، التثبيط ، الاستفزاز ، التضليل ... الخ . كذلك نجد في نظرية أفعال الكلام أن الفعل الانجازي يتعلق بالمرسل ، أما الفعل التأثري فإنه « يتعلق بالمرسل إليه ، وقد لا تكتمل دائرة التأثير فيه إلا عند حدوث رد فعل من المرسل إليه »⁽³⁾ ، ولا يقلل الفعل التأثري أهمية عن الفعل الانجازي ، ذلك أن معيار نجاح فعل المتكلم هو الأثر الذي سيظهر على السامع ، كما أنه فرصة للوقوف على سلامة وصول الرسالة ، أو سلامة الفعل الانجازي .

و الواضح أن الأفعال الثلاثة (القول ، الانجازي ، والتأثري) تتضافر جميعا لتشكيل الفعل الكلامي ، فجملة " الجو جميل " تحمل قوة انجازية أمرية غير مباشرة ، تتحدد قيمتها في ظروف سياقية معينة . ونرصد ، وهنا ، الفعل التأثري ، و المتمثل في الاستجابة لما تحمله الجملة السابقة ، وقد يؤدي عدم الاستجابة لهذا الأمر (عدم حصول الفعل التأثري) إلى وجوب التعديل في الفعل الانجازي ، عن طريق إضافة بعض الوحدات اللغوية ، مثل قولنا " الجو جميل اخرجوا للعب " .

(1) مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 42 .

(2) أنظر : محمود أحمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 44، 45 .

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 75 .

هذه الإضافات تؤدي إلى تغيير الفعل الكلامي كلياً، إذ يتغير الفعل القولي ، وتتغير تبعاً له قوة الفعل الانجازي، أيضاً يتم تعديل الفعل الكلامي نتيجة الفعل التأثيري، و بموجب ذلك قد يتحول الفعل الكلامي من مباشر إلى غير مباشر⁽¹⁾.

نستنتج من خلال ما سبق أن الفعل الكلامي هو «كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري ، و فضلاً عن ذلك يعد نشاطاً مادياً نحويًا ، يتوسل أفعالاً قولية (Actes locutoires) لتحقيق أغراض انجازية (Actes illocutoires)، وغايات تأثيرية (Actes perlocutoires) تخص ردود فعل المتلقي، كالرفض أو القبول»⁽²⁾.

وقد ارتأى أوستين أن يصنف الأعمال التي ننجزها بوساطة اللغة إلى أسر خمس هي:

أ الحكميات Les verdictives : و تقوم هذه الأفعال على إطلاق أحكام ذات قيمة أو حدث مثل : حكم ، وصف ، حلل ، قيم ، صنف ، فسر...وما إلى ذلك .

آ التنفيذيات أو أفعال القرارات Les equiptives : و تتمثل في اتخاذ قرارات أو استعمال السلطة لصالح أو ضد أفعال معينة ، مثل : الأمر، النهي ، التعيين ، و العزل ، و الطرد ، الإعلان... وغيرها .

ب الوعديات أو أفعال التعهد Promissives : و تتمثل في ما يقطعه المتكلم على نفسه من عهود ووعود مثل : التزم ، نذر ، وعد ، أقسم ، ضمن... وغيرها .

ج السلوكيات Comportatives : و تتمثل في رد فعل تجاه سلوك الآخر ، و إظهار مشاعر نفسية و حدث ما مثل : الاعتذار ، الشكر ، الترحيب ، التعزية... وغيرها .

د العرضيات أو أفعال الإيضاح Les expositives : و تتمثل في بيان وجهة نظر، أو الإيضاح، أو عرض رأي ، وما إلى ذلك⁽³⁾.

وقد تبين لأوستين حين قدّم هذه التصنيفات أنها لا تشكل الوسائل الوحيدة التي يمكن أن يعتمد عليها المتكلم أثناء كلامه ، « فهناك وسائل لغوية أخرى، تضاف إلى الأفعال الإنشائية، كالحكم (الكيفية) Mode ، أو التطويح Accent ، والنغمة Intonation، وعطف النسق Conjonction، وسلوك المتكلم العام-حركاته وإيماءاته، وحال الحديث أو القول»⁽⁴⁾.

وعلى هذا الأساس فإنّ عمل أوستين لم يكن كافياً لبناء نظرية شاملة للأفعال الكلامية ، إلا أن « من الصعب نقد التصنيف المقترح و تقديم تصنيف آخر بكل ما يكفي من الضمانات »⁽⁵⁾.

(1) سنعود إلى هذا النوع الهام من أفعال الكلام في موضع آت من هذا الفصل .

(1) مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 40 .

(2) أنظر :طالب سيد هاشم الطبطبائي ، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين و البلاغيين العرب ، ط1 ، الكويت 1993، ص 10 ، 11 .

(3) الجليلي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص 23.

(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

2- الفعل الكلامي عند سيرل J.Searl :

إنَّ ما قدمه أوستين يعد بداية لوضع نظرية لأفعال الكلام ، تبنها تلميذه سيرل⁽¹⁾ ، و حاول إكسابها نضجا و ضبطا منهجيا ، ومن ثم صياغتها ضمن نظرية محكمة ، متداركا أغلاط أستاذه ، و كان أبرزها :
Ã تعديله التقسيم الذي ورثه عن أستاذه للأعمال الكلامية ، لتستحيل أربعة بتقسيمه عمل القول إلى قسمين : الفعل النطقي ، و الفعل القضوي .

Ã نصُّه « أنَّ الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي »⁽²⁾.

Ã نصُّه أنَّ « للقوة الانجازية دليلا ، يسمى دليل القوة الانجازية ، يبين لنا نوع الفعل الانجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة »⁽³⁾.

Ã ذهابه إلى أنَّ العمل الكلامي لا يحدده قصد المتكلم وحده؛ بل لا بد من تضافر العرف اللغوي و الاجتماعي.

Ã نظرية الأعمال اللغوية عنده جزء لا يتجزأ من نظرية عامة للعمل (La théorie de l'action)⁽⁴⁾.

Ã تطويره شروط الملازمة ، و التي تضبط القول ، وهي⁽⁵⁾:

• قاعدة المحتوى الاسنادي Règle du continue propositionnelle ، ونحدد اي نوع هو المضمون المعبر عنه بقول مخصوص .

• قاعدة التمهيد أو التقديم Règle d'introduction .

• القاعدة الأساسية Règle essentielle : و تعين هذه الشروط الغرض التواصل من الفعل الكلامي ، هذا الغرض الذي يلزم المتكلم بواجبات معينة ، اعتقادات و إرادات المستمع، و أيضا طبيعة العلاقات القائمة بينهما قبل أداء الحدث الكلامي.

• قاعدة الإخلاص Règle du sincérité : و تعني تحديد الشروط التي يجب أن تتحقق إن كان على الفعل أن ينفذ بإخلاص و دقة .

Ã تصنيفه الأفعال الكلامية في أسر خمس :

• أفعال تمثيلية Représentatifs : «والغرض منها وصف واقعة معينة من خلال قضية Proposition ، و تتميز باحتمالها الصدق و الكذب، و باتجاه المطابقة فيها من القول إلى

(5) يرى سيرل أنَّ مصطلح الفعل الكلامي كان مستعملا من قبل لغويين بنائيين _ أمثال بلومفيلد Blomfield في العقد الثالث من القرن العشرين ؛ غير أنَّ معناه الحديث من إبداع أوستين .

(1) محمود أحمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 47

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(4) صلاح الدين ملاوي، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، ص 29 .

(5) الجليلي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص 26 ، و ينظر أيضا : طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 261 .

العالم، بحيث يكون القول مطابقا للوقائع الموجودة في العالم الخارجي ، فضلا عن تميزها بالصدور عن حالة نفسية معبر عنها بالاعتقاد Croyance «⁽¹⁾.

• **أفعال توجيهية Défectives**: والغرض منها حمل المخاطب على أداء فعل أو عمل معين ، ومن أمثلتها : أفعال الطلب و السؤال .

• **أفعال التزامية Coméssifes**: و الغرض منها أن يلتزم بالقيام بعمل ما في الزمن المستقبل ، ومن أمثلتها : أفعال العرض و الوعد و الوعيد .

• **أفعال تعبيرية Expressives**: الغرض منها التعبير عن حالات نفسية انفعالية تجاه الوقائع الخاصة التي تمثل مضمون القول .

• **أفعال إعلانية Déclaratives**: و تسمى كذلك الايقاعيات، و الغرض منها هو إحداث تغيير في العالم الخارجي، بحيث يطابق العالم المحتوى القضوي . بمجرد الانشاء الناجح للفعل الكلامي، ويتم ذلك بالاستناد إلى مؤسسات غير لغوية ، بحيث تعد هذه المؤسسة الإنشاء الناجح لذلك الفعل الكلامي إحداثا للتغيير المطلوب .

• **تمييزه بين الأفعال الانجازية المباشرة Directe**، التي تطابق قوتها الانجازية مقصود المتكلم ، وبين الأفعال الانجازية غير المباشرة Indirecte ، التي تخالف قوتها الانجازية مقصوده .

3- الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب :

تتجلى ملامح التداولية في التراث العربي من خلال نظرية الأفعال الكلامية عند أعلام الفقه و التفسير و اللغة و القراءات، وقد سارت جهودهم في مسار أحادي هو خدمة الخطاب القرآني، في تمظهره البياني من خلال نظرية الإعجاز ، هذا وتنضوي نظرية الفعل أو الحدث الكلامي في البلاغة العربية ضمن مباحث علم المعاني، و تتعلق بوجه خاص بأساليب الخبر و الإنشاء .

والملاحظ أن علماء العربية القدامى في دراستهم للجملة و النص ركّزوا على قواعد هي مناط التواصل بين مستعملي اللغة ، وقد كانت مراعاتها من قبل هؤلاء العلماء عنوانا على أي دراسة لغوية وظيفية جادة ، وهي :

• **آعرفية التداول** : و للعرف ثلاثة أشكال ، فهو إما أن يكون وضعاً لغوياً أو اجتماعياً أو «شرعياً»⁽²⁾.

• **آالقصد**: لطالما يؤسس المتكلم خطابه على جملة من المقاصد تحدد هدفه و غايته، وتحقيقاً لذلك يطمح المخاطب إلى أن يكون كلامه مفهوماً و دالاً يحسن السكوت عليه ، مع مراعاة تفاوت المتخاطبين في الأفهام ،

(5) أنظر: صلاح الدين ملاوي، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، ص30.

(1) راجع ماهية المقاصد و أنواعها و ضوابطها في الشريعة الإسلامية في كتاب الموافقات في أصول الشريعة لأبي اسحق الشاطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1991 ، 7/1 .

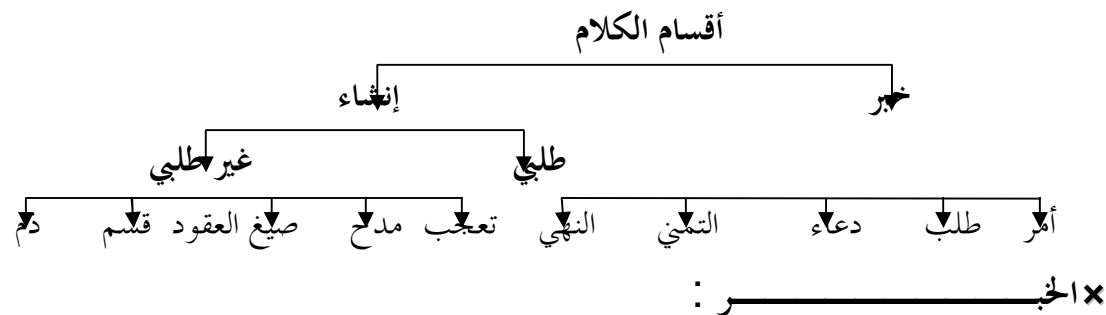
و على الرغم من تواجد المعرفة العرفية بالأوضاع اللسانية فإنَّ على المخاطب أن يهتم بالقرائن اللسانية و المقامية ليحلى ما غمض من دلالات مقصودة، وربما هذا ما يفهم من نص ابن القيم حين حذر من إهمال قصد الخطاب «فإيَّاك أن تهمل قصد المتكلم و نيته و عرفته فتجني عليه و على الشريعة...»⁽¹⁾.

إنَّ هذين الأصلين هما المقصودان بمقالة ابن خلدون في تعريفه للغة بقوله: «اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني فلا بُدَّ أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، و هو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم»⁽²⁾.

آ الإفادة: وذلك في تعريفهم لعلم المعاني، يقول السكاكي: «اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان و غيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره...» وأعني بخاصية التركيب: ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب، جاريا مجرى اللازم له»⁽³⁾.

كذلك نجد ابن خلدون يؤكد على هذه الخاصية في تعريفه لعلم المعاني، يقول: «هذا العلم الحادث في الملة بعد علم العربية واللغة، وهو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ و ما تفيده، ويقصد الدلالة عليه من المعاني... و يبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة عليها، لأنه من تمام الإفادة، وإذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه... و لكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب و الإبانة»⁽⁴⁾. وبذلك اقتصرت دراسة العلماء العرب على التراكيب الدالة المفيدة؛ أي التي لها دلالات مباشرة (حرفية) أو غير مباشرة (ضمنية) تفهم منها، أو «ملازمة لها» بتعبير السكاكي.

وعلى كل قسم العلماء العرب الكلام إلى خبر و إنشاء، و يمكن بيان ذلك من خلال المخطط الآتي:



إنَّ أي كلام مفيد ننطق به إما أن يكون مما نقرر به أمرا من الأمور، أو نخبر عن قضية من القضايا، و إما أن نتحدث عن أمر لم يحصل بعد، نطلب تحقيقه، أو ننهي عنه، أو نتمناه، أو نستخير و نستفهم عنه، أو نناديه؛ فالقسم الأول هو الخبر، و القسم الثاني هو الإنشاء.

(2) ابن القيم الجوزية، اعلام الموقعين عن رب العالمين، 53/3، نقلا عن: نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، ص193.

(3) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، 1128/3.

(3) أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص161.

(2) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، 1135/3.

وقد عرف جمهور العلماء الخبر بأنه ما يحتمل الصدق و الكذب و الإنشاء بعكس ذلك، أو بصيغة أخرى الكلام التام إن احتمل الصدق و الكذب فهو الخبر و القضية، وإن لم يحتمل فهو الإنشاء.

فحين أردد قول القائل: "قُمْ لِلْمَعْلَمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلَا"، أو قوله عز و جل: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة هود ، آية 44] ، فإنني لا أخبر عن شيء ما قد وقع بالفعل ؛ وإنما هي أنواع من القول ، و هو ما يسميه العلماء بالإنشاء ، و يرى السكاكي أن «مرجع كونه صدقا أو كذبا عند الجمهور إلى مطابقة ذلك الحكم للواقع أو غير مطابقته له ... و عند بعض إلى طباق الحكم لاعتقاد المخبر أو ظنه»⁽¹⁾.

فمن الرأي الأول يرى قطب الدين الرازي أن «الخبر إما أن يكون مطابقا للواقع أو لا، فإن كان مطابقا للواقع لم يحتمل الكذب، و إن لم يكن مطابقا للواقع لم يحتمل الصدق... يجب أن يقال : الخبر ما صدق و كذب»⁽²⁾، وهو رأي الجمهور.

أما النظام _شيخ الجاحظ_ فقد خالف هؤلاء ، وذهب إلى أن الصدق ما وافق الاعتقاد ؛ اعتقاد المتكلم ، و الكذب ما خالف الاعتقاد ، و إن تنافيا مع الواقع ، مستدلا بالآية الكريمة: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون ، آية 1].

فشهادة المنافقين _هم الذين يظهرون الإيمان و يبتغون الكفر_ مطابقة للواقع ، و لكنها مخالفة لاعتقادهم، فالكاذب ، إذن ، من قال قولاً مخالفاً لاعتقاده ، و إن كان مطابقاً للواقع ، كقول المنافقين، و الصدق ما طابق الاعتقاد ، و إن خالف الواقع .

فيما يرى الجاحظ أن الخبر واحد من اثنين: «الذي يوصف بـ_____ "الصادق" هو ما يكون مطابقاً للواقع ، مع اعتقاد صاحبه أنه مطابق ، وأن الذي يوصف بـ_____ "الكاذب" منها هو ما يكون غير مطابق للواقع ، مع اعتقاد صاحبه أنه غير مطابق»⁽³⁾.

فالجاحظ يحتكم إلى معيارين في الحكم على صدق الخبر أو كذبه :

أ مطابقة الواقع ، و هو رأي الجمهور.

ب اعتقاد المخبر (أو قصده).

وقد وضع العلماء قيماً أخرى في تعريف الخبر فقالوا: ما احتمل الصدق و الكذب لذاته _أي لذات الخبر نفسه_ و هذا بالطبع يخرج ما كان صادقا قطعاً و ما كان كاذبا قطعاً ، فالكلام و إن احتمل الكذب لذاته

(1) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 166 .

(2) قطب الدين الرازي ، تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 2 ، 1948 ، ص 42 .

(3) سعد الدين التفتازاني ، المطول في شرح تلخيص المفتاح ، ترتيب و تعليق : عبد المتعال الصعيدي ، دار الحكمة قم (إيران) ، دط ، دت ، ص 42.

لكننا إذا نظرنا لقائله فهو صادق قطعاً ، فقولنا في تعريف الخبر « لذاته » نخرج به ما كان صدقاً بالنظر إلى قائله ، و ما كان كذباً كذلك⁽¹⁾.

× أضرب الخبر:

كثيراً ما يراعي المتكلم ، وهو يلقي الخبر ، أحوال المخاطب و مقامه ، حتى يكون كلامه مطابقاً لمقتضى الحال ، فمقام المنكر يختلف عن مقام الشاك المتردد ، وهذا يختلف عن خالي الذهن ، الذي لا شك و لا تردد عنده ، لذلك توجب على المتكلم أن يلقي كلامه بقدر من غير زيادة و لا نقص ؛ فإذا كان النقص عيب ؛ فإن الزيادة كذلك.

وإذا كان الذي تخاطب خالي الذهن لا تعرف منه إنكاراً ، ولا تجد في نفسه شكاً أو تردداً فيما تلقيه إليه فينبغي أن تلقي إليه الخبر خالياً من التأكيد ؛ كان تقول : الدين المعاملة ، الحسد داء . أما إذا كنت تدرك من الذي تخاطبه شكاً ، فيحسن أن تؤكد له الخبر لتزيل ما في نفسه من شك ؛ كأن تقول له : إن نتائج الامتحان ظهرت . أما إذا كنت تعرف أنه منكر ، فلا بد أن تؤكد له الكلام على قدر إنكاره ، فتستعمل المزيد من المؤكدات .

× أدوات التأكيد : و هي عديدة تقتصر على ما تضمنته نصوص كلية و دمنة :

1- إن⁽²⁾ : وهي الأصل في التوكيد ، و كثيراً ما يذكر معها لام الابتداء و القسم .

وكلية و دمنة يعج بالأساليب الخبرية ، سيما المؤكدة بـ : « إن و أن » ، ومن أمثلتهما في الكتاب قول الفيلسوف بيدا : « إن الفيلسوف لحقيق أن تكون همته مصروفة إلى ما يحصن به نفسه من نوازل المكروه ، و لواحق المحذور ، و يدفع المخوف لاستجلاب المحبوب »⁽³⁾.

و كأن المخاطب ، وهم تلاميذه ، منكرين للخبر ، لذلك عمد الفيلسوف إلى تأكيده بمؤكدتين ، و ذلك بحسب درجة إنكاره قوة و ضعفاً ، فالخبر انطلاقاً من مؤكداته هذه خبر إنكاري .

ومثله قول الفيلسوف : « على أن العاقل قد يبلغ بحيلته ما لا يبلغ باحيل و اجنود » ، و احبر هنا إنكاري لذا عمد إلى توكيده بمؤكدتين : « أن و قد » ، والغرض من ذلك تقرير المعنى و توضيحه ، لأنه يتحدث عن حقائق واقعة لا مجال للشك فيها .

ومن نماذج الخبر في كلية و دمنة يقول الفيلسوف بيدا و هو يخاطب تلامذته : « إن مجاورة رجال السوء والمصاحبة لهم كراكب البحر ، إن هو سلم من الغرق لم يسلم من المخاوف »⁽⁴⁾ ، فتلامذة الفيلسوف

(1) فكلام الله تبارك و تعالى صدق ، و كذلك ما صحَّ عن الرسول صلى الله عليه و سلم . كذلك كل كلام نجزم بصدق قائله لا يحتمل كذباً ، كما أن هناك كلاماً لا يحتمل الصدق أبداً ؛ كادعاء اليهود بملكية فلسطين ، أو كادعاء مسيحية الكذاب بالنبوة ، و ما إلى ذلك .
(2) يلحق بعض العلماء ب (إن) : (أن) مفتوحة الهمزة ، و تنطق بها حينما يكون هناك شك و إنكار ، و قد تدخل عليه الكاف ، كما قد تلحق بـ (لكن) ، فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها و أفنانها (علم المعاني) ، دار الفرقان ، الأردن ، ط 4 ، 1997 ، ص 115 (الهامش) .
(3) كلية و دمنة ، ص 16 .
(4) كلية و دمنة ، ص 17 .

مترددين في قبول الخبر، الذي مفاده القدرة على مواجهة الملك دبشليم و قد عرفوا عنه الظلم و البطش ، لذلك أكد بيدبا الخبر بمؤكد واحد حتى يصل بمخاطبيه إلى درجة اليقين .

ومن أمثله أيضا ما جاء على لسان الملك دبشليم: « إن كان للملوك فضل في مملكتها؛ فإن للحكماء فضلا في حكمتها أعظم ؛لأن الحكماء أغنياء عن الملوك بالعلم، وليس الملوك بأغنياء عن الحكماء بالمال»⁽²⁾.

2_ لام الابتداء: اللام أحد حروف المعاني الدالة على معنى في غيره ،و من أقسامها اللام غير العاملة التي تدرج ضمنها لام الابتداء التي حكمها الفتح ، و تأتي لتأكيد مضمون الجملة .و تسمى كذلك المرحلة ، لأنها ترحلت من المبتدأ أو من اسم (إن) إلى الخبر .

وأمثلتها في كليله و دمنة : « في كل باب مسألة و الجواب عنها ، ليكون لمن نظر فيه حظ من التبصرة و الهداية »⁽³⁾ ، وقد دخلت في هذا المثال على الفعل المضارع.

وكذلك « جعل كلامه على ألسنة البهائم و السباع و الطير ليكون ظاهره هوا للخواص و العوام و باطنه رياضة لعقول الخاصة »⁽⁴⁾ ، و«العاقل يكتفي من الرجل بالعلامات من نظره و إشارته بيده ، لكي يعلم سر نفسه و ما يضمّر في قلبه »⁽⁵⁾،وقول بيدبا :«إنّ الفيلسوف لحقيق أن تكون همته مصروفة إلى ما يحصّن به نفسه من نوازل المكروه ،ولواحق الحذور،ويدفع المخوف لاستجلاب المحبوب »⁽⁶⁾ ، و قد دخلت هنا على إنّ ، واللام في هذه الأمثلة جميعا لا تخرج عن إفادة المعنيين التعليل و التوكيد.

3- ضمير الفصل : المعروف أن الضمائر هي أسماء،إلا أن ضمير الفصل ليس اسما ؛ إنما هو في عرف النحويين حرف،وسمي ضمير الفصل لأنه يفصل بين المبتدأ و الخبر ، إذ يفصل في الأمر حين الشك واختفاء القرينة فيرفع الإيهام بسبب دلالة على أن الاسم بعده هو الخبر لما قبله من مبتدأ ، أو ما أصله المبتدأ ، وليس صفة ولا بدلاً ولا غيرهما من التوابع والمكملات التي ليست أصيلة في المعنى الأساسي ،و يعرب: ضمير فصل لا محل له من الإعراب.

وقد يأتي للتأكيد و لغيره ؛كالاختصاص ،وأنّ ما بعده يكون خبرا لا صفة ، ولا شك أنّ الخبر أقوى في الدلالة و في تثبيت الحكم من الصفة ؛ لأن الخبر عمدة في الكلام .

ومن أمثلة هذا النوع في كليله و دمنة قول الفيلسوف بيدبا : « إني وجدت الأمور التي اختص بها الإنسان من بين سائر الحيوان أربعة أشياء ،وهي جُمَاع ما في العالم ،و هي : الحكمة...العقل...العفة

(1)المصدر نفسه ، ص 16.

(2)المصدر نفسه ، ص 20.

(3)المصدر نفسه ،ص 36.

(4)المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(5)المصدر نفسه ،ص 44.

(6)المصدر نفسه ،ص 16 .

...العدل ، و هذه هي الخاسن ، و أضدادها هي المساوي ⁽¹⁾ ، وكذلك في : « فأفضل ما رزقهم و منّ عليهم به من العقل الذي هو قوة لجميع الأحياء .. العقل هو سبب كل خير » ⁽²⁾ .

4- (أمّا) الشرطية : ومثال ذلك قولك لصاحبك : (أنا عازم على الجهاد) ، فإذا أحسست منه شكا و تردّدا في ما قلت فإنك تؤكد له الخير ، فتقول : أمّا أنا فعازم على الجهاد . والفرق بين (أمّا) بالفتح و (إمّا) بالكسر أنّ الثانية ليست من أدوات التأكيد ، و من أمثلة أمّا في كليله و دمنه : « أيها الملك ، أمّا المال فلا حاجة لي فيه ، و أمّا الكسوة فلا أختار على لباسي هذا شيئا » ⁽³⁾ .

و كذلك « فأما إذ فتحت الكلام فأنا مخبرك عن نفسك ، و مظهر لك سريرة أمرك ، و معلمك حالك » ⁽⁴⁾ ، و قوله : « و أمّا أهل الفضل و المروءة فلا يقنعهم القليل ، و لا يرضون به دون أن تسمو بهم نفوسهم إلى ما هم أهل له و هو أيضا لهم أهل » ⁽⁵⁾ ، « و أمّا الكتاب فجمع حكمة و هوا » ⁽⁶⁾ ، فـ (أمّا) هنا شرطية تفصيلية توكيدية ، و في هذه الحالات جميعا يقترن جوابها بالفاء .

5- قد : و هي من الحروف التي لا تدخل إلا على الفعل ، و يقسمها النحويون قسمان :
A إن دخلت على الماضي تكون للتحقيق أو للتقريب، و من أمثلة دخولها على الماضي في كليله و دمنه قول الفيلسوف بيدا : « قد سمعت مقالتيكم ، و تبين لي نصيحتكم ، و الإشفاق عليّ و عليكم » ⁽⁷⁾ .
و ما جاء على لسان الملك دبشليم : « قد قالت العلماء أربعة لا ينبغي أن تكون في الملوك : الغضب فإنه أجدر الأشياء مقتا ، و البخل فإن صاحبه ليس بمعذور مع يده ، و الكذب فإنه ليس لأحد أن يجاوره ، و العنف في المحاورة فإن السفه ليس من شأنها » ⁽⁸⁾ .

و كذلك « قد رزق الله ملكنا... من العقل أفضل الرزق و من النصيب أجزله و أعانه على ما رزق من ذلك بحسن الأدب و البحث عن العلم و طلب التفسير لجميع علوم الفلسفة ، و الاستنباط عما غاب ، و التخير للصواب مما ظهر ، فبلغ ما لم يبلغه ملك قط ممن كان قبله من الملوك » ⁽⁹⁾ .
و « وقد قيل في أمور من كنّ فيه لم يستقم له عمل ، منها التواني ، و منها تضييع الفرص ، و منها التصديق لكل مخبر ، و منها التكذيب لكل عارف » ⁽¹⁰⁾ ، و الأمثلة عن التوكيد بـ (قد) التي تدخل على الفعل الماضي عديدة عي كليله و دمنه لا سبيل لذكرها جميعا .

(1) المصدر نفسه ، ص 22 ، 23 .

(2) المصدر نفسه ، ص 40 .

(3) المصدر نفسه ، ص 39 .

(4) المصدر نفسه ، ص 44 ، 45 .

(5) المصدر نفسه ، ص 100 .

(6) المصدر نفسه ، ص 56 .

(7) المصدر نفسه ، ص 56 .

(8) المصدر نفسه ، ص 28 .

(9) المصدر نفسه ، ص 41 .

(10) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

آ إن دخلت على المضارع تكون للتقليل أو التكثير، ومن ذلك يقول بيدبا : « قد تعلمون أن مجاورة السبع و الكلب و الحية و الثور على طيب الوطن و نضارة العيش غدر بالنفس »⁽¹⁾.

وقد رأى بعض النحويين أنها تكون للتأكيد إذا دخلت على الماضي فقط ، و الحق أنها تكون للتأكيد حينما تدل على التحقيق ، لا فرق في ذلك بين الماضي و المضارع .

6-إنما : كقولك إنما الجهاد العمل، وهي كلمة مركبة من (إن) حرف التوكيد و (ما) الزائدة الكافة ، وهي أداة حصر و توكيد، ومن أمثلتها في كليله و دمنة : قول بيدبا « إنما نبأتك بما فيه صلاح لك و لرعيك، ودوام ملكك لك »⁽²⁾ « ذلك أمر إنما يتم باستفراغ العقل و إعمال الفكر »⁽³⁾، و « إنما صاحب العلم يقوم بالعمل ليتنفع به »⁽⁴⁾، و « إنما المال يطلبه صاحبه و يجمعه في كل وجه لبقاء حاله و صلاح معاشه و دنياه و شرف منزلته في أعين الناس... »⁽⁵⁾، و « والإنسان إنما يتقلب في عذابها من حين يولد إلى أن يستوفي أيام حياته »⁽⁶⁾، و « كل من يدنو منهم (الملك) إنما يدنو ليسرّ الصديق و يكبت العدو »⁽⁷⁾.

فهذه الأمثلة جميعا تدرج ضمن ضربي الخبر : الطلبي و الإنكاري ، فالأول ما كان المخاطب مترددا في قبوله، مطالباً بالوصول إلى اليقين في معرفته، وحين إذن يحسن توكيده بأداة واحدة ، وأما الثاني فما كان المخاطب فيه منكرا للخبر ، و في هذه الحالة يجب توكيده بأكثر من مؤكد ، و ذلك حسب درجة إنكاره قوة و ضعفا .

وأما الخبر الابتدائي فما كان المخاطب حين سماعه خالي الذهن من الحكم عليه، غير متردد في قبوله، و لا معترض عليه فلا يحتاج المتكلم إلى تأكيد ما، ومن أمثلة هذا الضرب في كليله و دمنة: « من لم يستح من الحكماء، و يكرمهم، ويعرف فضلهم على غيرهم ، ويصنهم عن المواقف الواهنة ، و يترهم عن المواطن الرذيلة ، كان ممن حرم عقله ، و خسر دنياه ، و ظلم الحكماء حقوقهم ، و عُدَّ من الجهال »⁽⁸⁾.

7-القسم: أسلوب القسم في اللغة العربية من المؤكدات المشهورة ، التي تمكن الشيء في النفس وتقويه ، و يكسب الكلام مزيد ثبوت و تقرير، لتطمئن نفس المخاطب إلى الخبر ، و يتكون من جملة القسم و جواب جملة القسم و من أمثلته في كليله و دمنة قول بيدبا : « و لعمرى إنَّ الملك لأهل أن يهابوا ، ولا سيما من هو في المتزلة التي جلَّ فيها الملك عن منازل الملوك قبله »⁽⁹⁾.

(1) المصدر نفسه ، ص 16 .

(2) المصدر نفسه ، ص 29 .

(3) المصدر نفسه ، ص 35 .

(4) المصدر نفسه ، ص 60 .

(5) كليله و دمنة ، ص 69 .

(6) المصدر نفسه ، ص 88 .

(7) المصدر نفسه ، ص 100 .

(8) المصدر نفسه ، ص 20 .

(9) المصدر نفسه ، ص 23 .

× الإنشاء :

يلحظ الدارس لمؤلفات البلاغيين العرب أنَّهم لم يستعملوا مصطلح الإنشاء ، وإنَّما استعملوا مصطلح الطلب⁽¹⁾، يقول السكاكي «و السابق في الاعتبار في كلام العرب شيان : الخير و الطلب»⁽²⁾، و يعرف الطلب بقوله : « يستدعي مطلوبا لا محالة ، و يستدعي فيما هو مطلوبه ، أن لا يكون حاصلًا وقت الطلب »⁽³⁾.

فالطلب عند السكاكي مفهوم عام يشمل الطلب وغير الطلب ، في حين يرى الخطيب القزويني أنَّ الإنشاء « ضربان : طلب و غير طلب، و الطلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل »⁽⁴⁾، ومن هنا نفهم أن مصطلح الطلب عند السكاكي شامل للطلب و لغيره ، وهو عند القزويني يختص بالإنشاء الطلبي فقط ، و البيِّن أن الاختلاف بينهما واقع في المصطلح لا في المفهوم ، على أننا سنعتمد في البحث مصطلحي الإنشاء الطلبي و الإنشاء غير الطلبي .

× الإنشاء الطلبي: وذلك إذا « استدعى الكلام الذي تقوله شيئا غير حاصل عند النطق »⁽⁵⁾، و يشمل هذا النوع فروعا خمسة : الأمر، الاستفهام، النهي، النداء، التمني، « وكل مخاطبة يقتضي بها شيء ما لها جواب، فجواب النداء إقبال أو إعراض، وجواب التضرع و الطلبة بذل أو منع، و جواب الأمر و النهي و ما شاكلة طاعة أو معصية ، وجواب السؤال عن الشيء إيجاب أو سلب »⁽⁶⁾، ولكل من هذه الأنواع شروط إذا توفرت فيه جرى الأسلوب على الأصل، و إذا تم العكس فعندئذ تخرج إلى معان فرعية . كذلك يمكننا التمييز بين أفعال لا يشترط تحققها في الواقع مثل : التمني و الاستفهام ، و أفعال على عكس ذلك و هي : الأمر و النهي و النداء.

1- الاستفهام: وهو في تعريف البلاغيين طلب حصول الشيء في الذهن⁽⁷⁾، ويميز السكاكي الاستفهام عن غيره من الأساليب الإنشائية الطلبية بقوله « إنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق ، و فيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج نقش مطابق ، فنقش الذهن في الأول (أي الاستفهام) تابع ، و في الثاني (أي باقي الطلبيات) متبوع »⁽⁸⁾.

(1) أنظر على سبيل المثال : مفتاح العلوم للسكاكي ، ص 164 ، و كتاب الحروف لأبي نصر الفريسي ، بيروت ، ط 2 ، 1990 ، ص 162 .
(2) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 164 .
(3) المرجع نفسه ، ص 302 .
(4) الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، مراجعة : بهيج غزاوي ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط 1 ، 1988 ، ص 130 .
(5) فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها و أفنانها (علم المعاني) ، ص 147 .
(6) الفارابي ، كتاب الحروف ، ص 163 ، 164 .
(7) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 303 .
(8) المرجع نفسه ، ص 304 .

وقد اختلف العلماء العرب حول الاستفهام أهو من الإنشاء الطلبي أو غير الطلبي ، و إن عدّه أغلبهم من الضرب الأول، و قد جعل الفارابي الاستفهام ضمن ما سَمَّاه « ما يقتضى به قول ما »⁽¹⁾، أما باقي أنواع الطلب من نداء و تضرع و إذن و منع و كف و أمر و نهي فسمّاه « ما يقتضي به فعل شيء ما »⁽²⁾ . فالمعيار الذي اعتمده للتفريق بين الاستفهام و غيره من أنواع الطلب هو «فحوى الخطاب»⁽³⁾، فإن كان المطلوب " قولاً " كان الطلب استفهاماً ، و إن كان المطلوب فعل شيء ما كان الطلب " غير استفهام " ، كأن يكون أمر أو غير ذلك . وقد جعل الفارابي نوعاً واحداً من أنواع الطلب مكافئاً للاستفهام و هو: النداء ، ذلك عندما قرر أن « قوته قوة السؤال عن الشيء »⁽⁴⁾، أي أن " القوة الانجازية " المختواة في " فعل " النداء هي نفسها المختواة في " فعل " الاستفهام . و الجامع بينهما أن كلا منهما يقتضي جواباً قولياً على الأرجح ، فيما تقتضي باقي أنواع الطلب أجوبة فعلية .

و للاستفهام كلماته الموضوعية ، وهي: الهمزة ، أم ، هل ، ما ، من ، أي ، كم ، كيف ، أين ، أنى ، متى ، أيان ، وهذه الكلمات ثلاثة أنواع : أحدها يختص بطلب حصول التصور ، و ثانيها يختص بطلب حصول التصديق ، و ثالثها لا يختص⁽⁵⁾ .

وأمّا عن الفرق بين التصور و التصديق فيمكن في أن التصور يكون المتكلم فيه خالي الذهن عن أي فكرة حول المستفهم عنه ، أما في التصديق فالواجب أن يكون لدى المتكلم فكرة مسبقة عن الموضوع المستفهم عنه ، و يندرج ذلك ضمن ما أسماه سيرل معيار الشروط المعدة⁽⁶⁾ .

وتمثل هذه الشروط في أن يكون المستفهم غير عالم بما يسأل عنه طالبا العلم به ، و هذا هو المقصود بإجراء الاستفهام على أصله ، الذي هو الاستخبار و طلب العلم ، فالفاظ الاستفهام « قد تستعمل دالة على معانيها التي للدلالة عليها وضعت منذ أول ما وضعت »⁽⁷⁾ . فيكون الاستفهام و الحال هذه فعلاً كلامياً مباشراً ، أما إذا وجدنا الاستفهام في غير مقام الاستخبار خرج عن غرضه الأصلي إلى أغراض تواصلية ، فرضتها المقامات الوارد فيها الاستفهام ، و امتنع فيها عن إتيانه معنى أصلي مباشر إلى معنى فرعي غير مباشر ؛ إذ من الممكن أن «يستعمل على معانٍ أخرى على اتساع و مجاز و استعارة»⁽⁸⁾ .

ومن المعاني التي يمكن للاستفهام أن يؤديها بصيغة غير مباشرة :

(1) الفارابي ، كتاب الحروف ، ص 163 .

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(3) مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 112 .

(4) الفارابي ، كتاب الحروف ، ص 163 .

(5) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 308 .

(6) مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 114 .

(7) الفارابي ، كتاب الحروف ، ص 164 .

(8) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقوعه أم لا؛ وتكون الإجابة عليه بكلمة (نعم) للإثبات، و(لا) للنفي؛ فهو إدراك نسبة الفعل بدقة، لأن المتكلم مُتردّد بين إثبات الشيء ونفيه، ولهذا يطلب تحديد الإجابة وتعيينها .

«أيها الفيلسوف الفاضل... ما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك ، و فهمنا عند فهمك ؟
»(1).

«و كيف كان ذلك ؟ »(2)، و هي اسم يستعمل للسؤال عن الحال.

وأما الاستفهام البلاغي فهو الاستفهام الذي لا يبحث عن إجابة محددة ؛ وإنما يبحث عن تصور ما للمتكلم دون أن يستفسر عن شيء، فقد يخرج الاستفهام عن قوته الحرفية (الاستفهام الحقيقي) إذا لم تتوفر فيه شروط الاستفهام، فيفيد معنى جديدا يقتضيه الاستلزام الحواري، وأمثله في كليله و دمنة كثيرة نورها كالأتي:

«كيف رأيت عظم حيلتي مع صغر جثتي عند عظم جثتك، و صغر همتك»(3)، ويتمثل معنى الاستلزام الحواري في هذا المثال في تعظيم النفس وتحقير الآخر، ومثله «تكلّمت بكلام ما أظن أن أحدا من أهل مملكتي يستقبلني بمثله... فكيف أنت مع صغر شأنك ، و ضعف ممتك ، و عجز قوتك »(4)، والاستلزام الحواري هنا مفاده التحقير و التهكم .

«ألست الذي قصدت تقصير همّتي، وعجّزت رأيي في سيرتي بما تكلّمت فيه»(5)، و مفاده الإثبات و التقرير و الاتهام.

«يا نفس أما تعرفين نفعا من ضرك ، ألا تنتهين عن طلب ما لا يناله أحد إلا قلّ انتفاعه به و كثر عناؤه فيه و اشتدت المؤونة عليه و عظمت المشقة لديه بعد فراقه ؟ يا نفس أما تذكرين ما بعد هذه الدار فينسبك ما تشرهين إليه منها ؟ ألا تستحين من مشاركة الفجار في حب هذه العاجلة الفانية التي من كان في يده منها شيء فليس له و ليس بباق عليه فلا يألفها إلا المغرورون الجاهلون ؟»(6) .

ومفاد الاستلزام الحواري في هذا المثال هو التوبيخ و الزجر بالدرجة الأولى ، ثم الحث على الابتعاد عن المذمات.

(1)المصدر نفسه ، ص18.

(2) المصدر نفسه ، ص67.

(3) المصدر نفسه ، ص18 .

(4)المصدر نفسه ، ص27.

(5)المصدر نفسه ، ص29.

(6) المصدر نفسه ، ص75.

«فمن ذا الذي يعلم هذا و لا يستعد له قبل حلوله و يحتال لغد جهده في الحيلة و يرفض ما يشغله و يلهيه من شهوات الدنيا و غرورها»⁽¹⁾، ومفاد الاستلزام الحواري في هذا المثال هو التعجب و الحث على ترك سفاسف الأمور و ملذات الدنيا.

«كيف يأبى الصبر على أيام قلائل يعيشها في النسك و أذى تلك الأيام قليل يعقب خيرا كثيرا ، أو ليس أن الدنيا كلها بلاء و عذاب»⁽²⁾، ومفاد الاستلزام الحواري في هذا المثال هو التعجب و التقرير ؛ أي الإثبات مع التسليم، إذ لا يحتاج إلى جواب ، لأنه يقرر فكرة من الأفكار؛ يحمل المخاطب على الإقرار بها ، أو بمعنى آخر فإن السؤال نفسه هو جواب ثابت.

نستنتج من خلال ما سبق أن للاستفهام قوتان :

قوة انجازية حرفية = السؤال الحقيقي .

قوة استلزامية = المعنى الجديد الذي استلزمه الحوار بين المستفهم و المخاطب .

وبهذا يخرج أسلوب الاستفهام إلى أسلوب مجازي لا يطابق في دلالاته المجازية الدلالة الحقيقية فيصبح بمعنى الخبر، لا بمعنى الإنشاء. فالاستفهام الحقيقي يتطلب فعلا مباشرا و هو الإجابة عن السؤال ؛ إذ الأصل فيه طلب الإفهام ، فإذا خرج عن مراده الحقيقي سمي استفهاما بلاغيا ، وهو في هذه الحالة انجاز لفعل كلامي غير مباشر، فلا تكون الغاية من إطلاقه الحصول على إجابة «و إنما للتعبير على العكس من ذلك على أعلى درجات التعيين و تحدي المخاطب أن يستطيع الإنكار أو حتى الإجابة»⁽³⁾.

فالخروج عن الأصل في الاستفهام يهدف إلى تحقيق أفعال انجازية متضمنة في الصيغة الاستفهامية ، مما يتعين على المتلقي «ألا يقوم بقراءة حرفية للملفوظ أو على الأقل لا يكفي بتلك القراءة»⁽⁴⁾.

2- النداء : يرى أغلب العلماء العرب أن النداء من الإنشاء الطلبي ، و يخالفهم في ذلك الكاتبي ؛ إذ جعل النداء من التنبيهات «لأنه لا يدل على الطلب دلالة أولية»⁽⁵⁾.

و النداء هو طلب إقبال المدعو إلى الداعي حسا أو معنى «يقتضي به أولا من الذي نودي الإقبال بسمعه و ذهنه على الذي ناداه ، منتظرا لما يخاطبه به بعد النداء ، و هو نفسه لفظة مفردة قرن بها حرف النداء ، و إنما يكون حرفا من الحروف المصوتة ، التي يمكن أن يمد الصوت بها إذا احتيج به إلى ذلك ، لبعد المنادى

(1)المصدر نفسه، ص 89.

(2) المصدر نفسه، ص 88.

(3)إدريس سرحان طرق التضمين الدلالي و التداولي ، رسالة دكتوراه ، مخطوطة جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس ، المغرب ، 1999 ، 2000 ، ص 378 .

(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(5)نجم الدين الكاتبي القزويني ، الرسالة الشمسية ضمن تحرير القواعد المنطقية للرازي ، ص 42 نقلا عن : مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 115.

أو لثقل في سمعه ، أو لشغل نفسه بما يذهله عن المنادى ، فقوته قوة قول تام يقتضى به من الذي نودي الإصغاء بسمعه و ذهنه ، ثم الإقبال وجهة الذي ناداه»⁽¹⁾.

والنداء عند الفارابي « مما يقتضى به فعل شيء ما »⁽²⁾، وللنداء أدوات مخصوصة هي:

آ أدوات نداء للقريب: وهما حرفان (الهمزة) و (أي) ، وقد يتزل البعيد منزلة القريب فينادى بالهمزة أو (أي) تنبيهاً أنه على بعده فهو قريب من القلب .

آ أدوات نداء للبعيد: (يا) الأصل فيها أنها وضعت لنداء البعيد ؛ إلا أنها قد تأتي مشتركة بين النداء البعيد و القريب ، (أيا) ، وا (و أكثر ما تستعمل في الندبة) ، (ها) ، (آ) ، (آي) .

آ إنزال القريب منزلة البعيد: قد يحصل ذلك فينادى بإحدى أدوات النداء ، و ذلك لأسباب أهمها :

- للدلالة على أن المنادى رفيع القدر عظيم الشأن ، فيجعل بُعد المنزلة كأنه بُعد في المكان .

- للإشعار بأن السامع غافل لاه ، فتعده كأنه غير حاضر في مجلسك .

ومن أهم الأغراض التي تخرج إليها صيغ النداء : التحسر و التوجع ، التعجب ، الاختصاص ، الندبة ، الإغراء و التحذير ، الزجر و الملامة ، الاستغاثة و هناك أغراض أخرى تفهم من السياق⁽³⁾.

والواضح أن الدلالات التي تتولد من إجراء النداء كالندبة و الزجر و التحسر و الاستغاثة و غيرها ، إنما تحمل في طياتها معنى النداء ، ولا تبدو منقطعة عنه ، فليس هناك انفصال تام بين هذه الأغراض البديلة وغرض النداء الأصلي.

ومن أمثلة النداء الحقيقي في كليله و دمنه: « يا بيدبا ، تكلم مهما شئت ، فإنني مصغ إليك ، ومقبل عليك ، و سامع منك »⁽⁴⁾ ، وكذلك « يا أخي لا تغتم »⁽⁵⁾.

فيما يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معنى مجازي كمثل : « وا سواتا من رفيق صالح قد ائتمني على ماله و خلّفي فيه »⁽⁶⁾ ، الذي يفيد الحسرة و التفجع المستفاد من استعمال أداة الندبة (وا) ، و من سياق الحكيم كذلك.

3- الأمر : الأصل فيه « طلب الفعل على جهة الاستعلاء »⁽⁷⁾ ، وهذه الصورة « حقيقة فيه لتبادر

الفهم عند استماع نحو : قم و ليقم ، و توقّف ما سواه من الدعاء ، و الالتماس و الندب ، و الإباحة و التهديد ، على اعتبار القرائن »⁽⁸⁾.

(1) الفارابي ، كتاب الحروف ، ص 162 ، 163 .

(2) المرجع نفسه ، ص 162 .

(3) أنظر : فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها و أفنانها علم المعاني ، ص 163 _ 167 .

(4) كليله و دمنه ، ص 22 .

(5) المصدر نفسه ، ص 67 ، تغتم : اغتم الرجل حزن و تكدّر ، كقولنا : لا تغتم ؛ فما بعد الضيق إلا الفرج .

(6) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(7) فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها و أفنانها علم المعاني ، ص 149 .

(8) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 318 .

فالأصل في الأمر أن يدل على الوجوب، وإنما يدل على غيره بالقرائن، و من هنا لا بد أن يكون على وجه العلو ؛ أي من الأعلى لما هو أدنى منه ، يقول السكاكي : « لا شبهة في أن طلب المتصور ، على سبيل الاستعلاء ، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه، ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور، واستتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة، وإلا لم يستتبعه ، فإذا صادفت هذه أصل الاستعمال بالشرط المذكور أفادت الوجوب، وإلا لم تفد غير الطلب ، ثم إنها تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام »⁽¹⁾، فـ " _____ " منزلة " المتكلم مقارنة بـ _____ " منزلة " المخاطب ، هي التي تصبغ الطلب بصيغة خاصة ، يؤدي بها غرضاً خطايا خاصاً ، و وظيفة تواصلية معينة .

فإن كان من الأدنى إلى الأعلى فهو الدعاء ؛ مثل : اللهم اغفر لنا و ارحمنا ، و إن كان إلى من يساويك منزلة فهو التماس ؛ كقولك : أعطني الكتاب .

ومن المعاني التي تؤدي بصيغة الأمر على مقتضى قاعدة « خروج الأسلوب عن مقتضى الظاهر »⁽²⁾ :

آ الإرشاد : و ذلك كقوله تعالى ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف ، آية 199].

آ الاعتبار : وذلك كقوله سبحانه : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْإِنشَاءَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة العنكبوت، آية 20].

آ التخيير : و مثله قول المتنبي :

عش عزيزاً أو مت و أنت كريم
بين طعن القنا ، و خفق البند ⁽¹⁾ .

آ الإباحة : كقوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [سورة البقرة ، آية 187].

آ الدوام : مثل قول المؤمنين : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [سورة الفاتحة، آية 5] ؛ أي أدم هدايتنا ، و ثبتنا عليها، و يمكن أن يكون هذا من باب الدعاء .

آ التأديب : كقولنا لأحدهم اقتداء برسول الله صلى الله عليه و سلم : سم الله ، و كل يمينك ، و كل مما يليك .

آ التعجب : مثل قوله تعالى : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ [سورة الإسراء، آية 48].

آ التهديد : كقوله سبحانه : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة فصلت، آية 40].

آ التمني : و منه قولك : تنفس أيها الصبح ، و أشرق يا شمس ، لنسر إلى فلسطين .

(1) المرجع نفسه ، ص 318 ، 319 .

(2) المرجع نفسه ، ص 323 .

(1) الواحدي ، شرح ديوان المتنبي ، ص 31 ، مكتبة المصطفى www.al-mostafa.com بتاريخ: 2012/09/06 ، سا: 22:05 .

آ الاهانة و التحقير : مثل قول جرير :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع⁽²⁾.

آ التعجيز و التحدي : وهو « كما إذا قلت لمن يدعي أمرا ليس في وسعه : افعله ، امتنع أن يكون

المطلوب بالأمر، حصول ذلك الأمر في الخارج بحكمك عليه بامتناع ، و توجه إلى مطلوب ممكن الحصول مثل: بيان عجزه ، وتولد التعجيز و التحدي⁽³⁾، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة، آية 23].

آ الامتنان: كقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ

تَعْبُدُونَ﴾ [سورة النحل، آية 114].

آ التسوية : مثل: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة

النحل، آية 114].

و ينبغي التنبيه في هذا السياق إلى أمرين:

أولا : أن هذه الصيغ قد يتداخل بعضها مع بعضها الآخر .

ثانيا : أن هذه الصيغ ليست على سبيل الحصر، فهناك صيغ كثيرة يمكن أن تستفاد من السياق؛ كالندب

، و التلهيف ، و التحسر، و الخبر، و الإكرام ، و التكوين ، و التفويض ، و التكذيب ، و المشورة ، و التسخير ، و التسليم⁽¹⁾.

ومن الأمر الحقيقي في كليله و دمنه :

« الزم السكوت فإن فيه السلامة ، وتجنّب الكلام الفارغ فإن عاقبته الندامة »⁽²⁾، و « ليتكلم كل

منكم بكلام يكون أصلا للأدب»⁽³⁾، وكذلك «أن تضع هذا الكتاب... و ليكن مشتملا على الجد و الهزل

و اللهو و الحكمة و الفلسفة»⁽⁴⁾، و «ليحرص أن يكون مكسبه من أطيب المكاسب و أفضلها و أنفعها له

و لغيره معا»⁽⁵⁾، و تلك من صيغ الأمر اللام المقترنة بالفعل المضارع .

ومن الأمر كذلك « الواجب على الملوك أن يتعظوا بمواعظ العلماء، والواجب على العلماء تقويم

الملوك بألسنتها و تأديبها بحكمتها و إظهار الحجة البينة؛ ليرتدعوا عما هم عليه من الاعوجاج و الخروج

(2) جرير، الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ، 1986 ، ص 272 . و مربع لقب راوية جرير واسمه وعوعة ، و كان الفرزدق قد حلف ليقنتله (الهامش).

(3) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 305 .

(1) أنظر : فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها و أفنانها (علم المعاني) ، ص 152 .

(2) كليله و دمنه ، ص 23.

(3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(4) المصدر نفسه ، ص 24 .

(5) المصدر نفسه ، ص 34.

عن العدل»⁽¹⁾، و«انج بنفسك و دع عنك الحمق و التردد»⁽²⁾، و اسم فعل الأمر في: «وعلى العالم أن يبدأ بنفسه و يؤدبها بعلمه»⁽³⁾.

ويخرج الأمر في كلیلة و دمنه عن المعنى الأصلي له ليفيد:

آ النصح و الإرشاد: ومن أمثله: «يا نفس انظري في أمرک، وانصم في عن هذا السفه، و أقبل بقه تك و سعيك على تقديم الخير، و إياك والتسويف، واذكري أن هذا الجسد موجود لآفات»⁽⁴⁾. وكذلك «يا نفس اعتبري كيف يجهد الرجل أن يفرج عن مضيم واحد كربة واحدة، و يستنقذه منها رجاء الأجر»⁽⁵⁾، وكذلك: «ينبغي لمن طلب أمرا أن يكون له فيه غاية و نهاية يعتمد عليها و يقف عندها»⁽⁶⁾، و«ينبغي له أن يحذر مما يصيب غيره من الضرر لئلا يصيبه مثله»⁽⁷⁾، وكذلك «ينبغي للعاقل أن يكون لهواه متهما»⁽⁸⁾.
آ الدعاء: مثل: «فليعظم المنة على عبده باستتمام النعمة إليه»⁽⁹⁾.

آ التحقير: مثل: «راجع عقلك و اعلم أن لكل إنسان منزلة و قدرا»⁽¹⁰⁾.

آ الإكرام: «سل تعط ما أحببت، و اشفع تشفع، و اذكر حاجتك تسعف بها و تكرم»⁽¹¹⁾.

4- النهي: و هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء فيفيد بذلك الوجوب و له صيغة واحدة هي المضارع مع (لا) الناهية، فإن لم يكن على جهة الاستعلاء « أفاد الترك فحسب »⁽¹²⁾.

وقد يخرج النهي عن « طلب الكف و الترك » إلى إفادة « الدعاء » إن كان من الأدنى إلى الأعلى؛ كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة، آية 286]، أو الالتماس إن كان من متماثلين؛ كقولك لصديقك: لا تسبقني .

ويشترك النهي و الأمر في كون المطلوب بهما "فعل" ما، إلا أن المطلوب بالنهي فعل مخصوص، هو «الكف عن فعل آخر»⁽¹³⁾، ففي حالة الأمر يكون المخاطب غير قائم بـ " الفعل " المراد منه، فيطلب منه القيام به؛ أما في حالة النهي فالمخاطب يكون متلبسا بـ " فعل " ما فيطلب منه تركه .

(1) المصدر نفسه، ص 64 .

(2) المصدر نفسه، ص 82 .

(3) المصدر نفسه، ص 61 .

(4) المصدر نفسه، ص 76 .

(5) المصدر نفسه، ص 77 .

(6) المصدر نفسه، ص 61 .

(7) المصدر نفسه، ص 64 .

(8) المصدر نفسه، ص 65 .

(9) المصدر نفسه، ص 51 .

(10) المصدر نفسه، ص 101 .

(11) المصدر نفسه، ص 51 .

(12) السكاكي، مفتاح العلوم، ص 320 .

(13) الشريف الجرجاني، حاشية على تحرير القواعد المنطقية، ص 44، نقلا عن: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 108 .

وقد تخرج صيغة النهي من مدلولها الرئيس وهو طلب الكف إلى معانٍ أخرى ، تعرف بالقرائن و تستفاد من السياق ، و منها على سبيل المثال: الإرشاد ، التهديد ، التيسيس ، التوبيخ ، التسلية و التصبر ، التمني .

نستنتج مما سبق أن النهي فعل كلامي أصلي، أما البقية من المعاني المتفرعة عنه فهي أفعال متضمنة في القول ،فما اعتبره اللغويون و النحاة "معان مجازية"؛ إنما هي أفعال كلامية تؤدي أغراضا خطابية و وظائف تواصلية معينة ، يحكمها مبدأ " الغرض " أو " القصد " الذي يبتغيه المتكلم من الخطاب .

وأما عن معاني النهي في كتاب كليله و دمنه فهي على نوعين :

أ- معنى حقيقي : مثل: « لا يتعرض لما يجلب عليه العناء و الشقاء »⁽¹⁾، وكذلك : « لا يقبل من كل أحد حديثا، ولا يتمادى في الخطأ إذا التبس عليه أمره، ولا يلج في شيء عنه، ولا يقدم عليه حتى يتبين له الصواب فيه ... لا يطلب أمرا فيه مضرة لغيره لصالح نفسه بفساد غيره »⁽²⁾.

ب- معنى مجازي : الغاية منه إرشاد الآخر بصيغة مخاطبة الأنا ، و من أمثله في الكتاب : « يا نفس لا تغتري بصحبة أحبائك و خلانك، ولا تحرصي على ذلك كل الحرص، يا نفس لا يحملنك أهلك و أقاربك على جمع ما تملكين فيه إرادة صلتهم... يا نفس لا تركني إلى هذه الدار الفانية ، و لا تغتري بها طمعا في البقاء و المنزل التي ينظر إليها أهلها... يا نفس لا تملي من عيادة المرضى و مداواتهم... يا نفس لا يبعد

× الإنشاء غير الطلبي :

وهو إنشاء لا يستدعي أمرا حاصلا عند الطلب ، و ذلك كالتعجب ، و الترجي ، و المدح ، و الذم ، والدعاء ، وصيغ العقود ، والقسم ، وبعض أفعال المقاربة مثل: كاد و كرب، وأفعال الرجاء : عسى، حرى...

1- التعجب: ومن أمثله في كليله و دمنه: «ما أصغر هذه المشقة في جانب روح الأبد و راحتته»⁽¹⁾، «ما أمرٌ هذا و أوجعه»⁽²⁾، فقد عبر المتكلمون في هذين السببين عن سبب سبب سيء ما، الأول تحقيرا لها، والثاني استقباحا ، و تحقق ذلك من خلال صيغة التعجب القياسية (ما أفعال) .

وكذلك التعجب في المثالين: «وكيف لا يستحلي الرجل مرارة قليلة تعقبها حلاوة طويلة، وكيف لا تمرُّ عليه حلاوة قليلة تعقبها مرارة دائمة»⁽³⁾، و «كيف يأبى الصبر على أيام قلائل يعيشها في النسك و أذى تلك الأيام قليل يعقب خيرا كثيرا ، أ وليس أن الدنيا كلها بلاء و عذاب»⁽⁴⁾، ويفهم من السياق.

(1) كليله و دمنه ، ص 64 .

(2) المصدر نفسه ، ص 65 .

(1) كليله و دمنه ، ص 87 .

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(4) المصدر نفسه ، ص 88 .

2-الدعاء :وأغلبه جاء على لسان الفيلسوف بيدبا،يقول:«أسأل الله تعالى بقاء الملك على الأبد،ودوام ملكه على الأمد»⁽¹⁾،و أيضا:«الملك أطال الله مدته»⁽²⁾،«أيها الملك السعيد جدّه،علا نجمك،وغاب نحسك،ودامت أيامك»⁽³⁾،«أكرم الله الملك كرامة يجمع له بها شرف الدنيا و الآخرة ،و أحسن جزاءه فقد أغنايني الله بحسن رأي الملك عن جميع عروض الدنيا »⁽⁴⁾،« أنا للملك شاكر أسأل الله له دوام السرور و الغبطة في جميع الأمور»⁽⁵⁾.

ومثله«أدام الله لك أيها الملك السرور و الفرح و قرة العين،ورزقك من الشرف في الدنيا ما تفوق به جميع المخلوقين،و في الآخرة أفضل المنازل مع الصالحين في جنات النعيم»⁽⁶⁾.
و« أدام الله لك أيها الملك الكرامة و الجمال في الدنيا و الآخرة...و عمرك أقصى و منتهى غاية ما عمّر به أحدا من آبائك في أفضل السرور،وأعمّ العافية،ووصل ذلك بجزيل شرف الآخرة و رضوان الله،إنه على ذلك قدير»⁽¹¹⁾.

3-المدح : تعبيرا عن موقف الاستحسان،ومثله في كليله ودمنة :«الملك السعيد جده الطالع كوكب سعه»⁽⁷⁾،«أيها الملك الناصح الشفيق،الصادق الرفيق»⁽⁸⁾،وكذلك :«أيها الحكيم الفاضل،و اللبيب الفاضل،والذي وهب لك ما منحك من الحكمة والعقل و الأدب و الفضيلة »⁽⁹⁾،ومثله:«إنّ الذي طبع عليه الملك من جودة القريحة،و وفور العقل حرّكه إلى عالي الأمور،وسمّت به نفسه،و همته إلى أشرف المراتب منزلة ،و أبعدها غاية »⁽¹⁰⁾،ومن المدح:«لا أعلم أني رأيت رجلا أرحن عقلا،ولا أحسن أدبا،ولا أصبر على طلب الحاجة،ولا اكتم للسّرّ منك ،ولا أحسن خلقا »⁽¹¹⁾.

(1) المصدر نفسه ، ص 22 .

(2) المصدر نفسه ، ص 25 .

(3) المصدر نفسه ، ص 34 .

(4) المصدر نفسه ، ص 50.

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) المصدر نفسه ، ص 53.

(11) المصدر نفسه ، ص 53، 54 .

(7) كليله و دمنة ، ص 26 .

(8) المصدر نفسه ، ص 29 .

(9) المصدر نفسه ، ص 32 .

(10) المصدر نفسه ، ص 34 .

(11) المصدر نفسه ، ص 45.

4-الذم: تعبيراً عن موقف الاستهجان، ومثله: «ملكنا فظ غليظ يعاقب على الطفيف»⁽¹⁾، وكذلك «وما هو عليه من الخروج عن العدل و لزوم الشر و رداءة السيرة و سوء العشرة مع الرعية»⁽²⁾.

x شروط نجاح الفعل الكلامي :

لضمان نجاح الفعل الكلامي بين المتخاطبين ينبغي توفر القواعد التأسيسية التي نادى بها غوايس هذه القواعد «ليست أعرافاً عشوائية ؛بل هي وسائل عقلية لتسيير التبادل التعاوني»⁽³⁾.

هذا و يخضع الفعل الكلامي لجملة شروط يتعلق بعضها بالمتخاطبين و بعضها الآخر بالمحتوى القضوي ، و قد حدّد جورج يول George yule هذه الشروط بخمسة أنواع هي: الشروط العامة Condition générales، وشروط المحتوى conditions du content، والشروط التحضيرية préparatoire، وشروط الوضوح Conditions du Sincérité، والشروط المحورية Essential conditions⁽⁴⁾.

وقد تفشل بعض الأفعال في حالات خاصة ، تخترق فيها بعض الشروط لعدم مراعاة السياق « فجملة من قبيل "افتتحت الجلسة " لا تفضي إلى إنتاج فعل كلامي ناجح إذا لم يكن المتكلم شخص خاص في سياق خاص (الشخص في هذه الجملة القاضي في المحكمة) »⁽⁵⁾.

وتتعلق الشروط العامة بالمتخاطبين و معارفهم اللغوية و مقاصدهم التواصلية ،أمّا شروط المحتوى فتتعلق بالفعل الذي يرغب المتكلم في انجازه، فالوعد والتحذير مثلاً لا بد أن يتعلقا بالمستقبل... وتحتاج هذه الأفعال لشروط أولية تحضيرية، فشروط الوعد الأولية مثلاً اثنان، هو أن الحدث لا يتحقق بذاته؛ بل يحتاج إلى من يحققه، والثاني هو وجود آثار مترتبة عليه، ويرتبط بهذه الشروط شرط الوضوح، أمّا الشرط المحوري فيتم فيه نقل السامع من حالة إلى أخرى، فالتحذير مثلاً ينقل السامع من حالة عدم معرفة بأحداث مستقبلية سيئة إلى حالة المعرفة، والأمر ينقل السامع إلى حالة إجبارية، وهذا يتكون الشرط المحوري من محتوى الكلام و السياق و مقاصد المتخاطبين⁽⁶⁾.

x الفعل الكلامي المباشر:

(1) المصدر نفسه، ص 47.

(2) المصدر نفسه ، ص 15 .

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 430 .

(4) رحيمة شيتير ، تداولية النص الشعري ، جمهرة أشعار العرب أنموذجاً ، ص 153.

(10) George yule ,pragmatics , OXFORD University , Press NEWYORK , fifth impression

نقلاً عن : رحيمة شيتير ، تداولية النص الشعري ، جمهرة أشعار العرب أنموذجاً ، ص 153 . 2000.p 50

(1) ibid , la même page .

وهو « الحدث الكلامي أو الخطابي الذي يدل عليه ملفوظ معين دلالة مباشرة و حرفية »⁽¹⁾، ومثاله قولنا: "اخرج"، التي تعني أمر أحدهم بمغادرة المكان، وعلى هذا فالفعل الانجازي المباشر هو « الذي يعتمد المتكلم من أجل تحقيقه و المخاطب من أجل اكتشافه و التعرف عليه على ما تحتويه البنية اللسانية الشكلية للملفوظ مباشرة »⁽²⁾. ومن أفعال الكلام المباشرة في **كليلة و دمنة : الأمر و الاستفهام و النداء**، ما لم تخرج عن مقتضى الظاهر لتفيد معان أخرى تستفهم من السياق، وقد تكلمنا عنها في مواضع سابقة .

× الفعل الكلامي غير المباشر:

تثبت الدراسات أننا نتواصل بالأفعال الانجازية غير المباشرة أكثر مما نتواصل بالأفعال الانجازية المباشرة ، «فالأفعال الانجازية التي لا تستخدم إلا مباشرة قليلة جدا، وهي تقتصر في الغالب على ما يسمى بالأفعال المؤسسية أو التشريعية، كالتوكيل، والتفويض، والوصية، والتوريث، والإجارة ونحوها؛ لأن الأفعال الكلامية إن استخدمت هنا غير مباشرة، فسوف تؤدي إلى اللبس و ضياع الحقوق»⁽³⁾.

ويعد سيرل من بين الأوائل الذين بحثوا في الأقوال التي لا تدل صيغتها على ما تدل عليه، فقد لاحظ أن التأويل الكافي لجمل اللغات الطبيعية يصبح متعذرا إذا اكتفينا بما تحويه الصيغة من معلومات؛ فجملة: (هل يمكنك أن تناولي الملح) ظاهرها استفهام، ولكن دلالتها لا تشير البتة إلى ذلك؛ إنما تشير إلى الطلب. فدلالة الجملة الحرفية هي الاستفهام ، في حين دلالتها الاستلزامية (الضمنية) هي الالتماس⁽⁴⁾، كذلك عبارة (صباح الخير)، قد لا تعني في مقام معين التحية الصباحية؛ وإنما قد يفصح المقام عن استخدامها للسخرية أو التهكم. هذه الأحداث غير المباشرة بتعبير سيرل هي «حالات ينفذ من خلالها حدث حقيقي بشكل غير مباشر بواسطة حدث آخر»⁽⁵⁾، و من الأمثلة المشهورة، كما سبق و أشرنا، الالتماس؛ أي الطلب المؤدب، الذي يبدو في ظاهره سؤالا :

Ã هل تعطيني الكتاب من فضلك ؟.

Ã هلا جلست هناك ؟.

بالإضافة إلى الجمل الإخبارية التي تظهر كأئلة في ظاهرها ، و تسمى عادة بالأسئلة الاستنكارية :

Ã من يهتم ؟ (لا أحد يهتم).

Ã ألم أخبرك أن تكون صريحا ؟ (لقد أخبرتك ...).

ولتفسير العلاقة بين القوة المباشرة و غير المباشرة في مثل هذه الجمل، قام بعض الباحثين باقتراح طريقتان من وجهة نظر علم الدلالة التوليدي :

(1) إدريس سرحان ، طرق التضمن الدلالي و التداولي ، ص 342 .

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(3) محمود أحمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 82 ، 83 .

(4) إدريس سرحان ، طرق التضمن الدلالي و التداولي ، ص 345 .

(5) قويدر شنان ، التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني المنشأ الفلسفي و المال اللساني ، ص 28 .

Ã اقتراح ليكوف و غوردن لبعض المبادئ و المسلمات التخاطبية، أو قواعد تداولية تعمل على مستوى البنى العميقة للجميل .

Ã اقتراح صادوك وكول ومورغان بتوسيع الفرضية الانجازية لتشمل الأحداث الكلامية غير المباشرة، بحيث تمثل قواها الانجازية الكامنة بـ "البنية العميقة"، وتفسر العلاقة بين القوة التحقيقية المباشرة و غير المباشرة من خلال قواعد تحويلية ، و تُعامل على أنها أمثلة منحرفة للعلاقة القواعدية بين البنيتين العميقة و السطحية، فالبنية العميقة للمثال: هل يمكنك أن تناولي الكتاب ؟ هي فعل انجازي توليدي صيغته : أطلب منك أن تناولي الكتاب⁽¹⁾.

وقد نجز عن هذه الاقتراحات مصاعب تقنية و نظرية فمن ناحية أولى يجب إيجاد اشتقاقات تحويلية لبناء تركيبي استفهامي مثل: هل يمكنك أن تناولي الكتاب من فضلك؟ من فعل انجازي توكيدي مثل: اطلب منك أن تناولي الكتاب من فضلك. في حين تكمن الصعوبات النظرية في اقتراح ليكوف و غوردن في أنهما أقاما اقتراحهما على أشكال معقولة لصيغ الطلب .

وفي محاولة للتغلب على هذه الصعوبات يعطي سيرل تفسيراً للأحداث الكلامية غير المباشرة مع الأحداث الكلامية المباشرة، بالنظر إلى العلاقة بين القوة الانجازية غير المباشرة و قوتها الانجازية الظاهرة ، كالعلاقة بين (ما قيل) و (ما يقصد) ، ويسمي سيرل الفجوة الحاصلة بين احابين بـ "استمرام الحوار".

وقد اقترح غرايس مجموعة من القواعد تضبط عملية التخاطب أو التأويل، وتشمل قاعدة الكم، وقاعدة الكيف، وقاعدة الورد، وقاعدة الكيفية ، فإذا ما تمَّ خرق إحدى هذه القواعد ينتج لدينا استلزام حوارى، ولهذا تلعب الأفعال الكلامية دوراً هاماً في تحويل المقاصد و المعتقدات ، و ذلك من خلال العمليات الذهنية الاستنتاجية، التي يقوم بها المتخاطبون، والتي لا تظهر في العملية التلفظية، إذ أنها أفعال لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الانجازي الحرفي؛ و إنما تكمن الزيادة فيما أطلقه سيرل بمعنى التكلم، وذلك بالتركيز على ما يتلفظه المتكلم من ناحية، وعلى ما يقصده من ناحية أولى .

وعلى العموم يمكن التمييز بين الأفعال الانجازية المباشرة و غير المباشرة من خلال تحديد ثلاثة فروق جوهرية ، هي:

Ã أن القوة الانجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات، في حين تستند الأفعال الانجازية غير المباشرة إلى المقام، بحيث لا تظهر قوتها الانجازية إلا فيه. وهنا يكمن الدور البالغ الأهمية للسياق في تحديد القوة الانجازية للفعل الكلامي، فعبارة "افتتحت الجلسة" قد تعني في سياقها الملائم: جلسة محاكمة، في

(1) المرجع نفسه، ص 29 .

حين قد تعني خارج هذا السياق تعبيرا غير حرفي عن جلسة حديث عائلي، أو تطلق للسخرية من جماعة تغتاب شخصا آخر .

Ã أن القوة الانجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تلغى، فإذا قال لك صديقك: أتذهب معي إلى المكتبة؟، فقد تلغى القوة الانجازية غير المباشرة و هي الطلب ، ليقصر الفعل على قوته الانجازية المباشرة ، التي هي الاستفهام .

Ã أن القوة الانجازية غير المباشرة لا يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استنتاجية استدلالية ، تتفاوت من حيث البساطة و التعقيد، أما القوة الانجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسه⁽¹⁾.

في حين يضع **مونقانو (Maingueneaus)** شروطا للتعامل مع المضمرات القصدية ، و التي هي: أن القوة الانجازية غير المباشرة لا يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استنتاجية استدلالية ، تتفاوت من حيث البساطة و التعقيد، أما القوة الانجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسه⁽²⁾.

Ã الكفاءة اللغوية القائمة على معرفة الافتراضات المسبقة (Présupposition).

Ã معرفة قوانين الخطاب: التي صنفها غرايس و المنضوية تحت مبدأ عام يجمعها، هو مبدأ التعاون، والذي « يلزم عناصر التواصل بعدم قطع العلاقة التحادثية القائمة بينهم»⁽³⁾، إذ يسهم هذا المبدأ و ما يتفرع منه من مسلمات تحادثية (Maximes conversationnelles) في ضبط الأفعال من حيث دلالتها على قصد المتكلم **Ã** المعرفة الموسوعية⁽⁴⁾.

وقد أورد التداوليون ملخصا حول الدوافع التي جعلت المتكلمين يلجئون إلى التعبير بشكل غير مباشر، لعل أبرزها :

Ã تصارع أو تشابك الأهداف و الأغراض.

Ã الرغبة في قول و عدم قول أي شيء في الوقت نفسه.

Ã أن استخدام اللامباشرة قد يكون من أجل تحصيل المتعة.

ولكن التفسير الأكثر شيوعا هو ذاك المتعلق بـ "اللطافة و التأدب"، فقد اهتم به كل من سيرل و غرايس ثم براون و لوفينسون بوصفه سببا أساسيا باطنيا لاستخدام الأسلوب غير المباشر، بمعنى أنه قدرة يمتلكها المتكلم و المستمع، في حين اهتم به ليتش بوصفه مستوى سطحي يتعلق مباشرة بالعادات و

(1) بتصرف عن: أحمد محمود نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 83 ، 84.

(2) بتصرف عن: أحمد محمود نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 83 ، 84 .

(3) Voir : Dominique maingueneau ;pragmatique pour le discours littéraire ;bordas,paris, 102.

(4)Ibid ,p 80

الطبائع الاجتماعية المتعارف عليها ، ومن وجهة نظر براون و لوفينسن فإن درجة التلطف المطلوبة في التحوار تقوم على عوامل هي:

Ã المسافة الاجتماعية : والتي تتكون من عوامل نفسية حقيقية مثل: المكانة، العمر، الجنس، درجة الألفة... إلخ ، التي تقرر مجتمعة درجة الاحترام المطلوبة في حالة كلامية معينة .

Ã القوة النسبية .

Ã حجم السيطرة.

وقد اقترح توماس Thomas J.A إضافة محور آخر يتعلق بـ "الحقوق و الواجبات"، ولكن يجب وزن هذه العوامل مجتمعة بعلاقتها بالسياق الثقافي⁽¹⁾.

ومن أفعال الكلام غير المباشرة في كليلة ودمنة : الاستفهام غير المباشر، إذ لا يتطابق معناه الدلالي مع المعنى الذي يرغب المتكلم في التعبير عنه، وإنما قد يفصح المقام عن المعنى الحقيقي المراد من إطلاقه، وأمثله كثيرة في الكتاب، فليس القصد منه السؤال الذي هو القوة الانجازية الحرفية المباشرة للاستفهام، وإنما يخرج عن ذلك ليفيد معان متعددة بحسب السياق الوارد فيه .

وتعد جميع ضروب الخبر أفعالا كلامية غير مباشرة؛ إذ تدفع المخبر بها إلى الاقتناع بفحواها، و من ثمّ القيام بما تتضمنه من فعل كلامي غير مباشر على الرغم من صيغتها الإخبارية العادية .

إنّ الأفعال الكلامية غير المباشرة تخترق حياتنا بشكل واسع؛ إذ ننتج وبدون إدراك تام منا استعارات) أفعال كلامية غير مباشرة (كثيرة في لغتنا اليومية، هذه الاستعارات و غيرها من الأنواع التصويرية الأخرى تخلق تصادما بين ما يقال و ما يهدف إليه، فالصور غير الحرفية تختلف عن الكلام الحرفي في الطريقة التي يتصل بها القول مع قصد المتكلم ، فإذا كان هناك تطابق في القول و القصد في الكلام الحرفي ، فإن هذا التطابق لا وجود له في الكلام غير الحرفي.

كذلك يعكس تسلسل الاستعارة و غيرها من الأنواع التصويرية في حياتنا حضورا للخيال بشكل أو بآخر، فكيف الحال في النصوص الأدبية، التي تبني على الصور التخيلية بالدرجة الأولى.

x الفعل الكلامي و الخطاب الأدبي:

إذا كان الخيال مظهرا من مظاهر اللغة العادية؛ فإنه يبدو في لغة الأدب أكثر تألقا؛ بل أنه مطلب أساسي فيها، فالنصوص الأدبية «ضرب من الاستعارة القصوى، فدلاليتها لا تتجاوز الملفوظ ذاته، و تهتك علمه، موصفات مضمرة خاصة، وعلى عقد واقع بين الكاتب و القارئ، إنها طريقة مخصوصة في اللعب باللغة»⁽²⁾. وحقيق بنا أن نتساءل هنا إذا ما أفضى الخطاب الأدبي، بما هو خطاب تخيلي بامتياز، إلى انجاز أفعال كلامية أم لا ؟.

(1) أنظر : قويدر شان ، التداولية في الفكر الانجلوسكسوني المنشأ الفلسفي و المال اللساني، ص 30، 31.

(2) فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، تر: صابر الحباشة، ص 149 .

يلعب الخيال أو تكوين الصور دورا هاما في تشكيل وعي المتلقي و إدراكه، و فعل الإدراك، الذي يؤدي إلى متعة الإدراك، يولد في المتلقي تجربة جمالية اتصالية / تطهيرية (1).

إنّ النص الأدبي باعتباره نصا يفترض طقسا خاصا و شروطا لنجاح عملية تأويله: إن نصا أدبيا لا يستقبل استقبالا ملائما إذا لم ننظر إليه على أنه أدبي، وفي النص الأدبي بالذات تبرز و بقوة مسألة من المسائل الهامة التي عاجلتها التداولية ، وأولتها عناية خاصة ، و هي مسألة المضمّر (L'implicite).

ويظهر هنا أن الاعتماد على المكونات اللغوية وحدها لا يكفي؛ بل إن السياق المشترك و المعارف المشتركة و الآفاق الايديولوجية و الفنية المشتركة تلعب دورا حاسما في هذا المجال، يقول باختين: « في الملفوظ لا يمكن أن يصبح مضمرا إلا ما نعرفه نحن _مجموع المتخاطبين_ و نشاهده و نحبه و نتعرف عليه، و ما يوحد بيننا... إن " أنا " لا يمكن أن تتحقق في الخطاب إلا بالارتكاز على "نحن"، بحيث يصبح كل ملفوظ يومي شيئا يشبه قياسا مضمرا (Enthymème) موضوعيا و اجتماعيا » (2)، ويرى جيرار جونيوت أن « الخيال السردي نتيجة للأفعال اللغوية غير المباشرة » (3). ويذهب مونقانو إلى وجود اتجاهين أساسيين، يرى أحدهما أنه توجد أفعال كلامية خاصة بالأدب ، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة ، ويذهب الاتجاه الآخر إلى أن الخطاب الأدبي هو تحويل لأفعال كلامية جادة (4).

وتعدُّ الاستعارة عند العديد من الباحثين فعلا كلاميا غير مباشر، إذ أن « محتوى الاستعارة في الأدب غير ممكن إعادة صياغته في لغة حرفية » (5)، على أن هناك « تصادما ظاهرا _ في الاستعارة و كذلك في الأنواع التصويرية الأخرى من الكلام _ بين ما يقال و ما يهدف إليه... و في الاستعارة فإنَّ غير المباشرة Indirection هي أحد أجزاء الملفوظ الاستعاري » (6).

(1) يعتمد البعد الاتصالي /التطهري في نظرية الاستقبال مع يائوس على فعل التماثل ، و الذي في جوهره اتصال بين ذات و أخرى ، و قد يكون التماثل مع بطل الرواية ، أو المتكلم في القصيدة ، أو الأفكار و السلوكيات المطروحة و الجديرة بالثناء . و للتماثل خمسة أنماط أو صيغ تقررها الميول أو النزعات المصاحبة لفعل الاستقبال، و هي: التماثل مشاركة (حيث يندمج المتلقي بالعالم الخيالي للخطاب كباقي شخوص الحكاية)، التماثل إعجاب (تجاه البطل أو المشهد عموما بحيث يتشجع المتلقي لتقليد و تبني سلوكيات البطل)، التماثل تعاطف (التعاطف مع البطل أو الثيمة عموما و من ثمَّ اتخاذ خطوات عملية لتنفيذ ما يدعو إليه البطل أو النص)، التماثل تطهر (بحيث يضع المتلقي نفسه مكان البطل و يتماثل معه و يتطهر من المشاعر السلبية بداخله)، التماثل تمكنا: يقوم المتلقي برفض البطل أو السخرية منه. وهذه الصيغة في جوهرها رفض و هدم للتماثل ، لأنها تركز الاغتراب بين المتلقي و البطل أو الفكرة المستهدفة ، ويرمي التماثل تمكنا إلى تحريك ملكة النقد عند المتلقي ليتفحص مسلماته و منظومته المعرفية ، سواء في فرضياتها الأخلاقية أو الاجتماعية أو الأدبية. زهرة أحمد حسين علي ، النفي إلى الهامش ، نحو استشراف المنظومة الأدبية لصقر الشبيب ، مجلة عالم الفكر، مج 25 ، عدد 4 ، أبريل / يونيو 1997 ، الكويت، ص 217، 218.

(2) عبد القادر بوزيدة ، ملاحظات و مقارنة بين بعض الاتجاهات التداولية : باختين و مونقانو نموذجا، مجلة اللغة و الأدب ، ع 17 ، جانفي 2006 ، الجزائر، ص 47 .

(3) Maingueneaus , Pragmatique pour le discours littéraire , p24

(3) Ibid , la même page.

(5) أحمد صبرة ، التفكير الاستعاري في الدراسات الغربية ، مجلة علامات ، جدة ، ج 49 ، م 13، سبتمبر 2003 ، ص 480 .

(6) المرجع نفسه ، ص 486 .

لذلك فإن الاستعارة « تحتاج لقواعد إضافية لفهمها »⁽¹⁾، إذ الفرق بين المعنى الحقيقي و المعنى الاستعاري شاسع، فالأول « قابل للمعجمة، بينما المعنى الاستعاري لا يمكن تجسيده في معاجم لغوية »⁽²⁾. ويرى سادوك (Sadoc) أن المبادئ التي تتحكم في الاستعارة تنتمي إلى دائرة علم النفس وليس إلى دائرة اللسانيات ؛ إذ لها صلة وثيقة بعمليات الإدراك و التخيل وطرائق تحليل الذاكرة⁽³⁾.

ومن يقرأ كتاب **كليلة ودمنة** تشده الاستعارة كفعل كلامي طاغ على نصوصه، فهي من حيث دلالتها و كثافتها في نص **كليلة و دمنة** يمكن عدّها **فعلا كلاميا** **جامعا** (Macro acte de langue) ، فالكتاب استعاري برمته ، لاعتماده التشخيص (Personnalisation) بالدرجة الأولى، بحيث استعار مؤلفه دلالات تنتمي إلى عالم البشر فجاءت على ألسنة الحيوان.

كما تشكل الاستعارة **فعلا كلاميا حجاجيا** ، أثارها المؤلف لتدعيم المزاعم و الأفكار التي يعلن عنها السارد **بيدبا** ، أثناء مخاطبته القارئ الافتراضي أو الواقعي، وعليه يجب أن يراعى في النظر إلى الأعمال الأدبية أنّها ليست ملفوظات منعزلة ؛ بل كيان متكامل ، وهو ما يقودنا إلى اعتبار الخطابات الأدبية أحداثا كلامية بدل كونها أفعالا كلامية .

× مفهوم الحدث الكلامي :

إنّ النصوص الأدبية ، طالت أم قصرت ، لا تؤدي بالضرورة دائما إلى أفعال كلامية مختلفة ، كالشكر، و التهنية، و الأمر، و النهي، و الوعد... الخ ؛ بل إنّنا في كثير من الأحيان نصادف فيها فعلا كلاميا واحدا، لكن هذا لا ينفي وجود أفعال كلامية أخرى، كالاستفهام و التعجب و غيرها، لأنّ العملية التخاطبية لا تقوم على فعل كلامي واحد؛ وإنما تتضافر الأفعال الكلامية المختلفة لتعبر عن الكفاءة التداولية للمتكلمين .

فالحدث الكلامي انطلاقا من هذا التصور سلسلة من الأفعال الكلامية أو هو «نشاط يظهر في التفاعلات الخطابية و اللغوية بطريقة تواضعية تفضي إلى نتيجة ما، و يمكن أن يحتوي على فعل كلامي مركزي، ولكن يمكن أيضا أن يحتوي (الحدث الكلامي) على منظوقات تقود إلى ردود أفعال متتابعة تبني الفعل المركزي »⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق، ص 487 .

(2) المرجع نفسه، ص 487 ، 488.

(3) المرجع نفسه، ص 486 .

نقلا عن :رحيمة شيتير ، تداولية النص الشعري ، جبهة أشعار العرب أنموذجا، ص 158 . 57. p, Pragmatics , George yule (4)

هذا الحدث سواء صرح به أو كان مضمرا تتضافر سلسلة من الأفعال الكلامية في إنشائه، وقد تظهر القيمة الانجازية لهذا الحدث في الأعمال الوعظية القصصية_كما في **كليلة و دمنة**_التي تضطلع بدور الشاهد «الذي يكتسب قوته الاقناعية، أي فعاليته التداولية، من خاصيته الحكائية»⁽¹⁾، فيما يحاول القراء الولوج إلى عالم النص؛ إذ يتمتعون « بحق قراءة الأفكار الخلفية للمتكلم ، و التنقيب عن المعاني المسكوت عنها ، و ذلك في حدود معينة بالطبع تقوم على مقاومة الضغط اللامتناهي للدينامية الترابطية ، و التحكم في التوالد الفوضوي للعلامات»⁽¹⁾.

وتنطوي الأغراض على أفعال كلامية تضرع علاقة ما بالفعل المحوري أو المركزي ، و قد أطلق عليه التداوليون اسم "**الفعل الكلامي الجامع**"، و يعد الفعل الكلامي الرئيس (البؤرة) في **كليلة و دمنة** (الذي نعهده في هذا الكتاب فعلا جامعا) هو : **إسداء النصيحة** .

هذا الفعل لم يكن ليكتب له النجاح إلا على أساس إستراتيجية محكمة ، تخللها تقديم الحجج التي لا يمكن دحضها ، مصوغة في مجموعة من المقدمات مكنت الملك من فهم الدلالات الضمنية لأقوال الفيلسوف، دون أن يصرح بها ؛ لأنه يدرك أن التصريح ضمن هذه المواقف نهايته الهلاك ، فهو لم يقل أنك حاكم مستبد و متجبر، وأن حكمك لن يدوم ، لأنك لم تلتزم بسنن و أخلاق الملوك العدول، فالملك فهم ذلك بجدارة ، الأمر الذي أغضبه، مما حمله على الأمر بقتله وصلبه.

ولكون الأسلوب الذي جاءت عليه نصيحة بيدبا قد أعطى ثماره في مرحلة لاحقة، فقد فكر مليا فيما فعل، وأمر بإطلاق سراحه، و أكرمه، و رفع من قيمته و درجته؛ بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما أمره بوضع كتاب «مشروع ينسب إليه ، وتذكر فيه أيامه كما ذكر آباؤه و أجداده من قبله»⁽²⁾.

(1) إدريس سرحان ، طرق التضمين الدلالي و التداولي ، ص103.

(2) محمد الولي ، الاستعارة في محطات يونانية و عربية و غربية ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، ط 1 ، 2005 ، ص 417 .

(3) عبد الله بن المقفع ، كليله و دمنة ، ص 33 .

× الوصف و انجاز الخطاب السردى :

يعد الوصف فعلا كلاميا ، أو بالأحرى حدثا كلاميا له فاعلية خاصة في ارتباطه بصنف خاص من الخطابات هو الخطاب الأدبي ، فيكون الوصف فضاءً جامعاً بين الحقل التداولي و الخطاب الأدبي . فالخطاب الأدبي خطاب ينبنى على إعادة تسمية أشياء العالم « و اللغة حين تهم بتسمية الأشياء تقوم بمناذاتها، لكي تقربها إلى عالمها فتحتويها بالوصف، وحينها ينبثق المعنى من هذه العملية المعقدة التي ينتجها الفعل اللغوي »⁽¹⁾، ولقد أشار القدامى إلى مركزية الوصف في العمل الأدبي بشتى أنواعه، والأمر يشمل السرد الذي يجعل من الوصف حلقة مهمة من حلقات نموه .

و بما أن الوصف فعل كلامي، فإنه في كليله و دمنة يتكون من :

آ فعل قولي : صوت و تركيب و دلالة و إيقاع .

آ فعل انجازي : يتعلق بتحقيق الرغبة في جلب الاستماع .

آ فعل تأثيري : يتجلى في التحقق الفعلي للتجاوب مع الخطاب .

كما يقوم الوصف بدور آخر يرتبط بأطراف العملية التواصلية من جهة، و من جهة أخرى بالحواس الفاعلة في مجال الوصف « فأبلغ الوصف ما قلب السمع بصرا »⁽²⁾، إنه يلعب على أكثر الحواس ارتباطا بالوجود المادي العيني، و يقوم باستحضار المغيب .

فخطاب كليله و دمنة من الخطابات التي «تتحول فيها حاسة السمع إلى بصر و بصيرة، وحاسة البصر إلى حاسة سمع جديدة»⁽³⁾. خطاب تتحول فيه اللغة عن بعدها الأول (المكتوب، السطحي، المعجمي) إلى بعدها المتحرك... و بذلك تظهر اللغة عملية كيميائية وليست كيميائية كما يرى آرثر رامبو في "كيمياء اللغة" ؛ أي أن تتحول اللغة إلى علائقها "النسقية" و "الرؤيوية" و "المخيلية" و "الحواسية" و "الحدسية" و "ما وراء ذلك"⁽⁴⁾.

× الفعل الكلامي و الحجاج :

غلب على أصحاب نظرية الأفعال الكلامية الاشتغال بالبسيط منها فقط، ولم يشتغلوا بـ "الأفعال اللغوية المركبة" ، وهذا بالذات ما أرادت النظرية الحجاجية المعاصرة تفاديه فقاما بتوسيع هذه النظرية لتشمل الأفعال اللغوية المركبة فضلا عن الأفعال اللغوية البسيطة ، فالبنية الحجاجية عبارة عن سلسلة من الأقوال مرتبطة ارتباطا مخصوصا، إذ يمثل القول فيها أصغر وحدة تكوينية l'unité minimale .

(1) أحمد يوسف ، الدلالات المفتوحة ، مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة ، ص 87 .

(2) ابن رشيق، العمدة ، ص 196

(3) بايزيد فاطمة الزهراء ، سيمياء الحواس في فوضى الحواس ، الملتقى الدولي الخامس " السيمياء و النص الأدبي "، ص 124 .

(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

يقول **ديكرو**: «لقد عالجنا نظريتنا الحجاجية ضمن النظرية العامة للتلفظ_الحديث énonciation»⁽¹⁾، وتحتوي كذلك على أفعال لغوية بسيطة، على أن الفعل الحجاجي فعل كلامي مركب. فقد اهتم **ديكرو** بدراسة وظيفة الفعل اللغوي المحقق في القول، والذي يعد أصغر وحدة تكوينية تداولية، ولأن الدرس الحجاجي عند **ديكرو** و**انسكومبر** يندرج ضمن التداولية المدبجة كان القول هو الوحدة الصغرى الأنسب للدراسة، يقول **طه عبد الرحمن**: «اعلم أن نظرية المراتب الموجهة توجيهها قصديا تشارك بعض الاتجاهات اللسانية... في التسليم بأن الوحدات الأولى التي هي الأصل في الخطاب الطبيعي ليست هي "المفردات" كما اشتهر ؛ وإنما هي وحدات حوارية حجاجية تتمثل في المركبات التي هي "الأقوال"»⁽²⁾.

وتتمثل وظيفة الحجاج عند **ديكرو** و زميله في التوجيه الناتج عن القول ، والذي يطلق عليه **طه عبد الرحمن** اسم "**الحجاج التوجيهي**" و يعرفه « هو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علما أن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره »⁽³⁾.

والشاهد على ذلك أن نظرية الأفعال الكلامية قد جعلت من مفهوم القصد و الفعل الأصلين الذين تتفرع عليهما باقي مفاهيمها، يقول **طه عبد الرحمن**: «إن كل حجة موجهة هي دليل يأخذ بالفعالية الخطائية في تعلّقها بالمتكلم، والدليل هو أنها تعد فعلا قصديا متميزا»⁽⁴⁾، فالفعل الكلامي مثل الحجاج نشاط يقوم على القصدية *intentionnalité* و الاتفاقية *conventionnalité*.

كذلك فإنّ الفعل المتضمن في القول أو المنجز بالقول يشكل حجة تدفع المتلقي لتغيير موقفه أو تعديله، فيصبح رد فعله متصلا بذلك الفعل المتضمن في القول، و لتوضيح ذلك نورد الأمثلة الآتية من **كليّة ودمنة** :

يقول بيدبا على لسان **دمنة** : « إنَّ اللّئيم الكفور لا يزال ناصحا نافعا حتى يرفع إلى المتزلة التي ليس لها بأهل، فإذا بلغها اشراأت نفسه إلى ما فوقها »⁽⁵⁾، **الفعل اللفظي** هو الهيئة التركيبية لهذا المثال. بما انتظم من أصوات لغوية داخل تركيب نحوي سليم له دلالة حرفية تتمثل في التقرير، أمّا **الفعل الانجازي** فيتمثل في مراد الفيلسوف **بيدبا** من هذا التقرير ؛ إذ ينبه السلطة إلى ما يتوجب عليها تجاه من أحسنت إليهم ، و أغدقت عليهم منافعها ، ليتبين أن هؤلاء أشد خطرا من أولئك ، فيدعوها إلى الاحتراس و التوقي و عدم الائتمان و الاسترسال لمثل هؤلاء ، أمّا **الفعل التأثري** فيتمثل فيما يتركه هذا التقرير من أثر في المتلقي (السلطان **دبشليم**)؛ إذ يعيد حساباته فيمن أحسن إليهم، فالملك حقيق أن يربط شكوكه و تسلسل الأحداث موقفا حدسه و قدرته على التوقع ، حتى يأمن العواقب.

(1) O. Ducrot , J.C. Anscomber ; L'argumentation dans la langue Pierre Mardaga, 1983 , p 05

(2) طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 275 .

(3) المرجع نفسه ، ص 227 .

(4) المرجع نفسه ، ص 259 .

(5) كليّة و دمنة ، ص 132 .

وفي قوله كذلك على لسان دمنة: «لو أن امرءا توسد النار، وافترش الحيات، كان أحق أن يهنئه النوم، ممن يحس من صاحبه بعداوة يريد به»⁽¹⁾، فالفعل اللفظي يحمل دلالة حرفية تتمثل في الشرط (الجملة الشرطية)، أمّا الفعل الانجازي فيكمن في التحذير الذي قصد فيه المبالغة بالتمثيل ليظهر جدية تحذيره، ومدى الخطورة التي تنطوي عليها قلة التحذير، وأمّا الفعل التأثري فيتمثل في إعمال السلطان نظره، وما يجب عمله لتوقي المتأمرين.

نستنتج أن الفعل التأثري هو نتيجة أثر الفعل الانجازي، ومن المعلوم أن كل الأفعال الانجازية قد لا تلازمها أفعال تأثيرية. ولكن في الحجاج يمكن القول أن كل فعل إنجازي يؤدي بالضرورة إلى فعل تأثري، لأن غاية الحجاج هي التأثير في معتقد أو سلوك المتلقي، وهذا التأثير ينجم عن النتيجة التي يريد المحاجج إقناع المتلقي بها.

وفيما يلي نتبع بعضا من نماذج الأفعال الكلامية، من كليلّة ودمنة، وعرض غرضها الانجازي، وما يتركه من أثر في المتلقي كدليل على ضرورة تلازم الفعل التأثري مع الفعل الانجازي في الحجاج:

آ فعل النصح: سبق و أشرنا إلى أن النصح هو الفعل الكلامي الجامع في كليلّة ودمنة، فكل القوالب اللغوية التي صيغت بها الحكايات هي أفعال قولية أو لفظية، فيما يتمثل الفعل الانجازي في التقرير، والاستفهام والأمر، والنداء وغيرها، التي تدعو جميعا المخاطب إلى العمل بها أو تركها، وأمّا الفعل التأثري الذي هو غاية الحجاج فيتمثل في قبول النصيحة والامتثال لها في الحياة العملية.

ومثل ذلك: «يا نفس انظري في أمرك، وانصرفي عن هذا السفه، وأقبلي بقوتك و سعيك على تقديم الخير، وإيّاك و التسويف، و اذكري أن هذا الجسد موجود لآفات»⁽²⁾، فهذا نموذج عن النصح الذي يتضمن فعل القول و الانجاز و التأثير. وقوله: «وليس لأحد النظر في القدر الذي لا يدري ما يأتيه منه، ولا ما يصرف عنه، ولكن عليه العمل بالحزم و الأخذ بالقوة، ومحاسبة نفسه في ذلك»⁽³⁾.

فالفيلسوف يبدأ بنصح الإنسان بدعوته إلى مواجهة القدر، وذلك بالاحتباس و التوقي و الأخذ بالحزم و القوة، و نفسه يجب أن يحاسب، و إذا لم يعمل على ذلك ما استطاع حينها تقع الملامة.

ويدعم ذلك بقوله على لسان الجرذ: «هذا بلاء قد اكتنفتني، وشرور تظاهرت علي، ومحن قد أحاطت بي، و بعد ذلك فمعي عقلي فلا يفزعني أمري، ولا يهولني شأني، ولا يلحقني الدهش، ولا يذهب قلبي شعاعا؛ فالعقل لا يفرق عند سداد رأيه، و لا يعزب عنه ذهنه على حال»⁽⁴⁾.

(1) المصدر نفسه، ص 133.

(2) المصدر نفسه، ص 76.

(3) المصدر نفسه، ص 278.

(4) المصدر نفسه، ص 264، 265.

ينصح بيدبا العاقل أن لا يستسلم أو يقع في الدهش و التخبط، ولا يتفرق عليه رأيه، فالاعتقاد بسلطة المقدور لا يمنع المرء من اللجوء إلى عقله و حيلته، لإيجاد المخرج الملائم، أو التقليل من وقع البلاء، هذا إذا لم يُحوّل مجرى الأحداث السيئة لئيسيرها بالاتجاه الأنسب.

ويقدم الفيلسوف بيدبا نصيحة أخرى للملك يقول: «العاقل... لم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه حتى يبلغ حاجته فيغبط بخاتمة أمره و عاقبة صبره»⁽¹⁾؛ إذ ينصحه باعتماد الخضوع كوسيلة لتحقيق غاية نبيلة، وهي إبعاد الجائحة عن النفس و الوطن ، فأهل البيت تفتدى بهم القبيلة ، و القبيلة تفتدى بها المصر ، و المصر يفتدى به الملك.

فحتى و إن كانت الوسيلة غير شريفة أخلاقيا (نقض العهد و إهلاك صديق : مثل الذئب و الغراب و ابن أوى و الجمل) ، فالغاية نبيلة « فيها إصلاح و ظفر »⁽²⁾، وهذا تمثيل واضح لمقولة : « أفضل الأعمال أحلاها عاقبة» الواردة في الكتاب.

وفي موضع آخر ينصح الفيلسوف بيدبا القائد العاقل بتجنب الإحباط أو الغرور، يقول: « لا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهوده فيهلكه ، و تحقق الرجاء لا ينبغي أن يبلغ منه مبلغا يطره و يسكره، فيعمى عليه أمره»⁽³⁾، فأوقات الشدة هي محك حسن القيادة، كما لا يجب أن يطره الانتصار و يسكره ، فعلى القائد الكفاء التحلي برباطة الجأش في الحالتين، هذه الصفة التي يجدر توفرها في كل صاحب مسؤولية.

في موضع آخر ينصح بيدبا السلطة بالتهيؤ للمستقبل، والاستعداد لمواجهة المستجدات و التقلبات التي قد يحملها الزمن إليها، يقول : « أرى أن تحتال للأمر قبل تفاقمه، ولا تنتظر وقوعه ؛لأنك لا تأمن أن يفوتك و لا تستدركه ...و أحزم الرجال المقدام ذو العدة، الذي يعرف الأمر قبل وقوعه، فيعظمه إعظاما، و يحتال له حيلت حتى كأنه قد لزمه ، فيحسم الداء قبل أن يبتلى به، و يدفع الأمر قبل وقوعه»⁽⁴⁾.

فالسطة العاجزة الفاسدة عند كليله ودمنة هي تلك المترددة المسترسلة، والمطمئنة إلى علاجات الزمن، معتقدة أن الزمن الذي يحمل المشكلة يحمل معها حلولها أيضا: « أعجز الملوك آخذهم بالهويناء، وأقلهم نظرا في مستقبل الأمور وأشبهه بالفيل الهائج الذي لا يلتفت، فإن أحزنه أمر قهاون به ، و إن أضاع الأمور حمل ذلك على قرنائه»⁽⁵⁾.

وبيدبا في مواضع أخرى ينبه الملك ممن سبق و أساء إليه ، ويدعوه إلى ضرورة استبعاده عن المناصب الرفيعة في الحكم ؛ لأنه سيعمل على الإضرار به انتقاما للإساءة ، لذلك لا بد من الحذر منه، وعدم الائتمان له، أو الاسترسال إليه، وهي قاعدة لكل زمان و لكل سلطة .

(1) المصدر نفسه ، ص 242 .

(2) المصدر نفسه ، ص 146 .

(3) المصدر نفسه ، ص 265 .

(4) المصدر نفسه ، ص 129، 130 .

(5) المصدر نفسه ، ص 133 .

وفي قوله: « إن اللثيم الكفور لا يزال ناصحا نافعا حتى يرفع إلى المترلة التي ليس لها بأهل، فإذا بلغها اشترأت نفسه إلى ما فوقها »⁽¹⁾، يحذر الفيلسوف بيدبا الملك من المتأمرين المحسن إليهم، فهو كالسباح في نهر كثير التماسيح ، مما يؤثر سلبا على إدارته للملك، موهن قراره ، مزورة إرادته ؛ لأنه يتكل في ذلك على هؤلاء الطامعين .

يقول أيضا: «اعلم أن الفأس يقطع بها الشجر ينبت، والسيف يقطع اللحم ثم يرجع فيندمل، واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى مقاطعه، والنصل من السهم يغيب في الجسد ثم يترج فيخرج، وأشباه النصل من الكلام إذا وصلت إلى القلب لم تترج ، ولم تستخرج »⁽²⁾ ، ففي هذا المثل يحذر الفيلسوف بيدبا الإنسان من الكلام المهين، الذي لا يعمق العداوة، ويثير البغض و يشحن عزيمة العدو فحسب؛ بل قد يكون السبب في أصل العداوة ، كما جاء على لسان وزير الغربان عندما سأله ملكه عن أصل العداوة بينهم وبين البوم ، فقال : « ابتداء العداوة ... كلمة تكلم بها غراب »⁽³⁾، فلاحترق يولد الكراهية، ويحلب على صاحبه الوبال و العار، و يؤجج الحقد و العداوة، وأنه لا مفر من عاقبته الوحشية، ولا منجى لقائله من أثره ، إذ « لكل حريق مطفى : فللنار الماء ، وللسم الدواء ، وللعشق الفرقة ، و نار الحقد لا تحبوا أبدا »⁽⁴⁾.

كما أن هذا الفعل الكلامي الجامع تتخلله أفعال كلامية جزئية تقوم كلها بخدمته و تدعيمه لعل أهمها:

آ فعل التوبيخ و الاستنكار : كقول بيدبا : « يا نفس، أما تعرفين نفعلك من ضرك... يا نفس، أما تذكرين ما بعد هذه الدار فينسيك ما تشرهين إليه منها ؟ ...يا نفس، انظري في أمرك ، وانصري عن هذا السفه »⁽⁵⁾، ففي هذا المثل خرج الاستفهام عن حقيقته اللفظية إلى الاستنكار مما تتطبع النفس عليه من حب الدار الفانية، فتلهث وراء حطامها، وهنا يدعو الفيلسوف بيدبا المخاطب إلى ضرورة ترك الأنس بالدنيا و الالتفات إلى ما بعدها، و هذا الاستنكار قد يدفع المتلقي إلى التأثر و الاقتناع ، فلا تغره بعد ذلك الأيام بوصلها وطولها، ولا الدنيا بحلاوتها، فإن لذاقها منقطعة ، و لذات الآخرة مستمرة .

آ فعل التنبيه: « و على العالم أن يبدأ بنفسه و يؤدبها بعلمه »⁽⁶⁾، فالفعل القولي يتمثل في صيغة الأمر، والفعل الانجازي يتمثل في دعوة الفيلسوف العالم و غيره إلى البدء بالنفس في الموعظة و التأديب، وأما الفعل التأثيري فيتمثل في الاقتناع بفكرة أن تغيير الآخرين لا يستقيم قبل تغيير الذات . و هنا تظهر وظيفة المتلقي في صناعة الحدث الكلامي عن طريق قدراته التأويلية التي يجب أن تتم في ضوء المعطيات التضمينية، التي بثها المتكلم في خطابه. وفي ظل هذه الأفعال الكلامية جميعا حدث الفعل التأثيري النهائي بإذعان الملك

(1) المصدر نفسه ، ص 132 .

(2) المصدر نفسه ، ص 228 .

(3) المصدر نفسه ، ص 222 .

(4) المصدر نفسه ، ص 228 .

(5) المصدر نفسه ، ص 75 .

(6) المصدر نفسه ، ص 61 ، و مثله قوله تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات ، آية 21] ، ويقول سقراط كذلك: (الرجل الذي يريد أن يغير العالم لا بد أن يبدأ بنفسه أولا) .

لنصائح، وتأثره بالبني الحكائية، واستنتاجه لمغزاها الشريف «فلما انتهى المنطق بالفيلسوف إلى هذا الموضع سكت الملك»⁽¹⁾، والسكوت فعل كلامي غير مباشر دال على الموافقة في الرأي و التسليم به نستنتج من خلال ما سبق أن الفعل الكلامي في **كليلة ودمنة** لم يقتصر على نقل الخبر أو وصفه فحسب ؛ وإنما نطق به المتكلم لينجز المخاطب فعلا ، فالغرض من الفعل الكلامي الانجاز ، الذي هو التزام المخاطب بأداء عمل ما، و قد ترتبت عن الفعل الانجازي آثار يقصدها مرسل الخطاب ليحدث تغييرا في المشاعر و الأفكار و السلوك ، وتمثل كما رأينا في الإقناع و الإرشاد و النصح و الهداية ، وهذا ما سَمَّاهُ أوستين الفعل الناتج عن القول ، فالتداول تواصل و تفاعل و قوة موصول بالفعل.

كما شهدنا للفعل الكلامي في **كليلة و دمنة** - على تنوعه بين الصريح و الضمني - بالنجاح ، و ذلك لتوفر القرائن الحالية من العناصر الخارجية (المقام) ، مما جعل المقال منسجما مع المقال ، و هو ما يلخصه الفعل الكلامي "الصمت" الذي أحدثه المخاطب الملك **دبشليم** ، و الذي يدلّ على الإقرار بالخطأ و الإنابة منه .

(1) كليلة و دمنة ، ص 315 .

الفصل الثالث

الحجاج في كتاب كيلة وخدمة

× المفهوم الاصطلاحي للحجاج .

× ملامح الخطاب الحجاجي:

1- داخل النص الحجاجي .

2- ما يحيط بالنص الحجاجي.

الحجاج ووسائل الإقناع : ×

1- الوسائل النفسية و الاجتماعية .

2- الوسائل المنطقية .

3- الوسائل البلاغية .

4- الوسائل اللغوية .

x المفهوم الاصطلاحي للحجاج :

يعدُّ ميدان الحجاج Argumentation⁽¹⁾ مجالا واسعا للبحث و الدراسة، ذلك لارتباطه بفروع المعرفة المختلفة ؛ كعلوم اللغة والفلسفة والمنطق، فأصبح كل حجاج يستمد معناه و حدوده و وظائفه من مرجعية خطابية محددة، ومن خصوصية الحقل التواصلية الذي يكتنفه هذه المرجعية الخطابية كانت سببا في تنوع مضامين الحجاج، لذلك نجد «حجاجا خطابيا (لسانيا)، وحجاجا خطابيا (بلاغيا)، وآخر قضائيا أو سياسيا أو فلسفيا»⁽²⁾، وتبعاً لذلك يصبح الحجاج _ عمليا _ بعدا من أبعاد الخطاب الإنساني المتاح باللغة المكتوبة و المنطوقة .

فلا يكاد يخلو خطاب من حجة (Argument) ما؛ إذ « لا ينحصر في استعمالات ظرفية، وإنما هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق»⁽³⁾، حيث نجد لها في التواصل العادي ، كما نجد لها في التواصل النوعي؛ إذ تنصبغ بنوع الخطاب الذي ترد فيه، فإن كان الخطاب لغويا عاديا تكون الحجة لغوية محضة، وإن كان الخطاب لغويا راقيا تكون الحجة لغوية بلاغية، وإن كان الخطاب منطوقا فإن الحجة تكون عقلية صرفة .

و كنتيجة لهذا التنوع تعددت تعريفات الحجاج «دارت حول عناصر موضوعية وبنائية و وظيفية شتى»⁽⁴⁾، إلا أن الغاية منه واحدة هي محاولة الوصول إلى إقناع السامع بفكرة ما، ومن ثم التأثير على سلوكه، ولذلك يعرفه الكثير من الباحثين بأنه «خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي، والتأثير على سلوكه أي الإقناع»⁽⁵⁾ .

(1) إن أول ما يعترض الباحث في هذا الحقل تداخل مفهوم الحجاج مع مفاهيم عديدة : كالبرهان ، و الدليل ، و الخطابة ، و المناظرة ، و الذريعة ، و الاستدلال ، و أكثرها التباسا به مفهوم البرهان ، ثم الجدل و الخطابة ، لا سيما لكونهما الثنائية التي تمخض عنها الدرس الحجاجي الحديث . و لابن حزم الرأي ذاته يقول: «الحجة هي الدليل إذا كان برهانا أو إقناعا أو شغبا» أنظر : ابن حزم ، الإحكام في أصول الأحكام ، مجلد 1 ، دار الآفاق ، بيروت ، 1983 ، ص 39 ، في حين يرى طه عبد الرحمن بأنه « يطلق على الحجة أسماء أخرى ، مثل : الدليل ، و الاستدلال ، و حتى البرهان ؛ لكن هذا الإطلاق من باب التجوز أو التوسع » طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 255 . و يرى عبد الله صولة أنه لا أهمية من التصنيف الذي جعل من الدراسة الحجاجية إما برهانا « ضرب أنت فيه لا ترح حدود المنطق ... و إما مجال أوسع يهتم بدراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على ادعاء السامع أو القارئ » عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ج 1 ، جامعة منوبة ، 2001 ، ص 13 . على أن الباحث يرى أن البرهان و إن كان نمطا من الحجاج؛ إلا أنه ضيق و ذو حدود معينة لا يرقى إلى مقارنته بالحجاج خاصة في العصر الحديث .

(2) حبيب أعراب الحجاج و الاستدلال الحجاجي " عناصر استقصاء نظري "، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت سبتمبر 2001 ، العدد 1 ، المجلد 30 ، ص 98 .

(3) المرجع نفسه ، ص 100 .

(4) محمد العيد ، النص الحجاجي العربي ، دراسة في وسائل الإقناع ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، ع 60 ، صيف _ خريف 2002 ، ص 44 .

(5) جميل عبد المجيد ، البلاغة و الاتصال ، ص 7 .

وتطلق لفظة حجاج و محاجة عند بيرلمان (Perlman) و تيتيكا (Tytyca) على العلم و موضوعه، و مؤداها درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة التسليم، و ربما كانت وظيفته محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار إلى درجة تبعث على العمل المطلوب...وعلى صعيد آخر يمكن القول بأن الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدي إلى حصول عمل ما، أو الإعداد

له،ومن ثم سيكون فحص الخطابات الحجاجية المختلفة بحثا في صميم الأفعال الكلامية،وأغراضها السياقية،وعلاقة الترابط في الأقوال،والتي تنتمي إلى البنية اللغوية الحجاجية (1).

ولأنّ اللغة «نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات معينة من السياق» (2)، فكذلك الحجاج استراتيجية لغوية يكتسب بعده التأثيري من الأوضاع المصاحبة لإنتاج الخطاب،نقل فيه المتكلم تصورات و مدركاته إلى السامع قاصدا تقوية قبول أو تقويم معتقدات و أفكار .

ولابدّ الأخذ بعين الاعتبار ما تقتضيه نوعية الخطاب من جهة،ومستلزمات المتلقي من جهة أخرى، فالغاية التي يتأسس عليها هي مجاهدة العقول، وإقناعها بالطرح المقدم، ولذا فليس الحجاج في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمخاورتها،والإصغاء إليها ثم محاولة حيازة انسجامها الايجابي،والتحامها مع الطرح المقدم،فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية و الاجتماعية في الحسبان فإنّ الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير.

لندرك من خلال ما سبق أن نظرية الحجاج تتجاوزها جوانب مختلفة،لا تتعلق باللغة فحسب؛بل ترتبط أيضا بالجانب النفسي و الاجتماعي و الثقافي و غيره من المستلزمات،التي توطر و تسهم في إنتاج الخطاب اللغوي الحجاجي .

x ملامح الخطاب الحجاجي :

1- داخل النص الحجاجي :

1-1- مكونات الحجاج :يبين النص الحجاجي في شكله الرئيسي على مكونات ستة،هي:

أ-الدعوى:وهي نتيجة الحجاج الغاية منها استمالة المستمع لقبول التصورات و المدركات،و يمكن أن تذكر الدعوى بطريقة صريحة و قد تُضمّن.

ب-المقدمات:وتتمثل معطيات الحجاج،وهي مجموعة المسلمات و البديهيات التي يؤسس المتكلم على منوالها حجاجه،وينبغي للمقدمات أن ترتبط بالدعوى (نتيجة الحجاج) ارتباطا منطقيا،حتى تصلح لتدعيمها .

(1) بتصرف عن : شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة ، ضمن أعمال مخبر البلاغة و الحجاج ، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، جامعة منوبة ، تونس ، ص352 .

(2) عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ص 120 .

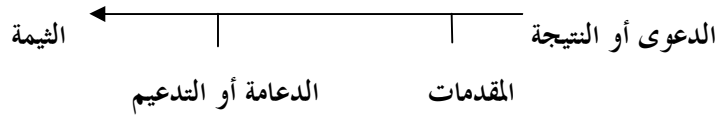
ج-التبرير: ويمثل بيان البرهنة على مدى مطابقة و صلاحية المقدمات للنتائج المقصودة.

د-الدعامة: وتمثل مجموعة الشواهد و الأدلة و القيم التي يستثمرها المتكلم حتى يجعل المقدمات و التبريرات والنتائج أقوى مصداقية و تقبلا عند المستمع.

هـ-مؤشر الحال: ويمثل مجموعة التعبيرات التي تظهر مدى قابلية بعض النتائج للتطبيق، نحو: من الممكن، من المحتمل، على الأرجح، وما إلى ذلك .

و-التحفظات أو الاحتياطات: و التي يضعها المحاجج في حسبانها مسبقا لردود أفعال المستمع تجاه النتيجة⁽¹⁾، وقد تضمّن مؤلف **كليلة و دمنة** العديد من الأقوال التي هي بمثابة البيان الجلي عن الهدف الذي وضع من أجله هذا الكتاب، وهو إرشاد الملوك إلى جميع ما يتعلق بسلطتهم ، و بإدارة شؤون دولتهم، و بما يواجهونه من مشاكل إثر ذلك، ولا يسع قارئ الكتاب إلا الاعتقاد بوظيفة واحدة سخّر لها الكتاب كل وسائله، تتلخص في وضع أسس منهجية لسياسة الملك، فالكتاب أولا و أخيرا يخاطب الدولة، وإن لم يظهر ذلك في كثير من صيغ الخطاب.

وانطلاقا من هذه الغاية بنيت الدراسة التطبيقية في هذا البحث على ما احتوته نصوص **كليلة و دمنة** صراحة أو ضمنا من **ثيمات (Thèmes)**، والتي تستعمل بتعبير مونقانو « لتوصيف الوحدة الدلالية للنص »⁽²⁾، وفق الترسيمة الآتية :



و بمقابلة هذه البنية الحجاجية بما يمثّلها في نصوص **كليلة و دمنة** من **ثيمات** نجد :

التيمة : البشر منطبعون على الشر و الفساد

مقدمات ← « إِنَّ الإنسان هو أشرف الخلق و أفضله ، ثم هو لا يتقلّب إلا في الشرور و الهموم »⁽³⁾.

تدعيم ← « كذب الكلب الذي يربط ليستقيم ، فلا يزال مستويا ما دام مربوطا ؛ فإذا حُلّ انحنى و تعوّج كما كان »⁽⁴⁾.

نتيجة ← «إنّا قد نرى الزمان مدبرا بكل مكان، حتى كان أمور الصدق قد نزعت من الناس، فأصبح ما كان عزيزا فقده مفقودا، وموجودا ما كان ضائرا

(1) أنظر : محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، دراسة في وسائل الإقناع ، ص 44 ، 45 .

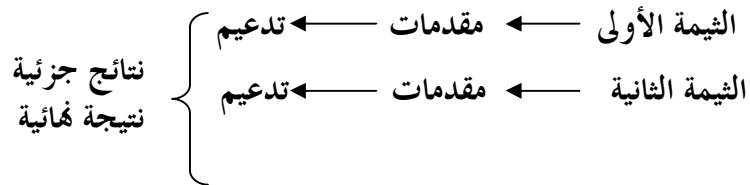
(2) دومينيك مونقانو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر : محمد يحيان ، ص 130 .

(3) كليلة و دمنة ، ص 91.

(4) المصدر نفسه ، ص 132.

وجوده، وكأنَّ الخير أصبح ذابلاً، والشر ناضراً... وكأنَّ إتباع الهوى وإضاعة الحكم أصبح بالحكام موكلًا، وأصبح المظلوم بالحيف مقراً، والظالم بنفسه مستطيلاً، وكأنَّ الحرص أصبح فارغاً فاه من كل جهة يتلقف ما قرب منه، وما بُعد، وكأنَّ الرضى أصبح مجهولاً، وكأنَّ الأشرار يقصدون السماء صعوداً، وكأنَّ الأخيار يريدون بطن الأرض، وأصبحت المروءة مقدوفاً بها من أعلى شرف إلى أسفل درك، وأصبحت الدناءة ممكنة، وأصبح السلطان منتقلاً من أهل الفضل إلى أهل النقص، وكأنَّ الدنيا جذلة مسرورة، تقول قد غُيِّبَت الخيرات وأُظْهِرت السيئات» (5).

وقد غلبت هذه البنية الحجاجية على أكثر نصوص **كليلة ودمنة**، لكننا نجد بعض التدييمات قد تأسست على الموازنة والمقارنة (طرح لقضيتين متقابلتين) على النحو الآتي :



ومن نماذج هذه البنية الحجاجية في **كليلة ودمنة** ثيمة : **الحظ و القدر** ، وهي كالآتي :

مقدمات ← الثيمة الأولى : حتمية القدر

تدعيم ← قول الحمامة المطوقة: «ألم تعلم أنه ليس من الخير والشر شيء إلا وهو مقدّر على من تصيبه المقادير، وهي التي أوقعني في هذه الورطة، فقد لا يمتنع من القدر من هو أقوى مني» (1).

نتيجة جزئية ← متضمنة في صيغة استفهام بلاغي: «أما تعلم أن القدر غالب على كل شيء لا يستطيع أحد أن يتجاوزه ؟» (2).

تدعيم 2 ← «القدر هو الذي يسلب الأسد قوته وشدته و يدخله القبر، و هو الذي يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل الهائج، وهو الذي يسلط على الحية ذات الحُمّة من يترع حماتها و يلعب بها ، وهو الذي يُصَيِّر العاجز حازماً، و يثبّط السهم المنطلق، ويوسع على المُقتر، يشجع الجبان، ويحين الشجاع» (3).

نتيجة ← «ما يغني حذر من قدر، ولا يجدي الكيس مع المقادير شيئاً» (4).

مقدمات ← الثيمة الثانية : مجابهة الحظ السيئ

(5) كليلة ودمنة ، ص 90 ، 91 .

(1) المصدر نفسه ، ص 195 .

(2) المصدر نفسه ، ص 332 .

(3) المصدر نفسه ، ص 141 ، 142 .

(4) المصدر نفسه ، ص 212 .

تدعيم ← وسائل للتخلص من الحظ العاثر: «معي عقلي فلا يفزعني أمري ، ولا يهولني شأني، ولا يلحقني الدهش، ولا يذهب قلبي شعاعا» (5).

نتيجة ← «إنَّ القدر لكما ذكرت، لكن لا يمنع الحازم من توقي المخوف و الاحتراس من المكاره ، لكن العاقل يجمع مع التصديق بالقدر الأخذ بالحزم و القوة لعل ما يستسلم إليه لا يكون مقدورا عليه» (6).

ومن هذا النوع موضوع **الإساءة إلى الغير**، الفيلسوف **بيدبا** ميّز بين أصناف المساء إليهم، ودعا إلى عدم الاسترسال إلى بعض تلك الأصناف، أو الائتمان لهم، فتلك قاعدة لكل زمان و سلطة ، وعليه نتحصّل على قضيتين ممثلة كالآتي :

الثيمة: مخاطر الإساءة للغير .

القضية 1: الصنف الأوّل من المساء إليهم

مقدمات ← « من أصابته منه عقوبة من غير جرم، أو جفوة من غير ذنب » (1).

تدعيم ← ميزاته: «عرف بالصلاح والكرم وحسن العهد والشكر والوفاء والمحبة للناس والسلامة من الحسد والبعد من الأذى والاحتمال للإخوان والأصحاب، وإن ثقلت عليه منهم المؤونة» (2).

نتيجة ← «حقيق بالحرص على مراجعته...ولا ينبغي تركه على حال من الأحوال» (3).

احتياط أو تحفظ ← «ومن لم ينظر في أموره نظر مفكر» (4).

نتيجة جزئية ← «كان نظره كنظر الذي يكون بعينه سبل» (5).

نتيجة نهائية ← «وفي عرض ذلك تهلك الرعية، ويفسد الملك» (6).

قضية 2 : الصنف الثاني من المساء إليهم

مقدمات ← ميزاته: «عُرف بالشراسة و لؤم العهد و قلة الشكر والوفاء، والبعد عن الرحمة والورع ، واتصف بالجحود لثواب الآخرة وعقابها» (7).

تدعيم ← «إنَّ العشب وإن كان لا قوة له يصنع منه الحبل الذي يوثق به الفيل» (8).

(5) المصدر نفسه ، ص 264 ، 265 .

(6) المصدر نفسه ، ص 276 ، 277 .

(1) المصدر نفسه، ص 280 .

(2) المصدر نفسه ، ص 291 .

(3) المصدر نفسه ، ص 280 _ 291 .

(4) المصدر نفسه ، ص 289 .

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) المصدر نفسه ، ص 281 .

(7) كليلة ودمنة ، ص 291 .

(8) المصدر نفسه ، ص 290 .

نتيجة ← «حقيق ألا بتساهل مع من سعى به لكي لا يعودوا إلى مثله... فإنه لا ينبغي للعاقل أن يراجع في أمر الكفور للحسنى ، والجريء على الغدر ، والزاهد في الخير ، والذي لا يوقن بالآخرة» (9).

لقد تصفّحنا أثر الإساءة التي تحدثها السلطة، ونأتي الآن إلى تفحص إحسان السلطة، وما يتوجب عليها تجاه من أحسنت إليهم وأعدت عليهم منافعها، ليتبين أن هؤلاء أشد خطرا من أولئك، فالثيمة المركزية هنا مفادها : **اتق شر من أحسنت إليه ، وهي كما يلي :**

مقدمات ← «إنّ اللئيم الكفور لا يزال ناصحا نافعا حتى يرفع إلى المتزلة التي ليس لها بأهل ، فإذا بلغها اشرأبت نفسه إلى ما فوقها» (1).

التدعيم ← المبالغة في تمثيل حال السلطان مع الطامعين: «لو أن امرئ توسد النار و افترش الحيات كان أحق بأن يهنئه النوم ممن يحس من صاحبه بعداوة يريد بها و يطمئن إليه» (2).

احتياط وتحفظ ← «إذا عرف الملك من أحد رعيته أنه قد ساواه في المتزلة و الحال فليصرعه» (3).

مؤشر الحال ← «فإن هو لم يفعل به ذلك» (4).

نتيجة ← «كان هو المصروع» (5)، «وبعض المحاسن آفة لصاحبها» (6).

تدعيم ← «إنّ الشجرة اللذيذة الثمر ربما كان أذاها في حملها فلويت أغصانها، وهصرت أطرافها حتى تتكسر، والطاووس الذي ذنبه أفضله ينسل فيؤلمه، والفرس المطهم الجري ربما ركب حتى ينقطع ، و البلبل الحسن الصوت يحبس دون غيره من الطير» (7).

مرة أخرى يقدم بيديا حججا تؤكد صحة دعواه التي يطرحها، وفي الثيمة التالية يؤكد على أن الأعمال لا تصنف بذاتها مجردة وفق ترتيب أخلاقي معين، كأن نعتبر عملا ما صالحا بذاته، وأن عملا آخر طالح، بل تقاس بنتائجها و بالأهداف التي تسهم في تحقيقها، فالنتيجة هي مصب العمل و غايته و منتهاه، لذلك فلا انفصال بين الوسائل و النتائج ، كما لا انفصال بين العلة و المعلول، وعليه فإنّ الثيمة الواردة بكثافة في كليلة ودمنة هي ثيمة الغاية تبرر الوسيلة ، والتي عمد الفيلسوف إلى ذكرها بين الفينة و الأخرى.

(9) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(1) المصدر نفسه ، ص 132.

(2) المصدر نفسه ، ص 133

(3) المصدر نفسه ، ص 129 .

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) المصدر نفسه ، ص 141.

مقدمات ← « ذو العقل حقيق أن يكون سعيه في طلب ما يبقى و يعود نفعه عليه ، وأن يمقت بسعيه ما سوء ذلك من أمور الدنيا »⁽⁸⁾.

تدعيم ← « قال الأسد : ما أخطأ رأيك ، و ما أعجز مقالك ، و أبعدك عن الوفاء و الرحمة ، و ما كنتَ حقيقاً أن تجترأ عليّ بهذه المقالة، و تستقبلني بهذا الخطاب ، مع ما علمت من أي قد أمّنت الجمل، وجعلت له من ذمتي...ولست بغادر به... قال الغراب: إني لأعرف ما يقول الملك، ولكن النفس الواحدة يفتدى بها أهل المصر، وأهل المصر فدى الملك، وقد نزلت بالملك الحاجة و أنا أجعل له من ذمته مخرجاً، على ألا يتكلف الملك ذلك لا يليه بنفسه ولا يأمر به أحداً. ولكننا نحتال بحيلة لنا وله فيها صلاح وظفر، فسكت الأسد... عن هذا الخطاب »⁽⁸⁾.

النتيجة ← «خير الأعمال أحدها عاقبة »⁽¹⁾، « يغتبط بخاتمة أمره، و عاقبة صبره »⁽²⁾.

يقدم الفيلسوف **بيدبا** هذه المرة حججاً على أهمية الكرامة الشخصية، والتي يذود الإنسان دون تعرضها للمهانة، وما ينطبق على الأفراد ينطبق كذلك على الحكومات والدول؛ بل هي معنية به أكثر، وعليه توضح البنية الحجاجية الآتية كيف أن **الاحتقار يولد الكراهية**، و يجلب لصاحبه الوبال و العار، و يؤجج الحقد و العداوة .

مقدمات ← « ولعل أكثر الطير قد رأى أكثر مما رأيت، وعلم أضعاف ما علمت، فمنعها من الكلام بمثل ما تكلمت اتقاء ما لم اتق ، والنظر فيما لم أنظر فيه حذار العواقب. ولا سيما إذا كان الكلام أفظع كلام يلقي منه سامعه و قائله المكروه مما يورث الحقد والضغينة . فلا ينبغي أن تسمى أشباه هذا الكلام كلاماً و لكن سهاماً... وإن الكلام الرديء هو الذي يرمي صاحبه في الحقد والعداوة »⁽³⁾.

تدعيم ← «...التي هي أقبح الطير منظراً، وأسوأها خلقاً، وأقلها عقلاً، و أشدّها غضباً، وأبعدها من كل رحمة مع عماها، وما العشا في النهار، وتنت رائحتها حتى لا يطيق طائر أن يتقرّب منها، وأشد من ذلك وأقبح أمورها سفهها ، وسوء أخلاقها »⁽⁴⁾.

النتيجة ← « اعلم أن الفأس يقطع بها الشجر ينبت ، والسيف يقطع اللحم ثم يرجع فيندمل ، واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى مقاطعه ، والنصل من السهم يغيب في الجسد ثم يترع فيخرج ، و أشباه النصل من الكلام إذا وصلت إلى القلب لم تترع ، ولم تستخرج »⁽⁵⁾.

(7) كليلة ودمنة ، ص 227 .

(8) المصدر نفسه ، ص 145، 146 .

(1) المصدر نفسه ، ص 132 .

(2) المصدر نفسه ، ص 242 .

(3) المصدر نفسه ، ص 229 .

(4) كليلة ودمنة ، ص 222، 223 .

(5) المصدر نفسه ، ص 228 .

« لكل حريق مطفىء، فللنار الماء، وللسم الدواء ، و للعشق الفرقة ، ونار الحقد لا تحبوا أبداً،
وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء» (6).

يخاطب الفيلسوف بيدبا في الثيمة الآتية القائد العاقل، ويأمره باللجوء إلى عقله و اتزانته، فلا ينبغي أن
تخطئه الهزيمة و المفاجآت غير المتوقعة و سوء الطالع الذي يتلبه، فأوقات الشدة هي محك حسن
القيادة، والتحذير نفسه يوجهه إلى المنتصر، فلا يقع في الخفة أو يبطره الانتصار و يسكره، فيستجلب سوء تقدير
للأمور و تشتت في الرأي و اندهاشا من النتائج، فالثيمة ، إذن ، هي : الإحباط والغرور.

مقدمات ← « ولا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهوده فيهلكه ، وتحقق الرجاء لا ينبغي أن يبلغ منه
مبلغاً فيعمى عليه أمره » (1).

تدعيم ← التبرير: « معي عقلي فلا يفزعني أمري ، و لا يهولني شأني ، و لا يلحقني الدهش ، و لا
يذهب قلبي شعاعاً » (2).

← التشبيه: « ذو العقل... كالجبل الذي لا تحركه الرياح الشديدة، والسخيف كالعشب يحركه
أدنى ريح » (3).

النتيجة ← « أفضل الملوك من لا يخالطه بطر » (4)، « فذو العقل لا يبطر من منزلة أصابها » (5).

كذلك يحث بيدبا السلطة على ضرورة التهيؤ للمستقبل، والاستعداد لمجاهة المستجدات و التقلبات التي
قد يحملها الزمن إليها، فلا بد لها أن تتسلح ببعد النظر، والتفحص الدقيق لقوانين حركة المجتمع و منحى
تطورها، و الدراسة المتأنية لمعطيات الحاضر، ومن ثم أمكن لها تحضير العلاجات الناجحة لأي خلل محتمل؛
فالثيمة الحاضرة هي: **التحسب و حسن التقدير**، فالسلطة العاجزة في **كليلة ودمنة** هي تلك المترددة
المسترسلة، والمعتقدة أن الزمن الذي يحمل المشاكل يحمل الحلول كذلك.

مقدمات ← « والعاقل هو الذي يحتال للأمر قبل تمامه ووقوعه، فإنك لا تأمن أن يكون وأن لا
تستدركه » (6).

(6) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(1) المصدر نفسه ، ص 265 .

(2) المصدر نفسه ، ص 264 ، 265 .

(3) المصدر نفسه ، ص 154 .

(4) المصدر نفسه ، ص 133 .

(5) المصدر نفسه ، ص 154 .

(6) المصدر نفسه ، ص 129 .

تدعيم ← الشرح : يقال الرجال ثلاثة: « **حازم** : من إذا نزل به الأمر لم يدهش له ، و لم يذهب قلبه شعاعا ، و لم تعي به حيلته و مكيدته ، التي يرجو بها المخرج منه، وأحزم من هذا المقدام ذو العدة الذي يعرف الابتلاء قبل وقوعه ، فيعظمه إعظاما ، ويحتال له حيلة ، حتى كأنه قد لزمه ، فيحسم الداء قبل أن يبتلى به ، ويدفع الأمر قبل وقوعه ، وعاجز فهو في تردد و تمن و توان» (7).

« وأشبهه بالفيل الهائج، الذي لا يلتفت إلى شيء ، فإذا أحزنه أمر تهاون به ، وإذا أضاع الأمور حمل ذلك على قرنائه» (8).

النتيجة ← **ضمنية** : « البصير أقلُّ عذرا عند الناس من الضيرير إذا سقطا في حفرة واحدة » (9).

« أعجز الملوك آخذهم بالهويناء ، وأقلهم نظرا في مستقبل الأمور» (10).

فإذا ما اتجهنا إلى مفهوم الأخلاق في **كليلة ودمنة** فإننا نصطدم بأنّها لا تحمل معان ثابتة خلافا للمفروض، فلا هوية للقيم إلا بما تحمله من قدرة على استيعاب مجموعة من المصالح و الفوائد، أو على دفع المضار؛ فالخدعة ممقوتة في مناسبات، وفاضلة في أخرى، والحرب كذلك و الفتنة و القتل و الصداقة و العداوة، فلا يمكن توصيف القيم و الأخلاق إلا على أساس واحد و هو مدى ما تحمله من ضرر أو نفع للإنسان عامة، و للسلطان بشكل خاص و محدد ، فالثيمة الأكثر حضورا في **كليلة ودمنة** هي **النظر في المنفعة و الضرر** .

المقدمات — «إنّ أموراً ثلاثة العاقل جدير بالنظر فيها والاحتياط لها يجهد، منها النظر فيما مضى من الضر والنفع، أن يحترس من الضر الذي أصابه فيما سلف لئلا يعود إلى ذلك الضر، ويلتمس النفع الذي مضى ويحتال لمعاودته، ومنها النظر فيما هو مقيم فيه من المنافع والمضار، والاستيثاق بما ينفع ، والهرب مما يضر، ومنها النظر في مستقبل ما يرجو من النفع وما يخاف من قبل الضر، ليستتم ما يرجو ، ويتوقى ما يخاف بجهد» (1).

التدعيم ← **الاستفهام البلاغي** : «ألا ترى كيف تتبع البهائم أمهاتها رجاء ألبانها ؛ فإذا انقطع ذلك انصرفت عنها» (2).

← **التمثيل** : « فالصياد الذي ينثر الحب للطير لا يرجو منفعة الطير؛ بل نفع نفسه » (3).

(7) المصدر نفسه ، ص 129 ، 130 .
 (8) المصدر نفسه ، ص 133 .
 (9) المصدر نفسه ، ص 60، 61 .
 (10) المصدر نفسه ، ص 133 .

(1) كليلة ودمنة ، ص 118 ، 119 .
 (2) المصدر نفسه ، ص 269 .
 (3) المصدر نفسه ، ص 198 .

النتيجة ← « إنما سمي الصديق صديقا لما يرجى من نفعه ، و سمي العدو عدوا لما يخاف من اعتدائه و ضرره ، والعاقل إذا رجا نفع العدو أظهر له الصداقة ، وإذا خاف ضرر الصديق أظهر له العداوة » (4).

كذلك فإنّ في قضية الدفاع عن الوطن يؤكد بيدبا و ينبه مخاطبه إلى أنّه لا يجوز التوقف أمام أي اعتبار مهما حمل في طياته من الصفات الحمودة أو المذمومة ؛ إذ تتساوى القيم و تلغى تعريفاتها و تتلاشى الحدود الفاصلة بين الرذيلة و الفضيلة ما دما أمام قيمة عليا ، فالثيمة المركزية هنا تحمل المهانة في سبيل الوطن .

مقدمات ← « العاقل إذا أتاه الأمر الفظيع العظيم ، الذي يخاف من عدم تحمله الجائحة على نفسه وقومه، ولم يجرع من شدة الصبر عليه لما يرجو من أن يعقبه صبره حسن العاقبة و كثير الخير ، فلم يجد لذلك ألما ، ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه حتى يبلغ حاجته » (5).

تدعيم ← «إنّهُ من احتمال مشقة يرجو نفعها، ونحى عن نفسه الأنفة، والحمية، ووطنها على الصبر» (6).

← «لو أنّ رجلا حمل عدوه على عنقه و هو يرجو هلاكه و راحتته منه، لكان ذلك عنده خفيفا هينا» (1).

النتيجة ← «حمد غب رأيه» (2)، «خير الأعمال أحمدها عاقبة» (3).

وفي القضية الآتية يؤكد **كليلة ودمنة** ضرورة التأني و الفحص و التثبت و إعمال الروية، لكن لكل شيء حدود، فهو في مواضع أخرى يؤيد التسرع سيما في وقته المناسب، والثيمة المركزية هي: **العمل بين التسرع و الأناة** لنحصل في هذا الموضوع على قضيتين هما كالآتي :

القضية الأولى: ذم التسرع

مقدمات ← «وينبغي للمرء أن يكون للأمر عنده حد لا يجوزه ولا يقصر عنه لأنه من جاز الحد كان كمن قصر عنه لأنّهما خالفا الحد جميعا» (4).

التدعيم ← « لأنّ الأمر إذا فرط مثل الكلام إذا مرق لا مرد له » (5).

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(5) المصدر نفسه ، ص 242 .

(6) المصدر نفسه ، ص 244 .

(1) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(3) المصدر نفسه ، ص 132 .

(4) المصدر نفسه ، ص 132 .

(5) المصدر نفسه ، ص 170 .

(6) المصدر نفسه ، ص 262 .

النتيجة ← «إنَّما يسلم العاقل من الندامة بترك العجلة و بالتثبت، والعجلة لا يزال صاحبها يجتني ثمرة الندامة بسبب ضعف الرأي، ومن لم ينظر في أموره نظر مفكر كان نظره كنظر الذي بعينه سبل» (6).

القضية الثانية : ذم الأناة .

مقدمات ← «ومن طلب الأمر الجسيم فأمكنه ذلك فأغفله فاتته الأمر، وهو خليق ألا تعود الفرصة ثانية، ومن وجد عدوه ضعيفا ولم ينجز قتله ندم إذا استقوى، ولم يقدر عليه» (7).

التدعيم ← «إنَّ العشب وإن كان لا قوة له يصنع منه الحبل الذي يوثق به الفيل» (8).

النتيجة ← «وأما الخرق فهو إعمال الشدة في موضع اللين، والرفق في مكان الغلظة» (9)، «إنَّ الأمور مرهونة بأوقاتها» (10)، «أعجز الملوك آخذهم بالهويناء» (11).

ومن أبرز المواضيع التي طرقها **كليلة ودمنة** موضوع **الدين**، والذي غلب عليه الشك و عدم التصديق، و مرد ذلك اختلاف الملل و الأديان، وتلك هي الثيمة التي يعالجها بيدبا من خلال النصوص الآتية :

الثيمة : عدم التصديق بالأديان

المقدمات ← «فلما تحرَّرت من تصديق ما لا يكون، ولم آمن إن صدقته أن يوقعني في تهلكة، عدت إلى البحث عن الأديان، و التماس العدل منها» (1).

تدعيم ← «لم أجد عند أحد ممن كلمته جوابا فيما سألته، ولم أر فيما كلموني به شيئا يحق لي في عقلي أن أصدِّق به، ولا أن أتبعه» (2).

نتيجة ← «لقيم موضع إجماع: «فلما خفت من التردد... اقتصررت على كل شيء تشهد به العقول، و تتفق عليه أهل الأديان، ويُرى أنه صواب وحق، فكففت يدي عن الضرب والقتل والسرقة وزجرت نفسي عن الكبر و الغضب، ونزهت قلبي عن الحقد والبغض والخيانة، وصنَّت لساني عن الكذب و البُهتان و الغيبة و النميمة و كل أمر مكروه، وأضمرت في نفسي ألا أبغي على أحد، و لا أكذب بالبعث و لا الثواب و لا العقاب، وأن لا اله إلا الله الفرد

(7) المصدر نفسه ، ص 288 ، 289.

(8) المصدر نفسه ، ص 233.

(9) المصدر نفسه ، ص 290.

(10) المصدر نفسه ، ص 120.

(11) المصدر نفسه ، ص 233 .

(12) المصدر نفسه ، ص 133 .

(1) كليلة ودمنة ، ص 80.

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

الصمد ، يكافئ على الخير بالخير ، و على الشر بالشر...ورأيت كلا من الصلاح و العلم ليس كمثله صاحب و لا قرين»⁽³⁾.

كذلك يشير بيدا إلى تظاهر الإنسان بالتقوى و النسك و الورع،وهي وسائل يمكن إبرازها بيسر، إلا أن النوايا الكامنة خلفها لا تظهر إلا للبيب العاقل ، فالثيمة الحاضرة هنا : الدين بين القول والعمل.

مقدمات — «إنَّ بساحل البحر سنورا متعبدا»⁽⁴⁾.

التدعيم — «يصوم النهار ويقوم الليل كله،ولا يؤذي دابة ولا يُهريق دما،عيشه من الحشيش ومما يقذفه إليه البحر»⁽⁵⁾.

مؤشر الحال — «إن أحببت تحاكمنا إليه ورضينا به»⁽⁶⁾.

احتياط و تحفظ — «فلما بَصُرَ السُّتُورُ بالأرنب والصَّفَرْدُ مقبلين نحوه انتصب قائما يصلي،وأظهر الخشوع و التنسك»⁽⁷⁾.

النتيجة — «فوثب عليها فقتلهما»⁽⁸⁾.

ويدعو الفيلسوف بيدبا مخاطبه في البنية الحجاجية الآتية إلى ترك الخديعة ، فأكثر نتائجها وبال على صاحبها ، فلا ينجو منها و إن طال الزمن .

الثيمة : الموقف الأخلاقي من الخديعة

المقدمات — «الخب و الخداع ليسا من صفات صالحى القضاة و تقاة الولاة»⁽¹⁾.

التدعيم — «وإنَّما عذوبة ماء الأنهار مالا تبلغ إلى البحار،وصلاح أهل البيت ما لم يكن بينهم المفسد»⁽²⁾.

التمثيل: «لاشيء أشبه بك من الحيَّة ذات اللسانين التي فيها السم،والمفسد بين الإخوان و الأصحاب كالحيَّة التي يربيهما الرجل ويطعمها ويكرمها،ثم لا يكون له منها غير اللدغ»⁽³⁾.

احتياط و تحفظ — «إنَّك جامع للخبّ و الخديعة و الفجور ،وإنِّي أخشى عليك ثمر عملك»⁽⁴⁾.

(3) المصدر نفسه ، ص 82 ، 83 .

(4) المصدر نفسه ، ص 226 ، السُّتُور: و هو الهرّ.

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(7) المصدر نفسه ، ص 227 ، الصفرد :طائر يكنى أبا المليح.

(8) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

(6)كليلة ودمنة ، ص 186 ، 187.

(7) المصدر نفسه ، ص 159

(8) المصدر نفسه ، ص 159 ، 160

(9) المصدر نفسه ، ص 159.

النتيجة ← « الخبُّ والفجور هما خلطنا سوء ، والخبُّ شرهما عاقبة.. ربما كان صاحبهما هو المغبون» (5)

« ما عاد وبال البغي إلا على صاحبه » (6).

« مع أنك لست بناج من العاقبة » (7).

أما الخديعة في الحرب لمجاهمة العدو فهي فضيلة و مجد ؛ لأنها تحمي الوطن و تحقق الانتصار، وكما يقال:
الحرب خدعة، فإنها من أبرز وسائل غلبة العدو، لذلك ينصح بيدبا الملوك باعتمادها توفيراً لخسائر الحرب من
الأنفس و الأموال .

الثيمة : التحذير من خديعة العدو

المقدمات → « ذو الرأي يتخوف المكر والخديعة والحيل ، ويعلم أن كثيرا من العدو لا يستطيع بالشدة
و المكابرة ، حتى يصاد بالرفق والملاينة، كما يصطاد الفيل الوحشي بالفيل الداجن » (8).
« ووجدت صرعة اللين والرفق أسرع وأشدّ استئصالا للعدو من صرعة المكابرة و العناد
» (9).

التدعيم ← « إنَّ النار لا تزيد بجدتها و حرّها إذا أصابت الشجرة ، على أن تحرق ما فوق الأرض
منها ، و الماء بليته و برده يستأصل ما تحت الأرض منها » (10).

الثيمة : خداع ولاة الأمور للرعية

المقدمات → « إنَّ أقبح الخداع ما نظرت إليه وعلمت أنه من غير أهله » (1).
التدعيم ← « مثل السلاطين في قلة وفائهم لمن صحبهم كمثل صاحب الخان كلما فقد واحدا جاء
آخر » (2).
« الاستفهام البلاغي: «من ذا الذي صحب السلطان فدام له منه الأمن و الإحسان ؟ » (3).
النتيجة ← « الخداع و المكر ليسا من أعمال صالحى القضاء و ثقات الولاة » (4).

(10) المصدر نفسه ، ص 156 ، 159 .

(1) المصدر نفسه ، ص 67.

(2) المصدر نفسه ، ص 159 .

(3) المصدر نفسه ، ص 274 .

(4) المصدر نفسه ، ص 246 .

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(1) كليلة ودمنة، ص 100.

(2) المصدر نفسه، ص 137 .

(3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

(4) المصدر نفسه، ص 187.

« إنَّ المنازل متنازعة مشتركة على قَدَر المروءة، فالمرء ترفعه مروءته من المتزلة الوضيعة إلى المتزلة الرفيعة، و من لا مروءة له يحطُّ نفسه من المتزلة الشريفة شديد و الانحطاط منها هين» (5).

«شَرُّ الملوك المخادع» (6).

يؤكد بيدا في البنية الحجاجية التالية على أهمية المال، إذ يزيد في القوة، كما يعد عصب الحرب، فضلا عن الجنود الأكفاء، والقيمة تبعا لذلك هي: المال و القوة.

المقدمات — «إنَّ المال جُعل قوة و زيادة في الرأي و التمكن» (7).

التدعيم — التمثيل: « ما الإخوان و لا الأعوان و لا الأصدقاء إلا بالمال، ووجدت من لا مال له إذا أراد أمرا قعد به العُدم عما يريده، كالماء الذي يبقى في الأودية من مطر الشتاء، لا يمر إلى نهر، ولا يجري إلى مكان، إلى أن يفسد و ينشف و لا ينتفع به... ومن لا مال له لا عقل له ولا دنيا ولا آخرة» (8).

«ووجدت الرجل إذا افتقر أتهمه من كان له مؤمنا، وأساء به الظن من كان يظن به حسنا، فإن أذنب غيره كان هو للتهمة موزعا، وليس من خلة هي للغني مدح إلا وهي للفقير ذم، فإن كان شجاعا قيل أهوج، وإن كان جوادا سمي مُبذرا، وإن كان حليما سمي ضعيفا، وإن كان وقورا سمي بليدا، وإن كان صموتا سمي عيبا، وإن كان لسنا سمي مهذارا» (9).

نتيجة — «أحرى به أن يكون أنكد الناس حظا في الدنيا و الآخرة» (10).

ويخصص **كليلة ودمنة** باب الجرذ و السُّور ليؤسس للفكر السياحي في العلاقات مع العدو، ويبحث في أسباب الصداقة و العداوة، ليصل إلى إمكانية التعامل مع العدو، للخروج من المآزق، وإن كلف الأمر بعض التنازلات، وذلك ما توضحه قيمة: **تضافر الأعداء**، في البنية الحجاجية الآتية:

المقدمات — «اضرب لي مثل رجل كثر أعداؤه و أحدقوا به من كل جانب، فأشرف معهم على الهلاك، فالتمس النجاة والمخرج بموالاته بعض أعدائه ومصالحتهم، فسلم من الخوف وأمن» (1).

(5) المصدر نفسه، ص 101.

(6) المصدر نفسه، ص 225.

(7) المصدر نفسه، ص 204.

(8) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(9) المصدر نفسه، ص 205، 206.

(10) المصدر نفسه، ص 205.

(1) كليلة ودمنة، ص 263.

التدعيم ← «أنا اليوم شريكك في البلاء،ولست أرجو لنفسي خلاصا إلا بالذي أرجو لك فيه الخلاص» (2).
«كالسفينة و الركاب في البحر فبالسفينة ينجون و بهم تنجو السفينة» (3).

← «إنَّ الصديقَ صديقان طائع و مضطر،وكلاهما يلتمسان المنفعة و يحترسان من المضرة» (4).
احتياط ← «فأنا أخافك تخوف أن يصيبني منك ما أَلْجَأني خوفه إلى مصالحتك و أَلْجَأك إلى قبول ذلك مِنِّي» (5).
← «ثم إنِّي إن فعلت ذلك سأشكرُك ما بقيت» (6).

نتيجة ← «إنَّ الكريم لا يكون إلا شكورا غير حقود، تنسيه الخلة الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة» (7). «إن أعجل العقوبة عقوبة الغدر، و من إذا تُضَرَّع إليه و سُئِل العفو فلم يرحم و لم يعف فقد غدر» (8). «والعاقِل يصلح عدوه إذا اضطر إليه ، و يصانعه و يظهر له وُدَّه و يريه من نفسه الاسترسال إليه إذا لم يجد من ذلك بُدا» (9).

وإلى جانب الصداقة التي يعقدها الأعداء ينبه الفيلسوف بيدا في أكثر من موضع من **كليلة ودمنة** إلى **ثيمة الصداقة** التي يعقدها الأخيار فيما بينهم، ويتنقل إلى الحديث عن موجبات هذه العلاقة التي لا تقوم على الانتفاع أو الطمع .

الثيمة : موجبات الصداقة

مقدمات ← « إن أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلون عليهما وهما: ذات النفس وذات اليد، فالمتبادلون ذات النفس هم الأصدقاء،وأما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتبس بعضهم الانتفاع ببعض» (10).

تدعيم ← «المودة بين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقطاعها،ومثل ذلك مثل الكوز من الذهب بطيء الانكسار،سريع الإعادة،هين الإصلاح إذا أصابه ثلم أو كسر،والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها،ومثل ذلك مثل الكوز من الفخار سريع الانكسار،ينكسر من أدنى

(2) المصدر نفسه، ص 265 .

(3) المصدر نفسه ، ص 266 .

(4) المصدر نفسه ، ص 267 .

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) المصدر نفسه ، ص 266 .

(7) المصدر نفسه ، ص 267 .

(8) المصدر نفسه ، ص 267 .

(9) المصدر نفسه ، ص 270 .

(10) المصدر نفسه، ص 198.

شيء، ولا وصل له أبداً، والكريم يود الكريم، واللئيم لا يود أحداً، إلا عن رغبة أو رهبة»
(1).

نتيجة ← « فتعاطي ذات النفس أفضل من تعاطي ذات اليد »⁽²⁾. « إنَّ من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ، ولعدو صديقه عدواً »⁽³⁾. « لا شيء من سرور الدنيا يعدل صحبة الإخوان ، ولا غمٌ فيها يعدل البعد عنهم »⁽⁴⁾. « إنَّ الكريم إذا عثر لا يقيل عثرته و يأخذ بيديه إلا الكرام، كالفيل إذا وحل لا تخرجه إلا الفيلة »⁽⁵⁾. « لا عيش بعد فراق الأحبة، وإذا فارق الأليف أليفه فقد سلب فؤاده، وحُرم سروره، وغُشي على بصره »⁽⁶⁾.

ولأنَّ الدولة تشهد دائماً حركة تطور و توسُّع فمن الطبيعي أن ينشأ التنافس بينها و بين الدول الأخرى، ولذلك فإنَّ الصداقة لا يمكن أن تعرف الثبات، وعليه ينبغي الاحتراس و التوقي للخروج بأقلِّ الأضرار.

الثيمة: الاحتراس من الأصدقاء

مقدمات ← «رُبَّ صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة ، وهي أشد من العداوة الظاهرة»⁽⁷⁾.
« من كان أصل أمره عداوة جوهرية ، ثم أحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك ، زالت صداقته فتحوّلت و صارت إلى أصل أمره »⁽⁸⁾.
تدعيم ← «كالماء يسخن بالنار فإذا رفع عنه عاد بارداً»⁽⁹⁾.
«كالرجل الذي يركب ناب الفيل الهائج ثم يغلبه النعاس فيستيقظ تحت فراسن الفيل فيدوسه و يقتله»⁽¹⁰⁾.
نتيجة ← « لا يثق به كل الثقة ، ولا يأمنه على نفسه مع القرب منه ، وينبغي أن يبعد عنه ما استطاع »⁽¹¹⁾.
« اعلم أن سريع الاسترسال لا تقال عثرته »⁽¹²⁾.

(1) المصدر نفسه ، ص 197.

(2) المصدر نفسه ، ص 198.

(3) المصدر نفسه ، ص 199 .

(4) المصدر نفسه ، ص 210.

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(6) المصدر نفسه ، ص 213.

(7) المصدر نفسه ، ص 268.

(8) المصدر نفسه ، ص 269.

(9) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(10) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(11) المصدر نفسه، ص 270 .

(12) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

وينبه ببدبأ مرة أخرى إلى من لا تجوز صداقتهم، حتى وإن دفعت الحاجة إليهم، وأما إن انتفت الخيارات فيمكن الاسترسال إليهم على أن تكون الصداقة محدودة في الزمان والمكان والموضوع ، بحيث يحرص نطاقها .

الثيمة : من لا تجوز صداقتهم

1- العدو :

مقدمات ← «وليس من أعدائي عدو أضرب لي منك،وقد اضطرين وإياك حاجة إلى المصالحة» (1) .
تدعيم ← «كالسفينة و الركاب في البحر، فبالسفينة ينجون ، و بهم تنجو السفينة» (2) .
← مؤشر الحال ← «إن أنت جعلت لي الأمان قطعت حبالك» (3) .
احتياط وتحفظ ← «أخاف أن يكون مع ذهابه عودٌ للعداوة» (4) .
نتيجة ← « العاقل يصلح عدوه إذا اضطر إليه ، و يصانعه ويظهر له وُدّه ويريه من نفسه الاسترسال إليه،إذا لم يجد من ذلك بُدًا،ثم يعجل الانصراف عنه حين يجد إلى ذلك سبيلا» (5) .«لا سبيل إلى اجتماعنا» (6) .

2- الموتور:

مقدمات ← «إن الغادر مأخوذ بغدره،وإنه إن أخطأه عاجل العقوبة لم يخطئه الآجل،حتى إنه يدرك الأعقاب ، وأعقاب الأعقاب» (7) .
← مؤشر الحال ← «قد تناصفنا جميعا،فليس لك قبلنا،و ليس لنا قبلك وتر مطلوب، فارجع إلينا آمنا» (8) .
← احتياط وتحفظ : « لا ينبغي لذي الرأي أن يظن أن الموتور الحقود ناس ما وُتر به ، أو مصروف عنه، وذو الرأي يتخوف المكر و الخديعة والحيل،ويعلم أن كثيرا من العدو لا يستطيع بالشدة و المكابرة ،حتى يصاد بالرفق و الملاينة» (9) .
تدعيم ← «كما يصطاد الفيل الوحشي بالفيل الداجن» (10) .
مقدمات ← «ألا تعلم أن الضغائن و الأحقاد تكون بين كثير من الناس؟ فمن كان ذا عقل كان على إماتة النار أحرص منه على تربيته» (11) .

(1) كليلة ودمنة ،ص 269 .

(2) المصدر نفسه، ص 266 .

(3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(4) المصدر نفسه، ص 269 .

(5) المصدر نفسه، ص 270 .

(6) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(7) المصدر نفسه، ص 273 .

(8) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(9) المصدر نفسه، ص 274 .

(10) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(11) المصدر السابق ،ص 274 .

تدعيم ← « اللّعايبن يلعبون بالكلاب ثم يذبحونها و يأكلونها، ويرى الكلب الذي قد ألفهم ذلك ، فيمنعه من مفارقتهم ألفته إيّاهم »⁽¹⁾.

احتياط و تحفظ ← «الأحقاد مخوفة حيث كانت، وأخوفها وأشدّها ما كان في أنفـس الملوك، فإنّ الملوك يـدينون بالانتقام، ويرون الدّرك والطلب بالوتر مكرمة و فخرا، وأنّ العاقل لا يغترّ بسكون الحقد إذا سكن »⁽²⁾.

تدعيم ← «مثل الحقد في القلب إذا لم يجد محركا مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطبا، فإذا وجد علة استعر استعار النار »⁽³⁾.

← «إنّ الرجل الذي في باطن قدمه قرحة إن هو حرص على المشي لا بد أن تُنكأ قرحته ، والرجل الأرمد إذا استقبل بها الريح تعرّض لأن تزداد رمدا ، وكذلك الواتر إذا دنا من الموتور فقد عرض نفسه للهلاك »⁽⁴⁾.

نتيجة ← «الحقد...لا يطفئه حسن كلام و لا لين و لا رفق و لا تضرع و لا مصانعة ، و لا شيء دون تلف الأنفس و ذهاب الأرواح»⁽⁵⁾. «لا أزال في خوف ووحشة وسوء ظنّ ما اصطحبنا فليس الرأي بيني و بينك إلا الفراق»⁽⁶⁾.

ومن المواضيع الجد هامة في **كـليـلة ودمـنة** موضوع السلطة ؛بل إنّها مدار التأليف عند الفيلسوف **بيدبا** ، كما تتميز السلطة و تتطور بصلاحيها فإنّها كذلك تنهار بفسادها ، الذي إذا ما تراكم أوصلها إلى الهلاك.

الثيمة : فساد السلطة

مقدمات ← « إنّما يؤتى السلطان و يفسد أمره من قبل ست أشياء : الحرمان والفتنة والهوى والفضاظة والزمان والخرق »⁽⁷⁾.

تدعيم ← الشرح بالتفصيل: « أمّا الحرمان فأن يحرم من صالحى الأعوان و النصحاء و الساسة من أهل الرأي والنجدة و الأمانة، وأمّا الفتنة فهي تحارب رعيته ووقوع الخلاف و النزاع بينهم، أمّا الهوى فالإغرام بالنساء والحديث و اللهو والشراب والصيد وما أشبه ذلك، وأمّا الفضاظة فهي إفراط الشدة حتى يجمع اللسان بالشتم، واليد بالبطش في غير موضعهما، وأمّا الزمان

(1) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(3) المصدر نفسه، ص 277، 278 .

(4) المصدر نفسه، ص 275.

(5) المصدر نفسه، ص 276 .

(6) المصدر نفسه، ص 119.

فهو ما يصيب الناس من السنين من الموتان ،ونقص الثمرات و الغزوات ، وأشباه ذلك ،وأماً الخرق فهو أعمال الشدة في موضع اللين ، واللين في موضع الشدة» (1).

نتيجة ← ضمنية : « إن الشجرة إذا أريد قلعها عمد إلى أصولها» (2). «شر الملوك من يخافه البريء ، ولا يواظب على حفظ مملكته» (3). « شر الملوك المخادع» (4).

ولأن إدراك السلطة شاق ، وأشق من ذلك الاحتفاظ بها سنَّ يبدأ القواعد التي تضمن الإمساك بزماتها، وذلك بتضافر عناصر عديدة ملخصة في البنية الحجاجية التالية :

الثيمة: إدراك السلطة و الاحتفاظ بها

مقدمات ← «إنه لم يبلغ أحد مرتبة إلا بإحدى ثلاث: إما بمشقة تناله في نفسه، وإما بوضيعة في ماله ، أو وكس في دينه» (5).

تدعيم ← المشقة في النفس : « لا يواظب أحد على باب السلطان و يطرح الأنفة و يحتمل الأذى ، ويكظم الغيظ ويكتم السرّ، فإذا وصل إلى ذلك بلغ مراده» (6).

← الوضيعة في المال: « لبيذل ذوو المال ما لهم في أربعة مواضع : في الصدقة، وفي وقت الحاجة وعلى البنين ،وعلى الأزواج ، ولا سيما إذا كنَّ صالحات» (7).

← الوكس في الدين: « إني لما نظرت في الأمر الذي به أرجو إن تعود متزليتي ،وما غلبت عليه مما كنت، لم أجد حيلة و لا وجهاً إلا الاحتيال لأكل العشب هذا حتى أفرق بينه و بين الحياة» (8). «فلما بصر السنور بالأرنب و الصفرد مقبلين نحوه انتصب قائماً يصلي، وأظهر الخشوع... فوثب عليهما فقتلهما» (9).

نتيجة ← «ومن لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب» (10).

يرى يبدأ أن صحبة السلطان مبعث دائم للخوف، لذلك ينبه كل من يعمل لها أو يتقرب منها ؛ إذ لا يعرف الرجل متى تنتكر السلطة له وتتقلب .

(1) المصدر نفسه، ص 120، 119، السنين كناية عن الشدة و الضيق ، و أمّا الموتان فيقصد بها موت المواشي .

(2) المصدر نفسه، ص 303 .

(3) المصدر نفسه، ص 279 .

(4) المصدر نفسه، ص 225 .

(5) المصدر نفسه، ص 32.

(6) المصدر السابق ، ص 103.

(7) المصدر نفسه ، ص 254 .

(8) المصدر نفسه، ص 199 .

(9) المصدر نفسه، ص 227 .

(10) المصدر نفسه، ص 105.

الثيمة: مخاطر مصاحبة السلطان

مقدمات ← « إن ثلاثة لا يجترئ عليهن إلا أهوج، ولا يسلم منهن إلا قليل، وهي: صحبة السلطان.. »
(1)

تدعيم ← التمثيل: «السلطان كالحيل الصعب المرتقى، الذي فيه الثمار الطيبة والأنهار الجارية والجواهر النفيسة، وهو مع ذلك معدن السباع والنمور والذئاب و كل ضار مخوف، فالارتقاء إليه شديد، والمقام فيه أشد» (2).

التمثيل: «إن إرادة الأسد بك... لأنه فاجر خوّان غدار لطعامه حلاوة، و آخره سمٌ مميت... فأراني قد استلذت الحلاوة إذ ذقتها ، و قد انتهيت إلى آخرها الذي هو الموت... فأنا كالنحلة التي تجلس على نور النيلوفر ، إذ تستلذ ربحه و طعمه ، فتحبسها تلك اللذة عن الحين الذي ينبغي أن تطير فيه» (3).

نتيجة ← «إنما يقدم على خدمة السلطان غير هائب رجلان لست بواحد منهم: إمّا مصانع ينال حاجته بفجوره ، و يسلم بمصانعته ، و إمّا هيين لا يحسده أحد» (4).

← « إن قليلا من العيش في أمن و طمأنينة خير من كثيره في خوف و نصب » (5).

← « قبحا للملوك الذين لا عهد لهم و لا وفاء » (6).

وإنّ ما يستقيم به الملك أن يكون السلطان عالما بمن يريد الاستعانة به، وما عند كل رجل منهم من الرأي و الغناء، وما فيه من العيوب، وعلى أساس ذلك يوجه لكل عملا يعرف به، واختيار الوزراء هي الخطوة الأولى في مباشرة السلطان إدارة شؤون الدولة .

الثيمة: اختيار الوزراء

مقدمات ← « الملك لا يستطيع ضبطه إلا مع ذوي الرأي، وهم الوزراء و الأعوان » (7).

تدعيم ← مواصفات الوزير :

1- «ولا ينتفع بالوزراء و الأعوان إلا بالمودة و النصيحة، ولا نصيحة إلا لذوي الرأي و

العفاف» (8).

(1) كليلة ودمنة ، ص 104 .

(2) المصدر نفسه، ص 204، 205 .

(3) المصدر نفسه ، ص 142 .

(4) المصدر نفسه، ص 283، 284 .

(5) المصدر نفسه ، ص 285.

(6) المصدر نفسه، ص 272 .

(7) المصدر نفسه، ص 280 .

2- « ممن لهم الخبرة »⁽¹⁾.

3- الكفاءة : « لا يفتحهم إلا أفهم الرجال و أذكاهم ، والرجل الذي يحتاج إلى الجذوع لا يجزئه القضب وإن كثر... إنَّ الصغير ربما عظم كالعصب الذي يؤخذ من الميتة، فإذا عُمِلت منه القوس أُكرم ، فتقبض عليه الملوك و تحتاج إليه في البأس و اللهو »⁽²⁾.
حتى العود الملقى في الأرض ربما نفع فيأخذه الرجل فيحك به أذنه ... الملك حقيق أن لا يحتقر مروءة يجدها عند رجل صغير المتزلة »⁽³⁾.

4- النسب: «إنَّ السلطان لا يقرب الرجال لقرب آبائهم و لا يباعدهم لبعدهم ولكنه ينظر إلى كل رجل بما عنده»⁽⁴⁾.

نتيجة ← « ينبغي للسلطان ألاَّ يلجَّ في تضييع حق ذوي الحقوق ، فإنَّ عاقبة ذلك رديئة »⁽⁵⁾.
« و رأس الحزم للملك معرفة أصحابه و إنزالهم منازلهم على طبقاتهم »⁽⁶⁾.

ويؤكد **كليلة و دمنه** على أنَّ عدد الوزراء ليس بذی أهمية؛ إذ يحتاج إلى الكفاء منهم لا إلى كثرة عددهم؛ بل قد تكون كثرتهم إضرارا بالعمل.

الشيمة : عدد الوزراء

مقدمات ← « إنَّ رأي الرجل الواحد العاقل الحازم أبلغ في هلاك العدو من الجنود الكثيرة من ذوي البأس والنجدة والعدد و العُدَّة »⁽⁷⁾.

تدعيم ← «الرجل الذي يحمل الحجر الثقيل فيقتل به نفسه و لا يجد له ثمنا، وحامل الياقوت، وإن قلَّ، يقدر على بيعه بالكثير من المال »⁽⁸⁾. « والرجل الذي يحتاج إلى الجذوع لا يجزئه القضب وإن كثر »⁽⁹⁾.

نتيجة ← « إنَّ العمل ليس رجاؤه بكثرة الأعوان ، و لكن بصالحي الأعوان »⁽¹⁰⁾.

(8) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(1) كليلة ودمنه ، ص 283 .

(2) المصدر نفسه، ص 107 .

(3) المصدر نفسه، ص 106، 107.

(4) المصدر نفسه، ص 107.

(5) المصدر نفسه ، ص 108.

(6) المصدر نفسه، ص 289.

(7) المصدر نفسه، ص 114.

(8) المصدر نفسه، ص 107.

(9) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

(10) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

الثيمة : في العلاقة بين السلطان و الوزراء

و يصنف كليلة ودمنة السلطان في علاقته مع الوزراء على معادلات أربع :

- × سلطان صالح و وزراء صالحون × سلطان فاسد و وزراء فاسدون
× سلطان صالح و وزراء فاسدون × سلطان فاسد و وزراء صالحون

مقدمات ← سلطان صالح و وزراء صالحون

تدعيم ← صفات الوزير الصالح :

- 1- « يسدّدون أحوال الناس وينظرون في صلاحهم »⁽¹⁾.
- 2- « إنّه لم يكن يكتّم صاحبه نصيحته و إن استقلّها ، و لم يكن كلامه كلام عنف وقسوة ، ولكن كلام رفق و لين حتى إنه ربما أخبره ببعض عيوبه ، ولا يصرح بحقيقة الحال ؛ بل يضرب الأمثال ويحدثه بعيب غيره فيعرف عيبه فلا يجد ملكه إلى الغضب عليه سبيلا »⁽²⁾.

نتيجة ← « وإئّما الملك و زينته أن تكون جنوده ووزرائه ذوي صلاح فيسدّدون أحوال الناس ، وينظرون في صلاحهم »⁽³⁾. « والملك يزداد برأي وزرائه بصيرة كما يزيد البحر بمجاوره من الأنهار »⁽⁴⁾.

مقدمات ← سلطان فاسد و وزراء فاسدون

تدعيم ← صفات الوزير الفاسد :

- 1- « كتم السلطان نصيحته »⁽⁵⁾.
- 2- « كانت سيرته سيرة بطر وشرّ وخيلاء وعجز وفخر مع ما فيه من الصفات الذميمة ، وكل أصحابه و وزرائه شبيه به »⁽⁶⁾.

نتيجة ← « لا يطمعن الملك المتهاون بالأموال الضعيف الوزراء في ثبات ملكه و صلاح رعيته »⁽⁷⁾.
« ما أهلك اليوم ... إلا البغي وضعف رأي الملك وموافقته وزراء السوء »⁽⁸⁾.

(1) كليلة ودمنة ، ص 154.

(2) المصدر نفسه، ص 249 .

(3) المصدر نفسه، ص 154 .

(4) المصدر نفسه، ص 221 .

(5) المصدر نفسه، ص 128 .

(6) المصدر نفسه، ص 248 ، 249 .

(7) المصدر نفسه، ص 243 .

(8) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

مقدمات ← سلطان صالح ووزراء فاسدون :

تدعيم

« إنَّ السلطان إذا كان صالحا ووزرائه وزراء سوء منعوا خيره، فلا يقدر احد ان يدنو منه ، ومثله في ذلك مثل الماء الطيب الذي فيه التماسيح لا يقدر أحد أن يتناوله ، و إن كان إلى الماء محتاجا »⁽¹⁾.

«خير السلاطين من أشبه النسر و حوله الجيف ، لا من أشبه الجيفة و حوله النسور»⁽²⁾.

نتيجة

« لو اجتمع المكرة الظلمة على البريء الصالح كانوا خلقاء أن يهلكوه و إن كانوا ضعفاء وهو قوي »⁽³⁾. « إنَّ أعظم الأشياء ضررا على الولاة خاصة أن يجرموا صالح الأعوان و الوزراء و الإخوان وأن يكون وزراءهم غير ذي مروءة و لا غناء »⁽⁴⁾. « قلَّ من وثق بوزراء السوء و سلم من أن يقع في المهالك »⁽⁵⁾. «ليس السلطان بحقيق أن يعجل في الاسترسال إلى هؤلاء،و الثقة بهم و الائتمان لهم »⁽⁶⁾.

مقدمات ←سلطان فاسد ووزراء صالحون

« كان مؤيدا مظفرا منصورا فهابته الرعية ، فلما رأى ما هو عليه من الملك و السطوة عبث بالرعية،واستصغر أمرهم ،وأساء السيرة فيهم،وكان لا يرتقي حاله إلا ازداد عتوا »⁽⁷⁾.

تدعيم

« موقع الوزير الصالح من السلطان الفاسد:«ومن يبذل ودَّه ونصيحته لمن لا يشكره فهو كمن يبذر في السَّباح ، ومن يشر على المعجب فهو كمن يشاور الميت أو يسارَّ الأعمى »⁽⁸⁾.

نتيجة

« إنَّ وزراء الملك إذا كانوا صالحين و كان يطيعهم في أرائهم لم يضر في ملكه كونه جاهلا»⁽⁹⁾.

(1) كليلة ودمنة ، ص 154.

(2) المصدر نفسه، ص 148.

(3) المصدر نفسه، ص 143 .

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، ص 243 .

(6) المصدر نفسه، ص 111 .

(7) المصدر نفسه، ص 15.

(8) المصدر نفسه، ص 143

(9) المصدر نفسه، ص 223 .

إنَّ السِّرَّ هو المعرفة و العلم المقتصر على واحد، في أمر يتعلق بأفعاله أو مساهماته أو نواياه ، فإذا ما انتقلت هذه المعرفة إلى شخص آخر يطل كونه سرا، فطبيعة السر تأبى المشاركة، و توضح ذلك البنية الحجاجية الآتية :

الشيمة : الأسرار

مقدمات ← «وللأسرار منازل، منها ما يدخل فيه الرهط، ومنها ما يستعان فيه القوم، ومنها ما يدخل فيه الرجال، ولست أرى لهذا السرّ... أن يشارك فيه إلا أربعة آذان ولسانان»⁽¹⁾.

تدعيم ← مراتب الأسرار :

1- السرّ عند صاحبه لا يجاوزه: «اعلم أن عقل الرجل يستبين في هذه الثماني خصال:... والسادسة أن يكون لسره حافضا»⁽²⁾.

2- ما يدخل فيه الرجال : « السرّ إذا تكلم به لسانان صار إلى ثلاثة ، فشاع في الناس لا يستطيع صاحبه أن يحده »⁽³⁾.

3- ما يدخل فيه الرهط أو القوم : تشبيه اشتراك الجماعة في سرّ واحد بالغيم المتقطع :
«الغيم إذا كان متقطعا فقال أحد إن هذا غيم متقطع لا يكذبه أحد على ذلك»⁽⁴⁾.

نتيجة ← « و رأس الأدب حفظ السرّ»⁽⁵⁾.

ويتوقف كليلة ودمنة مرارا أمام نكران الجميل الذي تتميز به السلطة ، حتى أنه صار سمة ملازمة للملوك، و يعد نكران الجميل عند بيدبا خزيا و عارا و مظهرا من مظاهر الفجور .

الشيمة : السلطة و نكران الجميل

مقدمات ← « قبحا للملوك الذين لا عهد لهم و لا وفاء ، ويل لمن ابتلي بصحبة الملوك الذين لا ذمة لهم ولا حرمة ، ولا يحبون أحدا ولا يكرم عليهم إلا إذا طمعوا فيما عنده من غناء، واحتاجوا إلى ما عنده من علم فإذا ظفروا بحاجتهم منه فلا ود ، ولا إحاء ، ولا إحسان ، ولا غفران

(1) كليلة ودمنة، ص 221 ، 222 .

(2) المصدر نفسه ، ص 45 .

(3) المصدر نفسه ، ص 47 .

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

ذنب، ولا معرفة حق، هم الذين أمرهم مبني على الرياء و الفجور، وهم يستصغرون ما يرتكبونه من عظيم الذنوب، و يستعظمون اليسير إذا حولفت فيه أهواؤهم» (6).

تدعيم ← العقاب القائم على الشك: «إن الملك إذا عاقب أحدا عن ظنة ظنها من غير تيقن لجرمه فنفسه عاقب، وإيّاها ظلم، وكان ناقص البصيرة» (7).

التمثيل: «فبعض ما أوتيت من الفضل قد جعل لي فيه الهلاك، بعض المحاسن آفة لصاحبها، فإنّ الشجرة اللذيذة الثمار ربما كان أذاها في حملها فلويت أغصانها و هصرت أطرافها حتى تتكسر، والطاووس الذي ذنبه أفضله ينسل فيؤلمه، والفرس المطهم الجري ربما ركب حتى ينقطع، والبلبل الحسن الصوت يحبس دون غيره من الطير» (1).

نتيجة ← «لقد صدق من قال: كلما ازداد الإنسان في الخير اجتهدا كان الشر إليه أسرع» (2).

ولأهمية القضاء لتنظيم شؤون الدولة ومصالح المواطنين تطرق **كليلة ودمنة** إلى دور القاضي و عظمة مسؤوليته في إرساء استقرار الدولة، وتثبيت دعائمها، فالقاضي مؤتمن على حقوق الناس و أمنهم و أرواحهم، إلا أنّ القضاة ليسوا جميعا سواء، فمنهم الأمين، ومنهم المسيء للأمانة، حيث يعرض العامة للظلم و الدولة للأذى، و في البنية الحجاجية التالية نتعرف على **أصناف القضاة**:

مقدمات ← «أنا أرغب إلى الملك إن كان في شك من أمري أن يأمر بالنظر فيه، و يكون من يتولى ذلك لا تأخذه في الله لومة لائم» (3).

تدعيم ← صفات القاضي العادل:

1- «وإنّ أحق ما رغبت فيه رعية الملك هو محاسن الأخلاق ومواقع الصواب وجميل السير» (4).

2- «إنّ صالحى القضاة لا يقطعون بالظن، ولا يعملون به لا في الخاصة ولا في العامة، لعلمهم أنّ الظن لا يغني عن الحق شيء» (5).

3- «الخداع و المكر ليسا من أعمال صالحى القضاة و لا ثقة الولاة» (6).

4- «لا ينبغي أن يدافع عن ذنب الأثيم» (7).

(6) المصدر نفسه، ص 272.

(7) المصدر نفسه، ص 136.

(1) كليلة ودمنة، ص 141.

(2) المصدر نفسه، ص 168.

(3) المصدر نفسه، ص 169.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، ص 186.

(6) المصدر نفسه، ص 187.

(7) المصدر نفسه، ص 175.

نتيجة ← « إنا نجد في كتب الأولين أن القاضي العدل ينبغي له أن يعرف عمل المحسن و المسيء
ليجازي المحسن بإحسانه و المسيء بإساءته، فإذا ذهب إلى هذا ازداد المحسنون حرصا على
الإحسان، و المسيئون اجتنابا للذنوب » (8).

وحرصا من الفيلسوف بيدبا على التوجيه والهداية تنوعت مواضيعه، من المواضيع التي احتوتها نصوص
كليلة ودمنة غير مواضيع السياسة موضوع: المرأة، والتي هي على صنفين: 1- المرأة المحسنة
الآتية :

مقدمات ← ليس بحقيق أن يحزن على المرأة

تدعيم ← ميزاتها :

- 1- « شرّ الأزواج التي لا توافي بعلها » (1).
 - 2- « المرأة التي تحب ولدها ، و هو شاطر عارم ، فهي تستر أموره و تخفيها ، ثم هو
يكون تعبها لها و وبالا عليها » (2).
 - 3- « إنّ الذهب يجرب بالنار ، والرجال بالأخذ و العطاء ، و الدواب بالحمل و الجري ،
و لا يقدر أحد أن يجرب مكر النساء ، و لا يقدر على كيدهنّ و كثرة حيلهنّ » (3).
 - 4- « ثلاثة لا يجترأ عليها أهوج، ولا يسلم منها إلا القليل: ... وائتمان النساء
على الأسرار » (4).
- نتيجة ← « قلّما حرص الرجل على النساء و لم يفتضح » (5). « ما الإناث بأهل لأن يوثق بهن ، و لا
أن يسترسل إليهن » (6).

مقدمات ← كانت المرأة أهلا لأن يحزن عليها

تدعيم ← ميزاتها :

- 1- « المرأة عاقلة سديدة الرأي من الملكات التي ليس لها عدل في النساء » (7).
- 2- « عفيفة ، كريمة الحسب و النسب عاقلة جميلة موافقة لزوجها محبة له » (8).

(8) المصدر نفسه ، ص 186.

(1) كليلة ودمنة، ص 279.

(2) المصدر نفسه، ص 312.

(3) المصدر نفسه، ص 253.

(4) المصدر نفسه، ص 104.

(5) المصدر نفسه، ص 243.

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(7) المصدر نفسه، ص 307.

(8) المصدر نفسه، ص 312.

نتيجة ← « الزوجة الصالحة لا يعدلها شيء، لأنها عون على أمر الدنيا والآخرة »⁽⁹⁾، « لبيذل ذوو المال ما لهم... على الأزواج ، ولا سيما إن كن صالحات »⁽¹⁰⁾.

من البنى الحجاجية السابقة نستنتج مقصد المحاجج الفيلسوف بيدبا وغاياته في إقناع مخاطبه الملك ديشليم، وسواء أكان الحجاج من النوع الأول (الدفاع عن قضية)، أم كان من النوع الثاني (ضد أو مع إحدى قضيتين)، فإن هذه البنيات تجتمع في آخر المطاف لتجسد الصورة العامة أو الوحدة الدلالية الجامعة للكتاب ككل، وهي إرادة النصح والتوجيه وتصحيح سياسة الملك وإرجاع الملوك إلى جادة الصواب. وتجدر الإشارة أن دراسة الحجاج في **كليلة ودمنة** إنما تأتت من خلال جمع أمثلة متفرقة من الكتاب، على شكل استنتاجات وتدعيمات، إما بالتبرير أو التمثيل (بلاغي) أو الشرح والتفصيل أو الموازنة أو الجمع والتقسيم (البدعي) أو أحكام عامة أو محددة، لنصل في النهاية إلى نتيجة أو نتائج صريحة أو ضمنية تتوَّج البنية الحجاجية.

1-2- القيمة الحجاجية Valeur argumentative:

النص الحجاجي نص تقويمي، والقيم _ مع الدليل و مصادر معقولة الأشياء _ تكون المادة التفاعلية التي يقدر بها الناس الحجاج ، الذي يستحق منهم الموالاة ، على اعتبار أن النص الحجاجي _ كما يرى دي بوجراند و درسلر _ نص موظف لتقوية القبول، أو تقويم معتقدات و أفكار⁽¹⁾.

1-3- قوانين الخطاب Lois de Discours :

أكد ديكرو⁽²⁾ في العديد من مؤلفاته عل العلاقة الوطيدة بين قوانين الخطاب و الحجاج ؛ إذ تؤدي دورا أساسيا وفعالا في دلالة الأقوال المستعملة في الحجاج، وخاصة قوانين الشمولية و الإخبارية و الإفادة، ولأن الغاية من الحجاج هي التأثير على المستمع؛ فإن المحاجج يسعى بكل ما أوتي من أدلة و حجج يوجهها إلى المستمع، في حدود اهتماماته و قدرته على الفهم و الاستنتاج، وأيضا بحسب الفائدة المرجوة من الخطاب. وتأسيسا على ما يفرضه "مبدأ التعاون" الضامن لاستمرارية الحوار بين المتخاطبين، فإنه على المحاجج شدّ انتباه المستمع إلى كل ما يقدمه، سواء على مستوى المقدمات، أو التبريرات، أو الأدلة و الحجج، ليصل المستمع إلى النتائج المقصود إليها، ضمن إطار المحادثة المفيدة.

(9) المصدر نفسه، ص 252.

(10) المصدر نفسه، ص 254.

(1) أنظر التدعيم بالقيمة الحجاجية ضمن وسائل الإقناع المنطقية في هذا الفصل من البحث.

(2) أنظر : عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي ، ص 122، 123.

فهذا المبدأ الذي تفرضه طبيعة استمرارية الخطاب بين الطرفين يقتضي وجود تفاهم بينهما حول قدر معين من المعلومات والمعطيات والمفاهيم من شأنها أن تجعل المتلقي « متلقيا إيجابيا يتلقى ما يتلقاه ويفكر فيه ، ثم يرد ويناقش ويفند ويدعم، لينتقل من موقع المتلقي إلى موقع الإرسال، وينتقل المرسل من موقع الإرسال إلى موقع المتلقي»⁽³⁾.

هذا التبادل في الأدوار يبرز خاصية الحوار في الخطاب وقيمتها، وبخاصة أثناء الحجاج ؛ لما له من دور واضح في شدّ انتباه المتلقي، واستحضار تركيزه، و تقديرا لردود أفعاله تجاه ما يتلقاه ، لذا فإن طبيعة الحجاج طبيعة حوارية تخطابية.

1-2-2- ما يحيط بالنص الحجاجي: وتتمثل في مجموعة عوامل تساعد على تحديد طبيعة الخطاب، و ما يمكن أن يحتوي عليه من حجج ، وهي :

1-2-1- السياق Contexte: للسياق دور كبير و قوي «في صياغة الخطاب و تقنياته من حيث كونه رسالة تستهدف استمالة المتلقي والتأثير فيه »⁽¹⁾، فمعرفة علاقة موضوع الخطاب بزمانه ومكانه ، وبالمحيط الثقافي والاجتماعي والنفسي له ، يبرز الأبعاد الحجاجية داخل هذا الخطاب .

1-2-2- العلاقة بين المحاجج و المستمع: يؤكد طه عبد الرحمن في تعريفه للحجاج على الجانب الجدلي فيه ، يقول : « و حدّ الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية »⁽²⁾، وانطلاقا من البعد التحواري التبادلي للحجاج قسّمه إلى نماذج ثلاثة :

× النموذج الوصلي: يركز على الخصائص الترتيبية و الصورية (الدالية) للحجاج، دون اعتبار المقام التواصلية ، بمعنى أنه يغفل الفعالية الخطابية بقطبيها الأساسيان المتكلم و السامع .

× النموذج الايصالي: ويشغل بدور المتكلم ووظيفته في العملية الخطابية، دون مراعاة للسامع ، مستندا في ذلك على نظرية الأفعال اللغوية التي تتمركز حول الذات المتكلمة .

× النموذج الاتصالي: يستحضر هذا النموذج كلا من المتكلم و السامع في جو من التفاعل و الممارسة الخطابية في مقام حي، هذا الاشتغال المزدوج بالمتكلم و السامع يجعل من الحجاج بنية تداولية بامتياز⁽³⁾.

ويقترح بعض الباحثين نموذجا رابعا يراعى فيه ركنا العملية التواصلية ، و هما يؤديان وظيفة تواصلية لا اتصالية ، و هو **النموذج التواصلية**، والسبب في ترجيح هذا النموذج على سابقه هو أن نموذج الاتصال يركز

(3) جميل عبد المجيد ، البلاغة و الاتصال ، ص 117 .

(1) المرجع السابق ، ص 133 .

(2) طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تحديد علم الكلام ، ص 65 .

(3) طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 245 ، أنظر أيضا مؤلفه: التواصل و الحجاج ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، دت ، دط ، ص 6 .

على المتكلم بالدرجة الأولى، والسامع بالدرجة التالية، فحضوره تأكيد و إنجاح لحضور المتكلم. أما في النموذج التواصلية فيتم استحضار الركنين بشيء من الاستقلالية، حيث ننظر إلى السامع— كما هو الحال مع المتكلم —على أنه طرف مساو للمتكلم ، من حيث استقباله للحجة ، و مناقشتها ، واستعمالها إن اقتضى المقام لذلك .

كما أن معرفة العلاقة الموجودة بين المتكلم والمستمع تحدد طبيعة الخطاب، ذلك أن معرفة هذا المتكلم المحاجج وما يتصف به من صفات تساعد كثيرا على إبراز الطبيعة الحجاجية للخطاب.

ولا يقصد بذلك الشروط التي يجب أن تتوفر في المحاجج كي يؤثر في الآخرين؛ وإنما هي صفات معروفة من ذي قبل عن شخصية المتكلم، التي تمنح الحجاج سلطته انطلاقا من سلطة المتكلم نفسه، فهذه الميزة التي يتمتع بها الأفراد تشكل حجة في حد ذاتها، وقد تكون هذه السلطة ترغيبية مقرونة بفعل صاحبها «فحصول الاقتناع لدى المستمع لا يكون إلا بعد مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه، باعتباره دليلا و حجة مادية تنسحب على المتكلم ، و تزكي موقفه و تؤكد»⁽¹⁾. وبالمقابل فإن للمستمع دورا بارزا في تحديد ملامح الحجاج ؛ إذ يعدّ سببا في إنشائه إلى جانب الموضوع الخلاف بينه وبين المتكلم .

وفي كليلة ودمنة يتمتع المتكلم الفيلسوف بيدبا باحترام الجميع، وعلى رأسهم السلطة العليا ممثلة في شخص الملك دبشليم، الذي يعترف بقيمة العلماء و الحكماء وفضلهم: «إن كان للملوك فضل في مملكتها فإن للحكماء فضلا في حكمتها أعظم»⁽²⁾، والفيلسوف بيدبا، من خلال سمو شأنه وعلو مكانه في المجتمع، يعد حجة في حد ذاته، فهو قوة تفوق سلطتها سلطة الملك نفسه، إنَّها سلطة مكارم الأخلاق التي لا تبلى على مر الزمن . وأما ما يعرفه الفيلسوف بيدبا، باعتباره منشئ الحجاج، عن شخصية مخاطبه الملك دبشليم فيلخصها قوله: «اعلموا أنني أطلت الفكرة في دبشليم، وما هو عليه من الخروج عن العدل ولزوم الشر و رداءة السيرة وسوء العشرة مع الرعية»⁽³⁾، وكذلك ما تضمنته مصارحته للملك من أفعال تدل دلالة عينية على جورهِ و تعدّيه، يقول: «طغيت و بغيت، و عتوت و علوت على الرعية، و أسأت السيرة، وعظمت منك البلية»⁽⁴⁾.

ولأن المحاجج بيدبا على معرفة عميقة برفض الملك دبشليم لانتقاد سياسته في الملك عمد إلى أساليب حجاجية غير مباشرة، وهي في كليلة ودمنة الحكاية على ألسنة الحيوان ، أو بصيغة أخرى الحكاية المثلية ،

(1) عبد السلام عشير ، عندما تواصل نغير ، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، دط ، 2006 ، ص 134.

(2) كليلة و دمنة ، ص 20 .

(3) المصدر نفسه، ص 15 .

(4) المصدر نفسه، ص 26 .

فالحجاج ، وفقا لهذا التصور، يستعمل مقدمات وتبريرا ودعامة انطلاقا من تصوّره لطبيعة المستمع، ووردود أفعاله الممكنة والمحتملة، ولهذا فإن معرفة هذا المستمع الذي يوجه إليه الخطاب تمكن من تحديد ملامح الحجاج، من خلال مجموعة من الصفات التي تميزه عن غيره من المستمعين ، ولا يخفى على بيدبا إذ يسرد حججه مدى ذكاء مخاطبه الملك دبشليم في الوقوف على المعاني الخفية من وراء الخطاب، فحجج المتكلم تكون على قدر طاقة هذا المستمع.

× الحجاج و إستراتيجية الإقناع :

إن أهم المقاصد التي يرمي المحاجج الى تحقيقها من خلال النص الحجاجي إقناع المستمع، والتأثير فيه، و توجيه سلوكه وجهة معينة؛ أي «إحداث تغيير في الموقف الفكري و العاطفي»⁽¹⁾ لديه ، يعرف توماس شايدال (TH.Scheidel) الإقناع بأنه «محاولة واعية للتأثير في السلوك»⁽²⁾؛ فالإقناع ضرورة يتوسلها كل نص حجاجي ،على الرغم من أنه يمكن الفصل بين كل من الحجاج و الإقناع؛ إذ « يكون النص الخطابي نصا إقناعيا، ولكنه ليس نصا حجاجيا بالضرورة ؛لأنه لا يعبر عن قضية خلافية، يعني هذا أن كل نص حجاجي نص إقناعي، وليس كل نص إقناعي نصا حجاجيا»⁽³⁾، إذن يرتبط الإقناع بالحجاج في أنواع معينة من الخطاب، كالخطاب السردى و الخطاب الوصفى .

× وسائل الإقناع :

تختلف الاستراتيجيات الإقناعية بحسب العلاقة بين طرفي الخطاب، كما تختلف الآليات والأدوات المستخدمة في الإقناع، وذلك لاختلاف الحقول التي يمارس المتكلم أو المرسل فيها الإقناع مثل: الحقل العلمي، أو الاجتماعي ، أو السياسي.

1- الوسائل النفسية و الاجتماعية⁽⁴⁾

وتكمن في مجموعة سمات وشروط تتوفر في المتكلم المحاجج لغاية تهيئة المستمع لقبول النتائج المقصودة ، فأكثر تعلق المستمع بما أن الإرسالية شفاهية _«يرجع، أكثر ما يرجع ، إلى الإرسال نفسه، إلى الصورة و المظهر، ولو كانت الرسالة رسالة محاجة و مناظرة»⁽⁵⁾.

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 444 .

(2) محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، دراسة في وسائل الإقناع ، ص 45 .

(3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(4) من التداوليات المعاصرة : التداولية الاجتماعية و الفلسفية ، يمثلها الفيلسوف هابرماس (Haprmass) في مؤلفه "نظرية العمل الاتصالي" .

(5) جميل عبد المجيد ، البلاغة و الاتصال ، ص 148 .

بالإضافة إلى مقدار الحجج العاطفية التي يرسلها المحاجج إلى المستمع، معتمداً في ذلك على ظهوره بمظهر الصدق و الأخلاق الرفيعة و الطيبة، فيترتب عن ذلك بث الارتياح في الإنصات من قبل المستمع، وهذا ما يسميه أرسطو "الإيتوس" (Éthos) يقول: «فأما الكيفية و السمات فأن يكون المتكلم بنحو يجعله أهلاً بأن يصدق، ويقبل قوله»⁽⁶⁾، وينتج عن ذلك إثارة عواطف المستمع، وتوجيهها نحو مسار معين قصد الإقناع ؛ فالمحاجج لا يعتمد على الحجج العقلية دائماً ؛ إذ «القدرة على الحجج الجيد ؛ أي القدرة على الإقناع ، يقتضي المعرفة بما يمكن أن يحرك الذات التي تتوجه إليها بالخطاب»⁽⁷⁾.

ويمكن إحصاء أهم السمات و الشروط التي على المحاجج الفيلسوف بيدها الالتزام بما يأتي:

1- دراية المتكلم وقدرته على الإحاطة بالمستمع الذي يوجه إليه خطابه المحاججي، و رصيده الثقافي الحضاري، وتطلعاته وطموحاته ؛ لأنَّ الخطأ في تصوّر هذا المستمع لا يوصل إلى النتائج المرجوة، فقد تكون عكس ما قصد به من البداية، و في **كليلة ودمنة** أخطأ الفيلسوف بدايةً السبيل إلى ردع الملك، فكاد أن يقتل، ثم أتيحت له الفرصة لتصحيح الخطأ، وانتهاج الطريق الأصوب لتسيير حججه الوجهة التي تضمن اقتناع الملك ، و تأثره بالخطاب الموجه إليه .

2- حسن تلاؤم موضوع الخطاب المحاججي مع المقام، خاصة ما تعلق بالزمان والمكان، و بالفعل فإن ما احتوته نصوص **كليلة ودمنة** من نصائح و إرشادات إنَّما كانت وليدة الواقع المرير الذي يعيشه أبناء المجتمع نفسه الذي ينتمي إليه المحاجج بيدها، فالملوك الطغاة من أمثال **دبشليم** أحوج من غيرهم إلى مثل **كليلة ودمنة**، خطاب ضمني تتوارى المقصدية من وراء تأليفه، وقد توسل المحاجج فيه بالإستراتيجية الضمنية خوفاً من النتائج غير المرغوب فيها المتولدة عن التصريح .

3- اختيار المتكلم للمقدمات المعتمدة في الحجج، على أساس قضايا احتمالية، قابلة للحوار والنقاش، تمكن من شدّ انتباه المستمع، لأنَّه إذا لم يتوافق معها من بداية الطرح فإنه لا يقبل نتائجها، على أن النتائج في **كليلة ودمنة** أمر مفروغ منه ، على اعتبار موافقتها للمنطق و للأخلاق التي هي موضع إجماع العامة و الخاصة.

4- سعي المتكلم إلى تحقيق "مبدأ التعاون" أثناء الخطاب ، كي لا يصبح الحجج فرضاً وإلزاماً على المستمع؛ بل يترك المجال بين الأخذ والردّ في الحوار ليتمكن عقل المستمع من الاندماج في الموضوع ، وإعمال الفكر للاستنتاج والاستنباط ، وفي **كليلة ودمنة** فإنَّ الخطاب انبنى وفق هذا المبدأ ، فالملك يسأل و يعيّن الموضوع الذي يجب أن يتكلم فيه الفيلسوف بيدها ، إلى الحد الذي يمكن القول فيه أنه المنتج لفصول الكتاب

(6) أرسطو طاليس ، الخطابة ، تح: عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات الكويت ، دار القلم بيروت ، دط ، 1997، ص 10.

(7) محمد الولي ، من بلاغة المحاجج إلى بلاغة المحسنات، مجلة نقد و فكر ، ع 8 ، دار النشر المغربية ، 1998، ص 124.

أو أبوابه، يقول بيدبا :» و قد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان الأمور ، وشرحت لك جواب ما سألتني عنه «⁽¹⁾.

5- اعتماد المتكلم المحاجج لغة طبيعية، مع حسن تأديتها بعيدا عن الانفعال والتكلف، غايتها استمالة مشاعر المستمع من خلال مخاطبة وجدانه وعواطفه .

6- ولأنّ كليله ودمنة خطاب شفاهي فلا يصعب تخيل كيفية استعمال المتكلم المحاجج بيدبا لإشارات وحركات محددة ومنتقاة أثناء التخاطب؛ والتي من شأنها أن تؤدي وظائف إيهامية وتأثيرية في الملك دبشليم إلى جانب ما تؤديه الألفاظ والعبارات من دلالة، ومن هذه الإشارات (حركات الرأس ، والحاجبين ، واتجاه النظر...) ، وأما باعتبار كليله ودمنة نصا مكتوبا فإنّ مفردات اللغة ودلالاتها تقوم مقام الإشارات والحركات .

7- إبراز المتكلم المحاجج بيدبا لمدى اقتناعه بصحة ما يقصد من نتائج وظهور ذلك في واقعه العملي والملموس، فكما أنّ للحيوانات مملكات هي أشبه بعالم الإنسان، وما يقع على الحيوان يقع على الإنسان، فالملك دبشليم لا يستطيع إنكار ما احتوته من حقائق تخص تنظيم أفراد المجتمع و ضمان حقوقهم و صيانة كرامتهم ، فهذه القيم الذي عمد بيدبا إلى ترسيخها و تقديم الحجج التي تثبتها هي قيم راسخة منذ الأزل، و قد انتهكها الملك دبشليم ، فالظلم واقع إذن ، و كذلك نتائجه وخيمة على أبناء الوطن .

2- الوسائل المنطقية :

2-1- التدعيم (الدعامة):» وهو كل ما يقدمه المحاجج من الأدلة المنطقية، أو الشواهد الخاصة والإحصاءات.. إلخ «⁽¹⁾ إلى المستمع ليزيد من إقناعه وتصديقه بصحة النتائج، وقد يكون هذا التدعيم من خلال:

2-1-1 - التدعيم بالدليل : وهو إضافة مادة مدعمة لدعوى الحجاج بإحدى الطرق الآتية :

أ- الأدلة التاريخية: تتمثل في توظيف حادثة تاريخية ، لا يختلف حولها المحاجج والمستمع ، فيدرجها المحاجج دليلا على صحة دعواه ، وفي كليله ودمنة استقى الفيلسوف بيدبا حجته للتأثير على الملك دبشليم من تاريخ أجداده، الذي لا يتنازع اثنان حول ما عرف عنهم بالصلاح وحسن السيرة مع الرعية، يقول:» أيها الملك، إنّك في منازل أبائك و أجدادك من الجابرة، الذين أسسوا الملك قبلك، وشيدوه دونك، وبنوا القلاع و الحصون، ومهدوا البلاد، وقادوا الجيوش، و استجاشوا العدة ، وطالت لهم المدة، واستكثروا من السلاح و الكراع، و عاشوا الدهور في الغبطة و السرور، فلم يمنعهم ذلك من اكتساب جميل الذكر، ولا قطعهم عن اغتنام الشكر و استعمال الإحسان إلى من حولوه، والرفق بمن ولوه، وحسن السيرة فيما تقلدوه، مع عظم ما كانوا فيه من غرة الملك، وسكرة الاقتدار «⁽²⁾.

(1) كليله و دمنه ، ص 335 .

(1) محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، دراسة في وسائل الإقناع ، ص 44 .

(2) كليله و دمنه ، ص 25 ، 26 .

فقد عمد بيدبا لبيان صحة دعواه إلى الاستشهاد بتاريخ الملوك الذين سبقوا الملك دبشليم ، و لذلك يدعوه إلى الاقتداء بهم، يقول :« الأولى و الأشبه بك أن تسلك سبيل أسلافك، و تتبع آثار الملوك قبلك ، و تقفو محاسن ما أبقوه لك »⁽³⁾، و بيدبا من خلال استشهادهم واثق بعدم رفض الملك لها .

ب- الشواهد الخاصة : وتكون من محيط طرفي الخطاب الحجاجي، كالوقائع والأخبار والأمثلة والقصص؛ ومن ذلك التوسل بالحكاية المثلية كأداة للمحاجة أو كإستراتيجية⁽⁴⁾ حجاجية .

وقد عدَّ ابن وهب الأمثال وسيلة من وسائل الإبانة و التعبير، يقول:«...وأما الأمثال و القصص ، فإنَّ الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون الأمثال، ويبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر و الأشباه و الأشكال، ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلباً، وأقرب مذهباً، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَكَانَ صَرْفَتَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [سورة الإسراء، آية 89]...و إنما فعلت العلماء ذلك لأنَّ الخبر في نفسه إذا كان ممكناً فهو يحتاج إلى ما يدل على صحته ، و المثل مقرون بالحجة ، و لذلك جعلت القدماء أكثر آدابها و ما دونته من علومها بالأمثال و القصص عن الأمم، ونطقت ببعضه على ألسنة الطير و الوحش، وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة لذكر عواقبها، والمقدمات مضمونة إلى نتائجها »⁽¹⁾

يبين ابن وهب في هذا القول ارتباط الأمثال بالقصص، وغايتها عنده إبراز النظائر و الأشباه، حتى يأخذ المستمع العبرة من ذلك ، كذلك يشير إلى قصص الحيوان، وهو ما يعيننا، و الذي اشتهر به على وجه الخصوص كـ **كليلة و دمنة**، حيث يضرب الكاتب الأمثال على ألسنة الحيوانات والطير، ومن ثم فهذه القصص لم تأت عبثاً، وليست غايتها التسلية ؛بل تهدف إلى الوعظ و الإرشاد. ويمكننا اعتبار المثل في هذا الكتاب **خبراً حجاجياً توصيلياً** ؛لأنَّ التوصيل فعل الاتصال الملح، الذي لا يكتفي بآلية واحدة للوصول؛بل قد تتفرع أوجه تظهره، فقصة المثل هي الخبر، والمثل كشكل من أشكال الخبر ، والتوصيل مخبر عبره .

الخبر، إذن ، في ارتباطه بالمقوم الصيغي يمثل جنساً عاماً تندرج تحته كل الأنواع الأخرى ذات الصيغة الإخبارية، إلاَّ أنَّ تداول المفهوم ضمن الثقافة العربية القديمة، وارتباطه بمصنفات بعينها جعله يفقد هذه الدلالة الشمولية كجنس عام، ليتخصص بعض الشيء، ويشغل في توازن نسبي مع مفاهيم ترادفه، وهي: القصة، الحكاية السيرة، ومن ثم فقد مبدأ الثبات الكلي الذي يمكن أن تمنحه له الصيغة الإخبارية ليحل محله مفهوم آخر شمل هذه المفاهيم جميعاً و يمكن أن يرقى إلى مفهوم "صيغي" وهو " القصص " «حيث أصبح يتضمن كل فعل

(3) المصدر نفسه ، ص 26 .

(4) الإستراتيجية هي في الأصل لفظة عسكرية ، لكنها اليوم تمتد عبر مجالات معرفية متعددة و متنوعة ، وهي بشكل عام : «فن توزيع مختلف الوسائل و استخدامها ، لتحقيق هدف ، عبر مراحل متدرجة زمنياً » ، أبو الزهراء ، دروس الحجاج الفلسفي ، مجلة الشبكة التربوية الشاملة فيلومرتيل ، 2008 ، ص 12.

(1) أبو الحسن اسحق بن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، تقديم و تحقيق : حفي محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، عابدين ، مصر ، دت ، ط 1 ، ص 117 ، 119 .

إخباري، سواء كان حكايا، أو سيريا ، أو غير ذلك وتحت مفهوم "القص" يقع " الخبر " كمفهوم يحيل على الوحدات القصصية البسيطة »⁽²⁾.

فالسرد هو معنى عام جامع يمكن أن يتضمن كل كلام ذي طبيعة إخبارية ، كذلك يعد الخبر « نوع ثابت ونواة مركزية في كل عمل سردي، وتطوره يجعله يتحول من شكله البسيط إلى شكل مركب، أكثر تعقيدا و تفصيلا، يفقده نسبيا خصوصياته النوعية، ويدفعه بالضرورة إلى الاندماج في نوع آخر، قد يكون " قصة " أو " حكاية " »⁽³⁾.

إنّ كتاب **كليلة ودمنة** جاء في صورة تمثيلية ، بمعنى أنّها تتخذ المثل وسيلتها للتوصيل، فهي قصص امتزجت فيها الأخبار بالأمثال، و ذلك لحجية المثل، و دلالة على صحة الخبر في ذهن المتلقي، و من ذاك :

« قال دمنة : لا تنظر إلى صغري و ضعفي، فإن الأمور ليست بالضعف و لا بالعوه، ولا الصعر و لا الكبر في الجثة، فربّ صغير ضعيف قد بلغ بحيلته و دهائه و رأيه ما يعجز عنه كثير من الأقوياء. أو لم يبلغك أن غرابا ضعيفا احتال لأسود حتى قتله ؟

قال كليلة : و كيف كان ذلك ؟

مثل الغراب و الأسود الثعبان و ابن آوى

قال دمنة: زعموا أن غرابا كان له وكر في شجرة على جبل، وكان قريبا منه جحر ثعبان أسود، فكان الغراب إذا أفرخ عمد الأسود إلى فراخه فأكلها. فبلغ ذلك من الغراب فأحزنه، فشكا ذلك إلى صديق له من بنات آوى ، وقال له: أريد مشاورتك في أمر قد عزمت عليه، قال: و ما هو ؟

قال الغراب : قد عزمت أن اذهب إلى الأسود إذا نام فأنقر عينيه فأفقاها لعلّي أستريح منه .

قال ابن آوى: بنس الحيلة التي احتلت، فالتمس أمرا تصيب فيه بغيتك من الأسود من غير أن تغرر بنفسك و تخاطر بها ...

قال الغراب : و ما ذاك ؟

قال ابن آوى : تنطلق فتبصر في طيرانك لعلك تظفر بشيء من حُلِيّ النساء فتخطفه ، و لا تزال طائرا واقعا بحيث لا تفوت العيون ، فإذا رأيت الناس قد تبعوك تأتي جحر الأسود فترمي بالحلي عنده ، فإذا رأى الناس ذلك أخذوا حليهم ، و أراحوك من الأسود . فانطلق الغراب محلقا في السماء، فوجد امرأة من بنات العظماء على شاطئ نهر تغتسل ، و قد وضعت ثيابها و حليها ناحية ، فانقض و اختطف من حليها عقدا ، و طار به . فتيّعه و لم يزل طائرا واقعا بحيث يراه كل أحد حتى انتهى إلى جحر الأسود فألقى العقد عليه ، و الناس ينظرون إليه . فلما أتوا أخذوا العقد و قتلوا الأسود .

(2) سعيد جبار ، الخبر في السرد العربي ، الثوابت و المتغيرات ، شركة المدارس للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2004 ، ص 96 .

(3) المرجع نفسه ، ص 97 ، 98 ، 101 .

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الحيلة تجزئ ما لا تجزئ القوة⁽¹⁾.

فالتمثيل في كلیلة ودمنة قائم على مقصدين⁽²⁾ :

1_الإخبارية : و ذلك انطلاقا من عناصر الإخبار ، و المتمثلة في :

أ_ الخبر: «إن الأمور ليست بالضعف و لا بالقوة ،ولا الصغر و لا الكبر في الجثة ، فربَّ صغير ضعيف قد بلغ بحيلته و دهائه و رأيه ما يعجز عنه كثير من الأقوياء»⁽³⁾.

ب-المخبر : دمنة .

ج-المخبر إليه: كلیلة .

د-المخبر عبره: مثل في صورة قصة متكاملة العناصر ، وهي هنا حُجَّة مصدقة للخبر .

فلا يخفى علينا ما لهذه العناصر المتوفرة في هذا المثل وفي غيره من كتاب كلیلة ودمنة من قدرة عالية على خلق تواصل منتج و خلّاق بين كل من الباث و المتلقي، كذلك لا يخفى على القارئ ما لهذا الأسلوب في الإفهام من تأثير على السامع، وتوجيه موقفه نحو الاقتناع المقرون بالإمتاع، يقول طه عبد الرحمن: «وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فتكون... أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يهبه هذا الإمتاع من قوة استحضار الأشياء ، و نفوذ في إشهادها للمخاطب كأنه يراها رأي العين»⁽¹⁾.

فضلا عن تحريكه لذاكرة المتلقي و خياله ليستحضر القصة المفترضة للمثل، ولأنَّ كلیلة ودمنة من كتب النصح السياسي، أو ما يسمى بالآداب السلطانية، فإنَّ طبيعة هذا النص تتخذ مقصديات شتى تختلف أشكال تمظهرها، و قد تواجدت المقصدية الإخبارية هنا في شكل أمثال ؛ إذ لم يجد القدماء حرجا من توظيفها في السياسة، بغرض النقد والتوجيه دون استعمال للكلام الجارح «لا يكن يكتم صاحبه نصيحة وإن استقلها، ولم يكن كلامه كلام عنف و قسوة، ولكنّه كلام رفق و لين، حتى إنه ربما أخبره ببعض عيوبه، ولا يصرح بحقيقة الحال؛ بل يضرب له الأمثال، و يحدثه بعيب غيره فيعرف عيبه، فلا يجد ملكه إلى الغضب سبيلا»⁽²⁾.

2-التوصيلية : لم ينفرد مصطلح التوصيل بمفهوم خاص يميزه عن المصطلحات التي تشاركه الجذر

اللغوي الواحد " وصل " ، و إن لم تخرج كلها عن مفهوم الاتصال و التواصل (Communication). بيد أنّه مصطلح «يكتنفه بعض الغموض بسبب غناه المعجمي، نظرا لدخوله في علاقة ترادف واشتراك مع مجموعة من

(1) كلیلة و دمنة ، ص 123 ، 124 ، 125 تجزئ : تغني و تكفي.

(2) أنظر مداخلة الأستاذة هاجر مدقن ، المثل في كتاب كلیلة و دمنة بين الإخبارية و التوصيلية ، تقريب تداولي ، أشغال الملتقى الدولي الرابع تحليل الخطاب ، فيفري 2009، تيزي وزو ، الجزائر ، ص 238 .

(3) كلیلة و دمنة ، ص 123.

(1) طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تحديد علم الكلام ، ص 226 .

(2) كلیلة و دمنة ، ص 249 .

المصطلحات التي تشاركه في الدلالة، سواء من حيث الجذر، أو من حيث الحقل الدلالي، وذلك مثل: التواصل، الإيصال، الاتصال، الوصل، الإبلاغ، الإخبار، النخاطب (أو المخاطبة)، التحوار (أو المحاور)، و هلم جرا «(3).

وعلى كل فإن المقصدية التوصيلية في **كليلة ودمنة** تتوضح من خلال استثمار آليتي المحاوره الخاصتين بالخطاب الحجاجي التداولي في هذا الكتاب، وهما: التشخيص و المقام (4).

ج- الإحصاءات: يلجأ المحاجج، و على حسب طبيعة موضوع الحجاج، إلى استعمال النسب المئوية والأرقام للتدليل على دعواه، وعلى الرغم من أهمية هذا الجانب في تقوية الحجاج إلا أنه غير وارد في **كليلة ودمنة** إلا ما جاء ضمنا عند الاستشهاد بأقوال العلماء، فالجمع هنا دال على كثرتهم، وذلك كفيل بتقوية الحجج التي نسبها إليهم ببدا، وهو أشبه بما يعرف بالإجماع، الذي هو أحد أهم مصادر التشريع الإسلامي، فمكارم الأخلاق موضع إجماع و اتفاق العلماء، أينما كانوا، و في أي زمن عاشوا.

2-1-2- التدعيم بالقيمة الحجاجية: تمثل القيمة الحجاجية الحكم المستفاد من وراء كل حجاج، وترتبط بما يدركه المستمع من هذا الحجاج، أو مما يطلب منه فعله، لذلك فإن وراء كل حجاج قيمة يدركها المتلقي، والتي تنعكس على مستوى قناعاته و معتقداته، ثم على مستوى سلوكه و تصرفاته.

وتتعلق القيمة الحجاجية بمعايير عدة يرتبط بعضها بالمجتمع؛ إذ تعدُّ « مفهومًا يستخرج مما يقوله الناس، و مما يفعلونه، و مما تبنيه المجادلات » (1)، كما تتعلق بمقاصد المحاجج في إظهاره لتلك القيمة أو إخفائها، وسواء أكانت صريحة أم ضمنية داخل الحجاج، فإن المستمع يستنتجها ويستنبطها. لذا يسعى المحاجج إلى اعتماد القيم التي « يكون فيها تمسك الناس قويا، أو التي تتسم بالشمولية » (2)، لتوصل إلى نتيجة الحجاج، كما تتعلق بشخصية المحاجج و نظرة الناس إليه، ومدى قدرته على إقناعهم و التأثير فيهم بما يتميز به من صفات.

وبالنسبة لكتاب **كليلة ودمنة** فإن أهم القيم الواردة فيه؛ بل القيمة المحورية للكتاب هي قيمة تقديس العلم والعلماء، تبناها الفيلسوف ببدا كأرضية صلبة للحجاج مع الملك، لذلك ما تلبث شخصيات الكتاب الحيوانية والإنسانية أن تعود إلى هذه القيمة كلما لزم الأمر، فقد تكررت عبارات من قبيل: **قالت العلماء... فالعلماء قالوا ... والعلماء كتبوا ... كقيمة مطلقة على جل قصص الكتاب.**

(3) عمر أوكان، اللغة و الخطاب، ص 35.

(4) وهما فعاليتان تداوليتان تنكشف في ظلهما و من خلال تحليلهما المقصدية من كتاب **كليلة ودمنة**، أنظر الفصل الثاني من هذا البحث.

(1) محمد العبد، النص الحجاجي العربي، ص 53.

(2) المرجع نفسه، ص 54.

إذ لم يحتكر بيدبا جهدا إلا ووظفه ضمن إستراتيجيته الاقتناعية للملك، من أجل تغيير نهجه في سياسة رعيته، فضمّن مقدمته مجموعة قيم يتعيّن على أيّ إنسان في مرتبة الملك الاتصاف بها، ليُشهد له بالرشد، وليستمر حكمه، يقول: «إني وجدت الأمور التي اختص بها الإنسان من بين سائر الحيوان أربعة أشياء، وهي جُماعُ ما في العالم، وهي: الحكمة والعفة والعقل والعدل، والعلم والأدب و الروية، داخله في باب الحكمة. والحلم والصبر والوقار، داخله في باب العقل ، والحياء والكرم والصيانة والأنفة، داخله في باب العفة. والصدق والإحسان والمراقبة وحسن الخلق داخله في باب العدل. وهذه هي المحاسن، وأضدادها هي المساوئ»⁽³⁾.

إنّ تذكير بيدبا للملك بهذه القيم هو من باب أولى محاولة إفهامه أنّها قيم مفقودة فيه، وذلك بسبب تجبره و ظلمه ، واعتماد بيدبا القيم بالذات لأنّها « تمثل سنداً أساساً لتطوير أي حجاج ، والسير به نحو نتائج مقبولة، إنّ التذكير بها في حد ذاته يعد حجة»⁽⁴⁾ . كذلك أورد بيدبا قيما على ألسنة العلماء، يقول: «وَحَكِي أن أربعة من العلماء ضمهم مجلس ملك فقال لهم: ليتكلم كل منكم بكلام يكون أصلاً للأدب. فقال أحدهم : أفضل خلة العلماء السكوت .

و قال الثاني: إنّ من أنفع الأشياء للإنسان أن يعرف قدر منزلته من عقله .

و قال الثالث : أنفع الأشياء للإنسان ألا يتكلم بما لا يعنيه .

و قال الرابع: أرواح الأمور للإنسان التسليم بالمقادير⁽¹⁾ .

هذه القيم و إن ظهرت على أنّها للعلماء و لغيرهم من الناس، فإنّ بيدبا يقصد بها الملوك بالذات، والدليل على ذلك ما تبع هذا الكلام من استشهاد بأقوال ملوك أكبر البلدان وأعظمها في ذلك الزمان.

يقول : اجتمع في بعض الزمان ملوك الأقاليم: من الصين، والهند، و فارس، و الروم، و قالوا ينبغي

أن يتكلم كل منا بكلمة تدون عنه على غابر الدهر .

قال ملك الصين: أنا على ما لم أقل أقدرُ منّي على ردّ ما قلتُ.

قال ملك الهند : عجبتُ لمن يتكلم بالكلمة ، فإن كانت له لم تنفعهُ ، و إن كانت عليه أوبقتَه.

قال ملك فارس: أنا إذا تكلمت بالكلمة ملكتي، و إذا لم أتكلم بها ملكتها .

قال ملك الروم: ما ندمت على ما لم أتكلم به قط، و لقد ندمت على ما تكلمت به كثيراً⁽²⁾.

كذلك فإنّ القيم التي احتوتها نصوص قليلة ودمنة سواء كانت مصرحاً بها أو ضمنية هي قيم نابعة من رحم المجتمع ، نلمس فيها غاية الحجاج ، ورغبة المحاجج في ترسيخها ، و حرصه على الدعوة إلى الالتزام

(3) كليلية ودمنة ، ص 22 ، 23 .

(4) P ,Breton , L argumentation dans la communication ; 3edition , p51.

(1) كليلية ودمنة ، ص 23 ، 24 .

(2) المصدر نفسه ، ص 24 .

بها. وقد تتدخل بعض العوامل المتعلقة بالحاجج - نفسه - في إبراز القيمة الحجاجية، من ذلك ما يتصف به وما يميزه عن غيره من الناس، و الرسالة التي يؤديها في الحياة تبرز غايته من الحاجج ، وتفصل بين مصلحة عامة وأخرى خاصة نفعية ، و الفيلسوف يبدأ كما هو على لسان الملك دبشليم: « من أفضل أهل زمانه ...الحكيم الفاضل ... حكيم الهند و فيلسوفها »⁽³⁾، كما أنه بشهادة تلاميذه «الفيلسوف الفاضل، والحكيم العادل، أنت المقدم فينا، و الفاضل علينا، و ما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك، وفهمنا عند فهمك ؟ »⁽⁴⁾.

فمعروف منذ الأزل أن العلماء والفلاسفة لا يلهثون وراء حطام الدنيا، ولكي تؤدي النصيحة ثمارها، و يستقيم مسارها يتعين التأكد من صدقها، وألاً يشوبها شيء من الملق، أو يكون للناصح فيها منفعة شخصية، أو هدف يتعارض مع هدف النصيحة الأساسي، ولذلك فإن سلامة نية الفيلسوف يبدأ تجاه الملك دبشليم تعدُّ مطلباً أساسياً لنجاح النصيحة، وتأثيرها فيه، وخلق بالملك أن يكون له من نفسه ناصح، بحيث يزن النصيحة بميزان عقله، و يغربلها على ضوء إخضاعها للمفاضلة العقلية حتى تستبين له حيثياتها، وتكشف له حدودها وقيودها، ومن ثم يتأكد من صحتها طبقاً لما ينتج منها من دلائل تنسجم مع قناعاته .

2-1-3- التدعيم بالمصادقية: و تمثل قدرة الحاجج على الالتزام بصدق ما يقصده، و بالتأنيج المراد استمالة المستمع إليها، فبمقدار ما يظهر هذا الصدق في الالتزام عند الحاجج بقدر ما يُصدق المستمع دعوى الحاجج، و يلمس هذا الصدق في الالتزام من خلال الطريقة التي يعبر بها الحاجج ، إمّا بطريقة مباشرة يذكر فيها نفسه وحاله في الالتزام بالتأنيج التي يقصدها ، ودليل ذلك قول الفيلسوف يبدأ: « فانظر، أيها الملك، فيما ألقيت إليك، ولا يثقلن ذلك عليك، فلم أتكلم بهذا ابتغاء غرض تجازيني به، و لا التماس معروف تسوقه إلي، ولكني أتيتك مشفقاً عليك »⁽¹⁾، و قوله في خاتمة الكتاب: «وقد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان الأمور، وشرحت لك جواب ما سألتني عنه منها تزلفاً إلى رضاك، و ابتغاء لطاعتك فأبلغتك في ذلك غاية نصحي... والله تعالى يقضي حقي بحسن النية منك»⁽²⁾؛ إذ يجسد كلامه قيمة صدق المتلقي تجاه الله ، و تجاه نفسه ، و تجاه مخاطبه الملك دبشليم ، مما يدفع هذا الأخير إلى تصديق دعواه التي يطرح. وإما بطريقة غير مباشرة يستعمل فيها طرفاً آخر، ملتزماً بالدعوى كدليل وحجة على صحة المقصود ، و ذلك من خلال الشخصيات الحيوانية الخيرة في كليله ودمنة ، والتي لا تنطق إلا بحكمة ، كما أنها صادقة تجاه الآخر في أقوالها و أفعالها.

2-2- القياس (Syllogisme): الذي هو في اللغة التمثيل و التشبيه، وصوره كثيرة نقتصر على ما يتطلبه البحث منها :

(3) المصدر نفسه ، ص 21-29-33 .

(4) المصدر نفسه ، ص 18 .

(1) كليله ودمنة ، ص 27 .

(2) المصدر نفسه ، ص 335 ، 336 .

2-2-1- القياس المضمّر Syllogisme Implicite

وهو قياس ناقص تكون إحدى مقدماته محذوفة (مضمرة) في الظاهر اللفظي، يتم استرجاعها على صعيد المعنى بفضل العقل، لذا يتوجب على المستمع التركيز و الانتباه و اليقظة آن تلقي الخطاب، والقياس المضمّر ضرب من القياس ، يبيّن مقدماته على الاحتمال و الظن، بخلاف القياس المنطقي الذي يقوم على الاستنتاج العلمي الصارم، وعلى مقدمات يقينية و منطقية. ويعد القياس المضمّر القياس الأكثر ترددا في الخطاب و في المبادلات الشفوية، مقارنة بالأقيسة الأخرى ، فهو إذن مفهوم خطائي لا منطقي⁽³⁾.

يتضح أن هذا النوع من القياس يندرج ضمن ما يسمى في التداولية بـ **مضمّنات القول** (Les implicites) المبنية أساسا على التخمين و الاحتمال ؛ بل و المغالطة في بعض الأحيان، و لكن كفاءة المحاجج واستيعاب المستمع للخطاب كفيلة بأن تجعل المحجج ترقى من رتبة الظن إلى رتبة اليقين، وهذا هو صميم العملية الاستدلالية. وغالبا ما يكون شكل القياس المضمّر على النحو الآتي:

مقدمة كبرى (محذوفة).

مقدمة صغرى (مذكورة).

نتيجة

(مذكورة).

وفي كليلة و دمنة يعدّ مغزى الحكاية مقدمة كبرى فمرجعها إلى الملك دبشليم، وهي مقدمة ضمنية مقدرة. بمضمون المقدمة الصغرى والنتيجة معاً، والتي تبدو كأمر حتمية ناتجة عن أحداث و مجريات القصة، كما يظهر دور المقدمة الصغرى جلياً، على الرغم من حذف المقدمة الكبرى؛ فالمقدمة الصغرى تمثّل حجة ودليلاً على النتيجة المقصودة، مما يجعل المتلقي يشارك بذهنه ويقظته في ربط المقدمات واستخلاص النتائج التي تحيل له ضمناً أنه المقصود من حكايات الكتاب جميعاً. و يمكن التمثيل للقياس المضمّر من خلال النموذج التالي:

مقدمة كبرى (محذوفة) ← أي من هؤلاء ينتمي الملك دبشليم ؟

مقدمة صغرى (مذكورة) ← التدعيم : مثل السمكات الثلاث⁽¹⁾

نتيجة (منهكورة) « الرجال ثلاثة : حازم و أحزم منه و عاجز، فالحازم من إذا نزل

به الأمر لم يدهش له، ولم يذهب قلبه شعاعاً، و لم تعي به حيلته و مكيدته، التي يرجو بها المخرج منه، وأحزم من هذا المقدم ذو العدة الذي يعرف الابتلاء قبل وقوعه، فيعظمه إعظاماً، ويحتال له حيلة، حتى كأنه قد

(3) R .Amossy , L'Argumentation dans le discours , Nathan, 2000. P 118.

(1) طالع الحكاية ، كليلة و دمنة ، ص 130 ، 131.

لزمه ، فيحسم الداء قبل أن يتلى به، ويدفع الأمر قبل وقوعه، وأما العاجز فهو في تردد و تمن و توان حتى يهلك»⁽²⁾.

وانطلاقاً من المثال السابق فإنَّ المقدمة الكبرى محذوفة أو بالأحرى متضمَّنة في الخطاب أو مقدِّرة بمضمون المقدمة الصغرى والنتيجة معاً، والتدعيم في البنية الحجاجية السابقة يمثّل المقدمة الصغرى في القياس الذي يحتاجه المحاجج بوصفه وسيلة تأثيرية منطقية دلالية تربط المنطلق بالنتائج المقصودة ، وعليه فبقدر ما يختار المحاجج بيّداً حجّة بعينها لنتيجة محددة ، بقدر ما تتغيّر هذه النتيجة في ذهن المتلقي الملك دبشليم ، ليختار هذا الأخير في أي خانة يصنّف نفسه قياساً على أن أصناف البشر واحد من هؤلاء .

2-2-2- القياس التمثيلي: وهو استنتاج نتيجة ما بالنظر إلى نهاية شبيهتها، ويشمل القياس التمثيلي عند علماء العرب التشبيه والاستعارة ، ولقد أشار السكاكي إلى هذا النوع من الأقيسة ، يقول: «و منها التمثيل، وهو تعديد الحكم من جزئي إلى آخر لمشاهدة بينهما، وإنه أيضا مما لا يفيد اليقين، إلا إذا علم بالقطع أن وجه الشبه هو علم الحكم»⁽³⁾، فيما تتناوله الدراسات الغربية الحديثة باعتباره تقنية أساسية من التقنيات الحجاجية .

ويندرج ضمن هذا النوع ما يسمى "القياس التمثيلي التاريخي"، ويستعمل كثيراً لاعتماده على أمثلة من الواقع، تثير الانتباه و تكون أكثر تصديقا و إقناعا، ففي كليلة ودمنة تقوّت حجج الفيلسوف بيّدا حينما ذكّر الملك دبشليم بدوام حكم آبائه و أجداده؛ لأنّه لو لم يكن كذلك لما وصل إليه.

3- الوسائل البلاغية :

لقد أدى الاهتمام بالدرس البلاغي في العصر الحديث إلى إفراز طروحات علمية مغايرة، أدّت إلى ظهور ما يسمى اليوم بالبلاغة الجديدة ، والتي لاقت نجاحها كما يرى إيفانوكس من اعتمادها «على العلاقة اللازمة بين البلاغة ودراسة وسائل الإقناع»⁽¹⁾، وعلى أية حال « فإننا نعيش لحظة إستراتيجية الإقناع و التركيز على أدوات الحضور»⁽²⁾، وفي رحاب هذا التحول أضحي الحجاج مطلباً أساسياً في كل عملية اتصالية تستدعي

(2) المصدر نفسه ، ص 129 ، 130.

(3) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 607 .

(1) عبد الحليم بن عيسى ، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء نموذجاً" ، مجلة التراث العربي ، إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد 102 السنة السادسة والعشرون ، ربيع الثاني 1427 ، نيسان 2006 ، ص 02 .

(2) إيفانوكس، نظرية اللغة الأدبية، ترجمة حامد أبو حمد، ص 177.

الإفهام و الإقناع، وانطلاقاً من الدور البالغ الذي تلعبه نظرية الحجاج اعتبر بيرلمان البلاغة مطابقة لنظرية الحجاج، فقد حصر الأولى في الأخيرة⁽³⁾.

3-1- التشبيه التمثيلي :

إن التمثيل حاضر في كل فاعلية فكرية كيفما كانت، ذلك «أن التعقل بواسطة التمثيل هو بناء للفكر في جميع الدرجات، منذ المحاولات المتواضعة للتفكير الطفولي، الذي يستعمل التمثيل استعمالاً مفرطاً و إلى الأشكال الأكثر سمواً من التفكير العلمي... فالتفكير بالصور و المثال و النموذج السابق و الخبرة المكتسبة و إسقاط المألوف على النوازل، و التداعيات القائمة على التشابه و التناظر أسبق لدى الإنسان من التعقل الصارم الذي يحصر موضوعه. و هل يستطيع المرء أن يتخلص من هذه العمليات تكون شخصيته المبكرة و تشد ذهنه في كل مراحل نموه ؟ إنما يكون كل نمو طارئ على فكر الإنسان مشروطاً بدرجة ما بتلك العمليات المبكرة نفسها»⁽⁴⁾.

ويطلق الفلاسفة على توسُّل التمثيل كأداة للمحاجة مصطلح الاستدلال بالمماثلة، وإن كان الاستدلال عند أرسطو يحمل شحنات منطقية صورية، فهو عند البلاغيين العرب القدامى يندرج ضمن مباحثهم البلاغية، وخاصة المعاني والبيان، وبالتالي فهو ليس عندهم عملية عقلية استنباطية محضة؛ بل هو أيضاً "عملية خطابية"، يتم بموجبها اتخاذ علامة مادية أو معنوية، وجعلها شاهداً و مثلاً على شيء أو صفة من صفاته، لذلك قد لا يخرج الاستدلال عندهم من دائرة التشبيه والاستعارة، وبشكل أعم من دائرة المجاز⁽⁵⁾. كذلك تعرف المماثلة على أنها «علاقة تناظر بين عناصر أو بنيات تنتمي إلى عوالم مختلفة»⁽⁶⁾؛ إذ يسقط علاقات مستفادة سابقاً على مجال مجهول، أو يبدع علاقات جديدة من منطلق تشابه ما، فالذهن ينظر إلى ما يجري "أمامه" من خلال الأحكام التي تكونت فيه على ضوء الخبرة السابقة، إذ لا وجود لذهن فارغ .

فالتمثيل الحجاجي طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشاهدة المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشاهدة دائماً، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة أبداً، ومن ثمة عدّ عاملاً أساساً في عملية الإبداع يستعمل في الحجاج، دون أن تكون له علاقة بالمنطق الصوري حيث لا يطرح معادلة صورية خالصة، ولكنه ينطلق من التجربة بهدف إفهام الفكرة أو العمل على أن تكون الفكرة مقبولة، وذلك بنقلها من مجال إلى مجال مغاير، جرياً على مبدأ الاستعارة... وقلماً كانت العرب حينما يسوقون خبراً أو قصة مثلاً يكونون به عن معنى أو عبارة أو حكمة أو موعظة حسنة قلماً يضعون النقط على الحروف⁽¹⁾.

(3) محمد سالم ولد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، م 28، ع 3، يناير - مارس، 2000، ص 57.

(4) بناصر البعزاتي، التحاجج طبيعته و مجالاته و وظائفه، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، سلسلة ندوات و محاضرات، رقم 134، جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 2006، 1، ص 28.

(5) محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 36.

(6) أبو الزهراء، دروس الحجاج الفلسفي، ص 39.

(1) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 97، 98.

وقد فرّق علماء البلاغة بين التشبيه و التمثيل؛ إذ يكون الوجه في التشبيه حسياً مفرداً أو مركباً، من الغرائز أو الطباع العقلية الحقيقية، وهو هنا "تشبيه غير تمثيلي"، و كل تشبيه كان وجه الشبه فيه عقلياً مفرداً أو مركباً غير حقيقي ومحتاجاً في تحصيله إلى تأول هو "تشبيه تمثيلي"، وهذا هو الفرق بين الضريين و إن كان الأول عاماً و الثاني خاصاً، ولذلك يرى **عبد القاهر الجرجاني** أن «كل تمثيل تشبيه، و ليس كل تشبيه تمثيل»⁽²⁾.

فالتمثيل وفق **عبد القاهر الجرجاني** هو ما كان وجه الشبه فيه عقلياً غير حقيقي، من غير نظر إلى أفراد أو تركيب، فتشبيه المعقول بالمحسوس هو أصل التمثيل عنده، وهو الأنسب لحقيقة التمثيل .
أمّا **السكاكي** فهذا النوع من التشبيه هو ما كان وجه الشبه فيه عقلياً و كان مركباً، يقول: «و اعلم أن التشبيه من كان وجهه وصفاً غير حقيقي، وكان منتزعا من عدة أمور حصّاً باسم التمثيل»⁽³⁾، إذ يضيف إلى رأي **الجرجاني** شرط التركيب، أما عند **الخطيب القزويني** و جمهور البلاغيين فهو ما كان الوجه فيه «وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور»⁽⁴⁾، بصرف النظر عن كونه حسياً أو عقلياً .

وأما عن بلاغة التمثيل و قيمته و تأثيره في النفوس و فضله في الكلام، يقول **الجرجاني**: «واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أئمة، و كسبها منقبة، ورفع عن أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباية و كلفاً، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة و شغفا... و إن كان وعظاً كان أشفى للصدر، وأدعى للفكر، وأبلغ في التنبيه و الزجر، وأجدر بأن يجلي العناية، و يبصر الغاية، و يبرئ العليل، و يشفي الغليل»⁽⁵⁾.

وانطلاقاً من آراء **عبد القاهر الجرجاني** يمكن رصد النقاط التالية :

1- إن التمثيل ينقلنا من حالة الغموض إلى حالة الوضوح، والغرض هنا أن تكون الحقيقة المراد ذكرها مما يتعذر رؤيته في جلاء، وأن الصورة التي رسمت موازية لها في التكوين هي من خبراتنا اليومية.

2- التدرج في الإدراك من المحسوس إلى المعقول، ومن البساطة إلى التركيب، و في هذا يقول **عبد القاهر الجرجاني**: «ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس أولاً عن طريق الحواس والطباع، ثم من جهة النظر و الروية، فهو إذن أمس بها رحماً، وأقوى لديها ذمماً، وأقدم لها صحبة، وأكد عندها حرمة»⁽¹⁾، وهذه هي فائدة التمثيل الكبرى .

(2) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 95.

(3) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 346 .

(4) الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 253 .

(5) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 115 ، 116 .

(1) المرجع السابق، ص 112.

3-الجمع بين المتنافرين يعطي طرافة و يحدث أنسا وبهجة«إنّ لتصوير الشبه من الشيء غير جنسه وشكله، والتقاط ذلك له من غير محلته، واجتلابه إليه من الشق البعيد بابا آخر من الظرف و اللطف،ومذهبا من مذاهب الإحسان لا يخفى موضعه من العقل»⁽²⁾.

4- يرى الجرجاني «أنّ المعنى إذا آتاك ممثلا فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة ، وتحريك الخاطر له، والهمة في طلبه، وما كان منه ألطف كان امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر، واحتجاجه أشد»⁽³⁾.

وكثير مما قاله الجرجاني ينطبق على معظم ما جاء عند عبد الله بن المقفع في كتاب كليله و دمنه ؛ إذ أخرج المعاني المعقولة والأفكار الخفية إلى صور مرئية خليقة بالإقناع و التأثير،وتلك أكمل أوجه التشبيه،وأجدرها بتحقيق الوظيفة الأساسية له .

فالكتاب عبارة عن حكم و معان معقولة، تمثل التجارب الخاصة للمؤلف (وللمترجم أيضا)،وتجاربه من تعامله مع الآخرين،والتجارب الأخرى التي استقاها من آداب الأمم الأخرى،وأكثره تمثيل المعقول بالمحسوس، و من ذلك قوله :« العلم و الحياء إلفين متآلفين لا يفترقان،من فُقد أحدهما لم يوجد الآخر،كالمُتصافين إن عدم منهما أحد لم يطب صاحبه نفسا بالبقاء بعده تأسفا عليه»⁽⁴⁾، فالعلم و الحياء أمران عقليان متلازمان مثّل لهما بأمر محسوس ، و هما المتصافيان ، لاستحالة التفرقة بينهما .

ولأنّ غاية ابن المقفع هي التهذيب و التأديب، فقد أطال الفكرة،وبسط الخطاب،وطلب الإسهاب،بقصد الإفهام والتوضيح والبيان،وهو برغم ذلك لم يقع في كلامه على وجه التفنن أو الحلية الأسلوبية،وإنّما جاء لاقتضاء المقام و المعنى له،فما ترك شيئا مبهما إلّا و فسّره،فجاءت الألفاظ مشاكلة للمعاني،وكذلك المعاني موافقة للألفاظ، مما جعل لتمثيل ابن المقفع هذا القدر من التقييم،فهو يخاطب العقل الإنساني،ويهدب السلوك الناشئ عنه .

وكتاب كليله و دمنه غني بالرمز الذي يقف إلى جانب التجسيد،الذي هو إشارة رمزية أخرى يخرج لنا بها الكلام عن دلالاته المباشرة .

وأكثر ما في هذا الكتاب معان معقولة شاخصة تتراءى أمام أعيننا،والأمر البديع أنّ أبطال التمثيل حيوانات مرئية ، تدور بينها حوارات، موعظة، ومحاجة في أمر السلطة و الحاكم ، وما سوى ذلك فطبيعي؛ إذ نعرف أنّ «الصور و المحسوسات عامة كانت هي الوسيلة الأولى للإدراك،ولم يكن للإنسان طريق إلى المعرفة سواها...الإنسان في هذه المرحلة كان يعانق الأشياء التي يحسها فقط،ولا يتسع ذهنه إلى شيء غير ما يراه و يحسه،حتى الخرافة كان لا يستوعبها إدراكه ، ثم بعد ذلك ينساب شعاع المعرفة من وراء هذه المحسوسات، و

(2) المرجع نفسه ، ص129.

(3) المرجع نفسه ، ص 139.

(4) كليله و دمنه ، ص 20 .

يشق في إعياء و تباطؤ شديد إلى عقل الإنسان، وبعد زمن متطاوّل بدأ الإنسان يجرد المعاني و يستخلصها من الأشياء، وبدأ الإدراك الذهني وسيلة ثانية من وسائل المعرفة، وبدأت اللغة المجردة في اثر ذلك، وانتزعت الكلمات من الصور و الأجسام، لتمدّخض عن الدلالة الذهنية، وحين تتأمل أكثر كلمات اللغة و تراجع استعمالها تجد الدلالة الحسية كامنّة هناك»⁽¹⁾.

والمعاني العقلية التي يسعى ابن المقفع إلى إيصالها، وإن كانت ثابتة مقطوع بها متيقنة، فإنّ تمثيلها بالأمر المحسوسة أولى و أحق، لتعطيها مزيداً من الإيضاح فيحصل ثقة بالنفس بها و الاطمئنان إليها ، كما أنّ هناك فرقاً بين المعنى الذي تأخذه من لفظ تسمعه الآذان، والمعنى الذي تأخذه من صورة تراها العيون، كما أنّ العلم الذي يبنى على الإدراك يكون فيه مزيداً من القوة و التأكيد، و بذلك يجمع ابن المقفع بين الإمتاع و الإقناع، يقول **طه عبد الرحمن**: «وقد تزوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فتكون أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، و توجيه سلوكه لما يهبه هذا الإمتاع من قوة استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب كأنه يراها رأي العين»⁽²⁾.

فقد كان تمثيل عالم الإنسان بعالم الحيوان في **كليّة و دمنّة** أقوى في النفوس تمكناً و تأثيراً، ذلك أن التمثيل فيه وقع بين أمرين متباعدين، وأكثر ما تبنى عليه الطباع هو أن الشيء إذا تصور ظهوره من مكان مستبعد ازداد شغف النفس، وكثر تعلقها به ،خاصة و أنك ترى بتشبيهه المتباعدين المتباينين مثلين متقاربين، والمؤتلفين مختلفين، ومثله في كتاب **كليّة و دمنّة**؛ إذ أن الأصل فيه نقد لما يحصل في مجلس السلطان، والمعلوم أن النقد الموجه لمن هو أعلى شأنًا ينبغي أن يتخذ فيه صاحبه الحيطة و الحذر، حتى لا يقع فيما لا تحمد عقباه، فكان التمثيل بعالم الحيوان يلفظ من هذا النقد ، و يطبعه بطابع التسلية و الفكاهة .

و تمثيل ابن المقفع بصورة عامة يدور في محاور ثلاثة :

الأوّل - الإيضاح و الإفهام، وهي أولى الخطوات لعملية الإقناع، ذلك أن من أراد إقناع قارئه بمعان معينة جعل تمثيله توضيحاً يغري بقبولها و التصديق بها ، يقول ابن وهب: «...وأما الأمثال و القصص فإنّ الحكماء و العلماء و الأدباء يرون هذا النوع من القول أنجح مطلباً، وأقرب مذهباً... وإئماً فعلت العلماء ذلك لأنّ الخير في نفسه إذا كان ممكناً، فهو يحتاج إلى ما يدل على صحته، والمثل مقرون بالحجة، ولذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دونته من علومها بالمثل و القصص عن الأمم، ونطقت ببعضه على السنة الطير و الوحش، وإئماً أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها ، والمقدمات مضمونة إلى نتائجها...»⁽³⁾.

(1) محمد أبو موسى ، التصوير البياني ، دراسة تحليلية لمسائل البيان ، مكتبة وهبة ، عابدين ، القاهرة ، ط 3 ، 1993 ، ص 136.

(2) طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تحديد علم الكلام ، ص 226 .

(3) أبو الحسن اسحق بن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، ص 117 ، 118 .

ولما كان هدف ابن المقفع الإبانة، فقد ارتبطت معانيه بما هو أكثر وضوحا، وهو التصوير الحسي «فإذا كان مفهوم الشرح و التوضيح يؤدي إلى ضرورة الانتقال من الواضح أو الأقل وضوحا إلى الأوضح، فالطبيعي أن تفضل الصورة التي تنقلنا من الأفكار المجردة إلى الأشياء الحسية، أو توضح المعنويات عن طريق مقارنتها بالحسيات»⁽¹⁾.

الثاني- الترغيب في فضائل الأخلاق مع الخاصة بشكل خاص ، والعامه بشكل عام .

الثالث- التنفير من مساوئ الأخلاق،و ترتبط براعة الإقناع بالقدرة على التحسين و التقييح؛ إذ يؤدي استعمال الصور الحسية إلى ترغيب المتلقي في أمر من الأمور أو تنفيره منه، وقد نجح ابن المقفع في ذلك حين ربط معانيه بصور أشد حسنا أو قبحا، كقوله: «إن صحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرّت بالطيب حملت طيبا، وإذا مرت بالثّن حملت نتنا»⁽²⁾، وكذلك قوله: «وإنّما مصاحب العدو ومصالحه كصاحب الحية يحملها في كفه»⁽³⁾، و«والمفسد بين الإخوان والأصحاب كالحية التي يربيهما الرجل و يطعمها و يمسخها و يكرمها، ثم لا يكون له منها غير اللدغ»⁽⁴⁾، «ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير عنها»⁽⁵⁾.

وقد جاء أكثر تمثيل **كليلة و دمنه** في أعقاب المعاني رادفا لها و متأثرا بها، و أشبهه في ذلك البرهان الذي ثبت به الدعوى، و قد جاءت بصيغة صور تمثيلية حسية تولد بعضها من بعض، لأنّ أغلب تمثيل ابن المقفع أتى في شكل صور تمثيلية (قصصية) كبرى، تشتمل على العديد من الصور التمثيلية الجزئية، التي تدور تقريبا ، حول معنى واحد .

(1) جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء، ط1992، ص339 .

(2) كليلة و دمنه ، ص 162

(3) المصدر نفسه ، ص 197 .

(4) المصدر نفسه ، ص 160 .

(5) ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، تقديم و تعليق :أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، دار النهضة ، ج 2 ، ط 2 ، مصر، دت ، ص 123 .

كما تنوعت ضروب التمثيل في كتاب **كليلة ودمنة** بين: الأفراد و التركيب، التصريح و التلميح ، و التعدد و التنويع .

1- التمثيل من حيث الأفراد و التركيب و التقيد:

قد يأتي المشبه مفردا بينما المشبه به صورة مركبة من جملة من الأوصاف و الأحوال ، ومثله: «**السلطان كالحبل الصعب المرتقى، الذي فيه الثمار الطيبة و الأثمار الجارية و الجواهر النفيسة، وهو مع ذلك معدن السباع و النمر و الذئب و كل ضار مخوف، فالارتقاء إليه شديد، والمقام فيه أشد**»⁽¹⁾، فالمشبه مفرد هو السلطان ، والصورة المشبه بها مركبة من عدة تفصيلات جزئية، ساهمت في تفضيع الصورة و تنفيرها ، مما يبعث الحذر لدى الراعي التقرب من السلاطين، بما سيلاقيه من الأذى والضرر منم .

وقد يمثل المركب بالمفرد و مثله : «**فإن الملك عزيز فمن ظفر به فليحسن حفظه و تحصينه ... و هو في خفة زواله و سرعة إقباله و إدباره كالريح**»⁽²⁾، فالكاتب في هذه المماثلة «يركز ألوانا و أشكالا وأحوالا كثيرة في كلمة واحدة»⁽³⁾.

2- التمثيل الصريح : ومثله لا حصر له في كتاب **كليلة ودمنة** :

«**العلم و الحياء إلفين متآلفين لا يفترقان، من فقد أحدهما لم يوجد الآخر، كالمصافيين إن عدم منهما أحد لم يطب صاحبه نفسا بالبقاء بعده تأسفا عليه**»⁽⁴⁾، ففي هذا المثل الصريح تتداخل صورة الممثل به بصورة الممثل له ، ووجه الشبه هو الارتباط الوثيق بين الطرفين، والذي يزول بزوال أحدهما ، فأينما حلَّ العلم تبعه الحياء، وقد اختار ابن المقفع كلمة (المصافيين) ليدلَّ على ما جمع بين الإلفين تجاوز كل الحدود و المراحل إلى الصفاء و النقاء، فالصَّفي هو أعلى درجات الصداقة و أقواها و أمتنها، وهو ما تؤكد الجملة الشرطية، التي تربط أجزاء الكلام ربطا متلاحقا و ترتب السبب على المسبب، فوجود فعل الشرط يقتضي وجود جوابه، فبانعدام الحياء ينعدم العلم ، ومثله انعدام الصَّفي بانعدام صفِّيّه، كذلك تكشف هذه المماثلة على حرص ابن المقفع الشديد وجوب التحلي بهاتين الخصلتين، اللتين هما من عظيم الأغراض و المقاصد، التي جعلته يلجأ إلى التمثيل لتزيينهما، والترغيب فيهما .

وفي المعنى نفسه ورد «**كالحمامة التي تفرخ الفراخ فتؤخذ و تذبح، ثم لا يمنعها ذلك من أن تعود فتفرخ موضعها وتقيم بمكانها، فتؤخذ الثانية من فراخها فتذبح، حتى تؤخذ هي أيضا فتذبح**»⁽⁵⁾، فمن لا يحرص على ما ينفعه و يترك ما يضره حاله كحال الحمامة التي لا تتعظ من ذبح فراخها حتى تذبح هي، والمعنى الجامع بين الممثل و الممثل له هو ترك الاعتاظ من التجارب السابقة مما يجلب التهلكة .

(1) كليلة و دمنة ، ص 204، 205 .

(2) المصدر نفسه ، ص 249 .

(3) محمد أبو موسى ، التصوير البياني ، ص 54.

(4) كليلة و دمنة ، ص 20.

(5) المصدر نفسه ، ص 64 .

فالصورتين و إن تشابهما في المعنى فقد تمايزتا في مدى الإيحاء و التصوير كذلك، إذ الصورة الثانية (الحمامة و ما حدث لها جراء عدم اتعاضها من خسارتها المتوالية) أبلغ في التصوير، وذلك للنهاية المفجعة والخسارة الفادحة، فضلا عن ما في الصورة الثانية من العناد و الإصرار على عدم الاتعاض من التجارب السابقة على مرارتها، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قوله: « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»⁽¹⁾، وفي ذلك تحذير منه للمؤمن من الغفلة و تكرار الخطأ، والحث على التيقظ و استعمال الفطنة .

ومن التمثيل الصريح قوله: «ولم آمن إن تركت الدنيا و أخذت في النسك أن أضعف عن ذلك، وأكون قد رفضت أعمالا كنت أرجو عائدتها، وقد كنت أعملها فانتفع بها في الدنيا، فيكون مثلي في ذلك مثل الكلب الذي مر بنهر و في فيه ضلع، فرأى ظلها في الماء فأهوى ليأخذها، فأتلف ما كان معه، ولم يجد في الماء شيئا»⁽²⁾، فقد استوفى التمثيل أركانه الثلاثة، وقد جعل لمن يترك الأمر الذي ينتفع منه، رغبة في تحصيل نفع منقطع الرجاء منه ، أو لا تؤمن عاقبته، ومثله في ذلك الكلب الذي طمع في صورة الضلع الذي كان معه في الماء فخسر كل شيء. هذا المثل ساهم في إيضاح ما أجهم من المعاني، فضلا عن تقديمها صورا منفردة أو مرغوبة، باستعمال آلية التمثيل التي تضمن استقرار و توكيد المعاني في نفس المتلقي.

3- التمثيل الضمني: ذلك أن الشيء « إذا نيل بعد الطلب له، أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالزمية أولى، فكان موقعه من النفس أجل و ألطف، وكان به أضن و أشغف»⁽³⁾، فهذا النوع لا يعبر عنه صراحة ، و إنما يحتاج في الوصول إليه إلى التدبر و إعمال الفكر .

ومن البواعث على استخدام هذا النوع إقامة البرهان على الحكم المراد إسناده إلى الممثل له، والرغبة في إخفاء معالم التمثيل ؛ لأنه كلما خفي كان أبلغ في النفس لدقته و لطفه يقول عبد القاهر الجرجاني: « فالاحتفال و الصنعة في التصويرات التي تروق السامعين و تروعههم ، و التخيلات التي تهز الممدوحين و تحركهم ، وتفعّل فعلا شبيها بما يقع في نفس الناظر إلى التصاوير التي يشكلها الحُذّاق بالتخطيط و النقش، أو بالنحت و النقر، فكما أن تلك تعجب و تحلب ، و تروق و تؤنق، وتدخل النفس من مشاهدتها حالة غريبة لم تكن قبل رؤيتها، و يغشاها ضرب من الفتنة لا ينكر مكانه ، و لا يخفى شأنه»⁽⁴⁾.

ومن أمثله في كليله ودمنة قول بيدبا : «أرى السفينة لا تجري في البحر إلا بالملّاحين لأنّهم يعدّلونها، وإنّما تسلك اللّجة بمديرها، الذي تفرّد بامرّها، و متى شحنت بالركاب الكثيرين و كثر ملاحوها لم يؤمن عليها من الغرق»⁽⁵⁾.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (2998) ، كتاب الزهد و الرقائق ، ص 1364.

(2) كليله و دمنة ، ص 85 ، 86 .

(3) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 139 .

(4) المرجع نفسه ، ص 342 ، 343 .

(5) كليله و دمنة ، ص 35 .

فالفيلسوف لما طلب من تلاميذه مساعدته في كتاب طلبه منه الملك في الحكمة والسياسة لينسب إليه، فلم يجد عندهم ما يريده، فرأى استفراغ عقله، وإعمال فكره، واستنقاذ مادته في ذلك الكتاب، فصور حاله و حال تلاميذه و ما ينجزه في الصورة السابقة، وهذا المعنى لم يصرّح بأداة تمثيل؛ وإنما فهم عرضاً و ضمناً. وتكمن البلاغة في هذا النموذج أنّ المعنى يتأكد و يزداد خصوصية مع تقدم العبارة ، بداية من الصورة التمثيلية: «أرى السفينة لا تجري إلا بالملاحين»، والفيلسوف يرى أن التعاون و التآزر مع تلاميذه، والأخذ برأيهم كالسفينة التي لا تجري إلا بتعاون الملاحين، فكذلك الجماعة لا بُدَّ فيها من أعوان يتآزرون فيما يعود عليها بالصلاح، وقد جاء هذا المعنى في أسلوب القصر (النفي و الاستثناء)، لأنهم شكوا في صحة كلامه فألقى عليهم العبارة بأسلوب القصر و زاد على ذلك التعليل: «لأنهم يعدلونها»، ليتعاضد أسلوب القصر مع التعليل لإزالة الشك، ثم زاد المعنى تأكيداً باستعمال أداة القصر (إنّما) حين يقول: «وإنما تسلك اللجة بمديرها، الذي تفرّد بإمرتها»، و أيضاً أسلوب الشرط الذي يربط أجزاء الكلام ربطاً وثيقاً، يترتب فيه السبب على المسبب حين قال: «ومتى شحنت بالركاب الكثيرين و كثر ملاحوها لم يؤمن عليها من الغرق» .

هذه الصورة التمثيلية بما احتوته من تراتبية في غاية البيان زادت المعنى تقريراً في النفس، وكشفت اللبس عن جوانبها الخفية ، كما ساهم تواشج أسلوب القصر بإنما و أسلوب الشرط في إقامة دعوى لا تنكر، وبرهان قاطع على صحة ما يدعو إليه .

ومن التمثيل الضمني في كليلة ودمنة: « ليس أحد يصغر أمره إلّا و قد يكون عنده بعض الغناء و المنافع على قدره، حتى العود الملقى في الأرض ربما نفع فيأخذه الرجل فيحك به أذنه فيكون عدته عند الحاجة إليه »⁽¹⁾، إذ مثل الأمر الصغير الذي يستهان بنفعه بالعود الملقى على الأرض، الذي ربما نفع عند الحاجة إليه، ولتأكيد كلامه استعان بمؤكد (حتى) التي تفيد «انتهاء الغاية»⁽²⁾.

وقد عني الكاتب أكثر ما عني بالصدقة، فأجاد فيها و استفاد، إلا أنه يدعو في بعض المواقع من كتاب كليلة و دمنة مخاطبه إلى الاحتراس من بعض الأصدقاء، يقول مثلاً: «رُبُّ صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة

(1) كليلة ودمنة ، ص 106.

(2) ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، شرح و تعليق : عبد اللطيف محمد الخطيب ، السلسلة التراثية 21، الكويت، ط 2000، 1، 260/2 .

وهي أشد من العداوة الظاهرة، ومن لم يحتس منها وقع موقع الرجل الذي يركب ناب الفيل الهائج ثم يغلبه النعاس فيستيقظ تحت فراسن الفيل فيدوسه و يغلبه»⁽³⁾.

و قد يجمع بين التمثيلين الصريح و الضمني في صورة واحدة، ومن ذاك :«إن كثرة الأعوان إذا لم يكونوا مختبرين ربما تكون مضرة على العمل، فإن العمل ليس رجاؤه بكثرة الأعوان، ولكن بصاحلي الأعوان، ومثل ذلك مثل الرجل الذي يحمل الحجر الثقيل فيقتل به نفسه و لا يجد له ثمنا، وحامل الياقوت و إن قلَّ يقدر على بيعه بالكثير من المال، والعمل الذي يحتاج فيه إلى الحيل و الخداع لا يقتحمه إلا أفهم الرجال و أذكاهم ،والرجل الذي لا يحتاج إلى الجذوع لا يجزئه القصب و إن كثر»⁽¹⁾. فالصورة التمثيلية الأولى صريحة استوفت كل أركانها؛ الممثل : كثرة الأعوان الذين لا يرجى نفعهم، والممثل به: الحجر الثقيل الذي يقتل حامله و لا يجد له ثمنا ،الأداة (مثل). ثم اتبعت بتمثيل ضمني في قوله :«والرجل الذي يحتاج إلى الجذوع لا يجزئه القصب و إن كثر»، فقد صوّر عدم حاجة الإنسان لكثرة الأعوان الذين لا فائدة يرجى منهم بالرجل الذي يريد إشعال النار، فما حاجته إلى القصب، و إن كثر، وعنده الجذوع و القصب، فإن كان سريع الاشتعال فإنه كذلك سريع الزوال و الانطفاء .

4- التمثيل المتعدد:

ومثله في كليله ودمنة :« لا تلتمس تقويم مالا يستقيم فإن الحجر الصلب الذي لا ينقطع لا تجرب عليه السيوف، والعود الذي لا ينحني لا تعمل منه القوس »⁽²⁾، فقد توالى صورتان تمثيلتان لمعنى واحد؛ ولكنها لم تصرح بالمعنى، وإنما فهم التمثيل ضمنا، والمعنى الجامع : قطع الرجاء و الأمل مما لا فائدة منه.

ومثل هذا التمثيل:«ووجدت صرعة اللين و الرفق أسرع و أشد استئصالا للعدو من صرعة المكابرة و العناد، فإن النار لا تزيد بحدتها وحرّها إذا أصابت الشجرة على أن تحرق ما فوق الأرض منها، والماء بليته و برده يستأصل ما تحت الأرض منها »⁽³⁾، فانظر إلى التقابل البديع بين الصورتين الممثل بهما، والتي تكشف معنى يقرر بأن صرعة الحيلة أسرع و أشد على العدو من صرعة المكابرة ،ومثل ذلك النار لا تحرق أصول الشجرة و جذورها المتخفية ، بعكس الماء الذي بليته و برده يستأصلها من جذورها، هذا التقابل أكسب

(3) كليله و دمنة ، ص 268 ، 269 .

(1) كليله و دمنة ، ص 107 .

(2) المصدر نفسه ، ص 156 .

(3) المصدر نفسه ص 246 .

الصورتين إيضاحاً بليغاً بجمع الشيء إلى ضده ، و عن كونه متعدداً فقد انبنت الصورة التمثيلية على عنصر واحد هو الشجرة ، ولكن في حالتين متباينتين : الأولى مع النار، والثانية مع الماء. كما توضح التأكيد بعطف الجملة الأولى على الثانية فقرنت بها، وتؤكد أكثر بـ (إن) المقرون بفاء السببية ، مما أقام البيئة على صحة ما ادعاه .

5- التمثيل الملفوف: ومثله: «وإنَّ صحبة الأخيار تورث الخير و صحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرت بالطيب حملت طيباً، وإذا مرَّت بالنتن حملت نتناً»⁽¹⁾، فقد جاءت الصورتان المثل لها في إطار المقابلة، فإذا كانت صحبة الأشرار تظهر حسن صحبة الأخيار، فإنَّ صحبة الأخيار تظهر قبح صحبة الأشرار، ومثله الريح إذا مرت بالطيب حملت طيباً، وإذا مرت بالخبث حملت خبيثاً، والبدیع في هذه الصورة أن العنصر الذي كون الصورتين المثل بهما واحد، ولكن في كل صورة له حالة مخالفة لحالة الأخرى، وأما المعنى الجامع بينهما فهو الأثر الناتج عن المخالطة و الاحتكاك.

6- التمثيل المفروق: وهو على خلاف النوع السابق ففيه يلحق كل معنى ممثل بالصورة المثل لها ، فكان كل تشبيه هنا مستقل مفروق عما قبله، ومثله في كليله ودمنة: «إنَّ من الناس من لا مروءة له ، وهم الذين يفرحون بالقليل، و يرضون بالدون كالكلب الذي يصيب عظماً يابساً فيفرح به، وأما أهل الفضل و المروءة فلا يقنعهم القليل، ولا يرضون به دون أن تسمو نفوسهم إلى ما هم أهل له، وهو أيضاً لهم أهل؛ كالأسد الذي يفترس الأرنب، فإذا رأى البعير تركها. ألا ترى أن الكلب يبصص بذنبه حتى ترمي له الكسرة من الخبز فيفرح بها و تقنعه منك، وأن الفيل المعترف بفضلته و قوته إذا قدم إليه علفه لا يعتلفه حتى يمسح وجهه و يتملق له»⁽²⁾ ؛ إذ شبه المرء عديم المروءة بالكلب يصيب العظم اليابس فيفرح به، و المعنى الجامع هو قلة الهمة و الرضا بالهين الحقير، وشبه الفاضل ذو المروءة بالأسد الذي لا يقنع بالأرنب فتسمو نفسه إلى ما هو أفضل و هنا البعير ، والمعنى الجامع هو علو الهمة و الرغبة في تحصيل معالي الأمور .

وما زاد هذه الصور التمثيلية قوة و تأكيداً للمعنى في نفس المتلقي الاستعارات التمثيلية المردفة في قوله: «ألا ترى أن الكلب يبصص بذنبه حتى ترمي له الكسرة من الخبز فيفرح بها و تقنعه منك، وأن الفيل المعترف بفضلته و قوته إذا قدم إليه علفه لا يعتلفه حتى يمسح وجهه و يتملق له». فهاتان الصورتان ضميتان لم يصرح فيهما بأركان التمثيل، فهي صور حسية ضمنية جسدت المعنى المعقول، أي حال قليل الهمة الذي يرضى بالقليل مع شدة حاجته على سبيل الاستعارة التمثيلية، وكذلك جسد عالي الهمة الذي لا يرضى بما هو في أمس الحاجة إليه حتى يعظم، وذلك أيضاً على سبيل الاستعارة التمثيلية . وأما عن الترابط بين الصور

(1) كليله ودمنة ، ص 162 .

(2) المصدر نفسه ، ص 100.

الصريحة و الصور الضمنية(الاستعارة) فكلاهما يخدمان الغاية نفسها، بحيث تؤكدان المعاني و تزيدان في التنفير، ففي هاته الصور تربية للنفس على العزة و الأنفة و سمو الهمم .

ومن هذا النوع أيضا قوله:«والمودة بين الصالحين سريع اتصاها بطيء انقطاعها،ومثل ذلك مثل الكوز الذهب بطيء الانكسار سريع الإعادة هين الإصلاح إن أصابه ثلم أو كسر،والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصاها ، و مثل ذلك مثل الكوز الفخار سريع الانكسار ينكسر من أدنى شيء،ولا وصل له أبدا»⁽¹⁾، فالتمثيل، هنا،حاصل بالمقارنة أو المقابلة بين معنيين متضادين؛ صداقة الصالحين .بمقابل صداقة الأشرار،ولإدراك التفاوت بين الحالتين كان التمثيل بالضدين خير مآل ، إذ الأمور بضدها تتوضح،فضلا عما يتيح أسلوب المقابلة من مسحة فنية ساحرة،يستأنس بها السامع فيجتلي المعنى عنده، فإذا ذكر الطرف الأول من المقابلة اشترأت النفس و استشرفت المعنى النظير و طلبته، فإذا حصلت عليه ازداد تمكنا من النفس. كما أن التوازن الصوتي التي تضفيه له الأثر البالغ فيها. كل ذلك لم يأت اعتباطا ؛ وإنما تأكيداً من ابن المقفع بتأثير الصحبة الصالحة على الفرد و من ثم على المجتمع، مما جعله يحبك الصورة، فلا نتحول عنها لما فيها من المتعة و السحر في تأمل معانيها و استجلاء فائدتها .

7- تمثيل الجمع :

1-1- تمثيل واحد بست : و مثله في الكتاب :

«وكان عندي أنه ليس شيء من شهوات الدنيا و لذاتها إلا و هو متحول إلى الأذى و مولد للحزن،فالدنيا كالماء الملح الذي لا يزداد شاربها شربا إلا ازداد عطشا،وكالعظم الذي يصيبه الكلب فيجد فيه ريح اللحم فلا يزال يطلب ذلك اللحم حتى يدمي فاه و لا ينال شيئا مما طلب،و كالحداة التي تظفر بالبضعة من اللحم فيجتمع عليها الطير فلا تزال تدور و تدأب حتى تعبي و تعجز فإذا تعبت ألفت ما معها،و كالكوز من العسل الذي في أسفله السم الذي يذاق منه حلاوة عاجلة و آخره موت زعاف،و كأحلام النائم التي يفرح بها الإنسان في نومه فإذا استيقظ ذهب الفرح،و كالبرق الذي يضيء يسيرا فيطمع بالنور ثم يذهب بغتة و يرجع الظلام،و كدودة القز التي تنسج ثمارا و ليلا و تهلك وسط نسيجها الذي كلما زادت منه نسجا زاد استحكاما و منعها عن الخروج»⁽²⁾،و يصور المؤلف من خلال هذا الحشد المتراكم من التمثيلات هوان أمر الدنيا و حقارتها،وبالرغم من توالي التمثيل بعضه فوق بعض إلا أن

(1) كليلة ودمنة ، ص 197.

(2) المصدر نفسه، ص87.

التمثيل لم يفقد بريقه؛ بل إن المعنى ازداد كشفاً و تقريراً في النفس، فلم يترك ابن المقفع معنى قد ينسحب على الحياة الدنيا إلا أتى به في صورة تمثيلية في غاية التركيب ، ليقدم في النهاية صورة منفرة من الدنيا، ويدفع مخاطبه نحو حقيقتها، فوصل عدد الصور التمثيلية إلى ست صور، نما بعضها من بعض، وقد عطفت بالواو فأضاءت كل صورة معنى خفياً من المعنى العام .

7-2- تمثيل واحد بخمس:

كقول دمنة: «إِنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ أَعْمَالَهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ كَالَّذِي يَضَعُ الرَّمَادَ مَوْضِعًا يَنْبَغِي أَنْ يَضَعَ فِيهِ الرَّمْلَ وَ يَسْتَعْمَلُ فِيهِ السَّرَجِينَ، وَالرَّجُلَ الَّذِي يَلْبَسُ لِبَاسَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ الَّتِي تَلْبَسُ لِبَاسَ الرَّجُلِ، وَالضَّيْفَ الَّذِي يَقُولُ أَنَا رَبُّ الْبَيْتِ، وَالَّذِي يَنْطِقُ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ بِمَا لَا يَسْأَلُ عَنْهُ»⁽¹⁾، وفي هذا النص خمس صور تمثيلية لمعنى واحد، زادت كل واحدة لسابقتها فضل بيان، فقد مثل لمن يقوم بما ليس من عمله بالرجل يضع موضع الرمل رماداً، والرجل يلبس لباس المرأة و ذلك عار و فعل مشين، ومثله المرأة تلبس لباس الرجل، والضيف يستملك الدار إنما و افتراء و هي لغيره، والرجل يتكلم في الجماعة بما لم يسأل عنه، وذلك في التطفل و الفضول .

7-3- تمثيل واحد باثنين:

ومثله: «على العالم أن يبدأ بنفسه و يؤديها بعلمه، ولا تكون غايته اقتناء العلم لمعاونة غيره و نفعه به و حرمان نفسه منه ، ويكون كالعين التي يشرب الناس ماءها، و ليس لها في ذلك شيء من المنفعة، و كدودة القز التي تحكم صنعته و لا تنتفع به»⁽²⁾ .

وأيضاً: «وينبغي للعاقل أن يكون لهواه متهماً، ولا يقبل من كل أحد حديثاً، ولا يتمادى في الخطأ إذا التبس عليه أمره، ولا يلج في شيء، ولا يقدم عليه حتى يتبين له الصواب فيه، و تستوضح له الحقيقة، و لا يكون كالرجل الذي يزيغ عن الطريق فيستمر على الضلال، فلا يزداد في السير جهداً إلا ازداد عن القصد بعداً، و كالرجل الذي تقذى عينه فلا يزال يحكها حتى ربما كان ذلك الحك سبباً في ذهابها»⁽³⁾، والمعنى الجامع من هاته الصور: بذل الجهد و العناء مع استمرار الخطأ، ومثله الرجل يحيد عن الطريق الصواب، ويستمر على ذلك فلا يصيبه إلا الجهد و البعد عن القصد ، و التماذي في بذل الجهد في الخطأ مع ما يترتب عليه من نتائج وخيمة، ومثله الرجل يحك عينه حتى نذهب فيعمى .

(1) كليلة ودمنة ، ص 173.

(2) المصدر نفسه ، ص 61 .

(3) المصدر نفسه ، ص 65 .

هكذا يقوم ابن المقفع و/أو بيدبا بتكثيف الدلالات من خلال إخراج المعنى الواحد في صور متباينة النظم، بحيث يجذب النفس إلى سماعها و تتبّعها، فيستقر المعنى في عقل القارئ و قلبه معا، وكل ذلك يثبت قدرة ابن المقفع الفائقة في تقريب المعاني العقلية ، من خلال التمثيل المتعدد بما فيه من خواص بلاغية جليلة .

3-2-3- الاستعارة Métaphore

تعدُّ الاستعارة المكون الأساس لكل أفكارنا و أحاديثنا العادية منها أو العلمية أو الأدبية، ومن ثمَّ فهي أكثر الأنواع البلاغية حضورا في التعبيرين اللغوي و الفكري «فاللغة بطبيعتها وفي الأصل استعارية ، إذ تؤسس آلية الاستعارة للنشاط اللغوي، وكل قاعدة أو مواضعة لاحقة تولد بقصد تحديد الثراء الاستعاري ، الذي يعرف الإنسان على أنَّه حيوان استعاري رمزي»⁽¹⁾، وذلك مما يوسع أفق الاستعارة، و يعطيها مساحة رحبة، فتصبح وفق هذا الاعتبار «كل الجمل و العبارات في أي حوار طلق و خطاب اعتيادي استعارية»⁽²⁾، ولذلك يصعب الفصل بين التماثلات الحرفية و التماثلات المجازية التي تغذي نشاطاتنا اليومية، وكذلك حواراتنا مع الآخر، إذ «العمليات التمثيلية تبرز بكثرة في المحادثة العادية»⁽³⁾ .

هذا وتعدُّ الاستعارة أسمى المظاهر البلاغية؛ بل إنه كثيرا ما يتم إدراج باقي الأشكال المجازية ضمنها على اعتبار أنها «جنس تكون منه جميع الصور البيانية الأخرى أنواعا»⁽⁴⁾، ودليل ذلك أننا نعثر على تعاريف شبه متطابقة لكل الأنواع البلاغية «وأقل هذا الخلط هو الجمع بينها و بين التشبيه، وأكثره عدم التمييز بين الوجوه التي تنبني على المجاورة، و الوجوه التي تنبني على المشاهدة»⁽⁵⁾، التي تستطيع أن ترقى إلى مستوى التصوير اللغوي، وإلى مستوى إيصال المعنى .

فللاستعارة قوة توصيل المعنى، والقدرة على اختزال معان و سياقات متعددة في قليل من العبارات، يقول الجرجاني: «تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجنّي

(1) أمبرتو إيكو، السيميائية و فلسفة اللغة ، ص 235 .

(2) سعاد أنقار ، البلاغة و الاستعارة من خلال كتاب (فلسفة البلاغة) ل : إ. إ. ريتشاردز ، مجلة عالم الفكر ، مج 37 ، ع 3 ، يناير مارس ، 2009 ، الكويت ، ص 185 .

(3) بناصر البعزاي ، الصلة بين التمثيل و الاستنباط ، ضمن كتاب : التحايج طبيعته و مجالاته و وظائفه، تنسيق : حمو النقاري ، ص 30 .

(4) أمبرتو إيكو ، السيميائية و فلسفة اللغة ، ص 234 .

(5) عمر أوكان ، اللغة و الخطاب ، ص 126 .

من الغصن الواحد أنواعا من الثمر، إذ لا تبرز دائما كزخرفة إضافية أو مصطنعة أو ضربا من التزييق»⁽⁶⁾؛ أو ضمن ما أسماه عبد القاهر الجرجاني «الاستعارة غير المفيدة»⁽⁷⁾، التي لا تغدو أن تكون مجرد تلاعب بالألفاظ، فقد نظر إليها كنشاط لغوي خالص.

أمّا عن حجاجية الاستعارة فإنها تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، و بقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، و الاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر ارتباطا بمقاصد المتكلمين، وبسياقاتهم التخاطبية، و التواصلية أما الاستعارة غير الحجاجية أو البديعية « فإنها تكون مقصودة لذاتها، ولا ترتبط بالمتكلمين و بمقاصدهم وأهدافهم الحجاجية، و إنّما نجد هذا النوع من الاستعارة عند بعض الأدباء و الفنانين الذين يهدفون من ورائه إلى إظهار تمكنهم من اللغة، فالسياق هنا سياق الزخرف اللفظي و التفنن الأسلوبي، و ليس سياق التواصل و التخاطب»⁽¹⁾.

وأمّا المفيد منها يوظف في كثير من الأحيان في خدمة الإستراتيجية الخطابية، إذ يمكننا أن نعد الاستعارة براديجما حجاجيا « فالاستعارة في اللغة الشعرية هي بمثابة النموذج في اللغة العلمية المرتبطة بالواقع »⁽²⁾؛ إذ تعدّ الاستعارة الحية⁽³⁾ _ فعالية حجاجية للغة و الفكر معا؛ إذ تدفع بالتجربة المعيشة إلى اللغة .

وتتشغل الاستعارة حجاجيا من خلال عملية الاستبدال بوصفها حركة براديجمية يتم من خلالها بيان قضية بتشبيهها و نقلها إلى فضاء مجازي، وبالتالي تتمحي الحالة التي يكون المتكلم قاصرا عن أداء مقصده محيلا بذلك إلى مكان تنبئ يستشرف فيه مقاصده، وإلى حين تحققها يكون قد أقنع و أفهم، وبهذا فإنّه « في كل استعارة يوجد مبدأ استبدال »⁽⁴⁾.

إنّ موقع الاستعارة في الخطاب الأدبي ضروري من أجل الفهم، ودليل ذلك أنه إذا تخلصنا من مضمون الاستعارة أو استبدلناه بمفهوم فإننا نصطدم بحالة ابتذال أو سوء فهم أو ضмор لمسار الفكرة و تلاشيها، فالاستعارة بوصفها تمثيلا مركبا من تخيل و تصوير هي شكل خطابي يدفع بالحجة إلى مستوى لا يتحدد معه ميزان لمعرفة قيم الحقيقة فيقع البرهان ، هذا لا يعني أن الاستعارة مفرغة من بعدها المنطقي، وإنما هي انزياح، فلا تنضبط بقياس، ولا تستقيم بتعد، ولا تميل إلى استدلال صريح، فلا ضامن لها و لا هي ضامن لما يستقدم من المعنى؛ بل تحضر بذاتها كجزء من منطق اللغة ، بما هي مجال للاطراد و التكرار و الاستبدال و التخييل و التمثيل.

(6) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 275 .

(7) المرجع نفسه ، ص 61.

(1) أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، العمدة في الطبع ، ط1، 2006، ص 109 .

(2) عمارة ناصر ، الفلسفة و البلاغة ، مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط1، 2009 ، ص 156 .

(3) و هو اسم كتاب لبول ريكور .

(4) عمارة ناصر ، الفلسفة و البلاغة ، ص 157.

والاستعارة باعتبارها تمثيلاً فإنّها تسقط علاقات مستفادة سابقاً على مجال مجهول، أو تبدع علاقات جديدة من منطلق تشابه ما وتلعب دوراً في الابتكار والتدليل والحجاج، يقول بيرلمان: «التمثيل الذي لا أحد قد نفى دوره في الابتكار يقدم نمطاً أساسياً من الدليل بالنسبة للبعض، في حين ينظر إليه بحذر من طرف آخرين، لكن يبدو أنّه من المحال جداً الاستغناء عنه كلما تطرق العقل لميدان جديد أو مألوف قليلاً»⁽⁵⁾، وفي هذا المعنى يقول بيرلمان: «إنّه في تطوراته يفتقر التمثيل باعتبار دوره في الابتكار و باعتبار دوره في البرهنة»⁽¹⁾، وباعتبار القسم الثاني «يجب الاحتفاظ به في الحدود التي لا يمكن تجاوزها بدون خسران، إذا كنا نرغب في تقوية قناعة ما»⁽²⁾.

فالحجاج من هذا المنطلق دعوة المرسل إلى تعاقد ضمني مشترك، يتم فيه إنتاج و تبادل وجهات نظر و تعزيزها بأساليب متنوعة، والتمثيل أبرزها، ذلك أن علاقة الحجاج بالبلاغة علاقة تلازمية، فكلّما كان التمثيل «حجاجاً كان برهانه أنور، و سلطانه أفقر، و بيانه أهر»⁽³⁾.

ومن ثمّ فالاستعارة الحجاجية برهان و سلطان و بيان؛ فالبرهان «براديعم شبه استدلال، يقدم مثلاً على فكرة في رسم لها أفقاً هو طريق إلى الاقتناع، واستدخال لعالم ممكن و محتمل، وأما السلطان فقوة الاستعارة في الهيمنة على أفق الانتظار لدى المخاطب... فتكون داعية على فعل مستقبلي هو متحقق بذاته بمقتضى القرار الذي انتهت إليه الاستعارة... إذ ليست مجرد مجاز يحيل إلى فضاء تخيلي في اللغة؛ بل هي عملية استبدال و تحويل داخل الوعي نفسه، أما البيان فسلوك انزياحي للغة من خلال الاستعارة و داخل اللغة نفسها، مقصده الفهم و البيان... ففيه شرح و تفسير و تأويل وفق نموذج الغموض من أجل الوضوح، والالتباس من أجل البيان، والغز من أجل الحقيقة»⁽⁴⁾.

والاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني فرع من التشبيه، يقول: التشبيه كالأصل في الاستعارة، وهي تشبيه بالفرع له صورة مقتضبة من صورته»⁽⁵⁾، فجّلّ كتب البلاغة تعرف الاستعارة على أنها تشبيه حذف أحد طرفيه، والاختلاف بينهما يكمن في حضور الأداة في التشبيه، وغيابها في الاستعارة.

كما تربط طرفي الاستعارة علاقة تلاحم و تقارب لدرجة أن يصيرا شيئاً واحداً، وهو ما يجعل من الاستعارة لدى أرسطو ترتب خاتمة التطابق، و هذا استجابة فلسفية تؤمن بالوجود المستقل في ذاته لموضوعات العالم، لتغدو اللغة حينها مرآة تقوم بنسخ موضوعات و أشياء العالم، وتقوم بترجمتها في نسق سيميائي دال⁽⁶⁾.

(5) Perlman logique et Argumentation, p 134

نقلاً عن: بناصر البعزاتي، الصلة بين التمثيل والاستنباط، ضمن كتاب: التحايج طبيعته و مجالاته، تنسيق: حمو النقاري، ص 29.

(1) المرجع السابق، ص 30.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 115.

(4) عمارة ناصر، الفلسفة و البلاغة، ص 160.

(5) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 253.

(6) أحمد يوسف، السيميائيات الوصفة، ص 121.

إلا أن هذه الرؤية للاستعارة تم تجاوزها، فبقدر ما تقوم الاستعارة على التشابه، كذلك تنبني على التنافر و التباين جراء التفاعل الحاصل بين الطرفين، مما يؤدي إلى وحدتهما فالتوتر الموجود بين المعنيين الحرفي و المجازي كما يرى بول ريكور يساهم في خلق تلقائي على صعيد الجملة بأكملها، مما يؤدي لانبثاق دلالات جديدة، وهذا مما يجعل الاستعارة أقرب إلى حل لغز منها إلى المشابهة، فالاستعارات الميتة من طراز « أرجل الكرسي » لا تمثل أي ابتكار دلالي كون الاستجابة للتنافر فيها كبيرة جدا، و يشكل ذلك توسيعا جديدا على مستوى الجملة برمتها⁽⁷⁾، كما تنبني على المشابهة الإبداعية أو التصورية، والتي تنتج من خلال تفاعل البشر مع محيطهم، وليس على مجرد المشابهة القبلية، وكلما كانت أطراف الاستعارة أكثر تنافرا و تباعدا كلما كانت الاستعارة أكثر إشراقا و إبداعا .

وفكرة أن الاستعارة تتكون جراء عملية استبدال لفظ حقيقي بلفظ مجازي يجعلها تنحصر في مبدأ الانتقاء والاختيار، فانطلاقا هذا التصور تصبح « الاستعارة تحويل اسم شيء إلى شيء آخر بواسطة القياس »⁽¹⁾، وقد اقتضى هذا التصور تبني الاستعارة على كلمة واحدة، و أهمل دور السياق في بناء معناها و استخلاصه⁽²⁾.

× السياق و تأويل الاستعارة :

كثيرا ما نلفي في دراسات البنيويين عبارات من قبيل « التعابير اللغوية أوعية للدلالات »⁽³⁾، فتقتضي بذلك أن يكون للألفاظ و الجمل دلالات مستقلة عن السياق و عن المتكلم . بيد أنه تأكد أن لفهم الاستعارة لا بد من وضع العوامل الشخصية و السياقية في الحسبان؛ إذ « الاستعارة تتكون من عناصر لغوية وغير لغوية، ولأنها تعبير عن تصور ذهني فإنها ترتبط ارتباطا وثيقا بنظام اللغة الأصلية ، و بالتجربة الحياتية المستمدة منها. وترتبط الاستعارة أيضا بالنظم الاجتماعية الثقافية، إضافة إلى النظام الأدبي في اللغة الأصلية. ويتم تقبل الاستعارة من قبل قارئها في لغتها الأصلية من خلال التقبل الذهني لها، إضافة إلى قدرة هذا القارئ اللغوية والثقافية... وتلعب العوامل الشخصية مثل المهارة اللغوية و الأدبية و التجربة الحياتية دورا مهما في تفسير الاستعارة ، إضافة إلى العوامل العامة التي تحكم تقبل المجتمع بأسره لهذه الاستعارة »⁽⁴⁾.

(7) بتصرف عن : بول ريكور ، نظرية التأويل (الخطاب و فائض المعنى) ، ص 92 ، 93 .

(1) أمبرتو إيكو ، السيميائية و فلسفة اللغة ، ص 243 .

(2) يؤكد ريتشاردز على أن الكلمة المفردة لا تتوفر على معنى في ذاتها ، وإنما هو حاصل تفاعل ما يجاورها من كلمات حاضرة كانت أم غائبة عن السياق ، فقضييتها قضية الرقعة الملونة في لوحة ، و التي لا تكتسب حجما و لا مساحة إلا بعد وضعها في إطار معين . أنظر : آيفور أرمسترونغ ريتشاردز ، فلسفة البلاغة ، تر: سعيد الغانمي و ناصر حلاوي ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء، دط، 2002، ص 5-6 .

(3) لايكوف جورج و مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها ، تر: عبد المجيد جحفة ، دار تونقال للنشر ، ط2، 2009، ص 30 .

(4) عيد بليغ ، الرؤية التداولية للاستعارة ، مجلة علامات 23، المغرب ، سبتمبر 2005، ص 102 .

وفي الاستعارة تعمل اللغة على نحو استعاري ينفي عن الكلمات معانيها الحرفية ،ويكسبها معاني سياقية «هذا التوسع في المعنى تحكمه ضوابط لغوية و تداولية لتعيين الدلالة من ورائه،والسياق هو الذي يستبقي المعنى الملائم،و يستبعد ذلك الذي لا يناسب المقام»⁽⁵⁾.

كذلك يؤكد محمد مفتاح على مركزية السياق التداولي في فهم الاستعارة وتأويلها،وينجم عن ذلك انفتاح الاستعارة على سلسلة من التأويلات و القراءات،التي تتعدد بتعدد السياقات الواردة فيها،وذلك بمراعاة الشروط النفسية،الثقافية ، البيئية ، المقاصد ، و كذا الأهداف،حيث يتم تبلور المعاني جراء حضور الأطراف المتمثلة في المتكلم،المخاطب،ومقام الكلام .و كذا إدماجه لعنصر التناسل كون الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية تبني أساسا على ما يدعى بالسيناريوهات التناسلية ؛ أي تواجد نواة معنوية يمكن عدّها بمثابة نص سابق ،حيث أنّ كل استعارة تستدعي الأخرى ، مما يولد الانسجام ،وهنا ممكن الثراء الموسوعي للاستعارة⁽⁶⁾.

x قصدية الاستعارة :

سبق و أشرنا إلى أنّ الإنسان يحيا بالاستعارة كون «اللغة في جوهرها استعارية،أي أنّها تغير العلاقات غير المدركة قبلا للأشياء،وتعمل على إدامة هذا الإدراك أو الفهم»⁽¹⁾،إذ هي جزء لا يتجزأ من نسقنا الفكري العادي، إنّها « المبدأ الحاضر في اللغة»⁽²⁾.ويكمن جوهر الاستعارة لدى لايكوف و جونسون في أنّها « تتيح فهم شيء ما (وتجربته أو معاناته) انطلاقا من شيء آخر»⁽³⁾، إنّها عملية ذهنية تتعدى مجال اللغة إلى مجال الفكر ومن خلالها ندرك العالم من حولنا و نمارس تجاربنا فيه .

ويعد سيرل (Searl) من أهم الباحثين الذين اهتموا بدراسة معنى الجملة في حالة فعلها،وقد كانت الاستعارة إحدى الإشكالات التي واجهها،فتوصل إلى تقويض المفهوم السائد عن ازدواجية المعنى في العبارة الواحدة،أي تضمنها المعنى الحرفي و المعنى المجازي،ويرى أن الجملة لا تمتلك إلا معناها فقط،وما الحديث عن معنى استعاري إلا حديثا عن المقصديات الممكنة للمتكلم⁽⁴⁾.

(5) صابر الحباشة ، صور المعاني بين أوستين و الجرجاني ، مجلة أفق الثقافية ، انظر الرابط : <http://ofouq.com> بتاريخ : 25 /مارس /2012 سا :16:32 .

(6) أنظر : محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناسل) ، ص 25 .

(1) ريتشاردز ، فلسفة البلاغة ، ص 92 .

(2) المرجع نفسه ، ص 93 .

(3) لايكوف ، الاستعارات التي نحيها ، ص 23 .

(4) أنظر : سعيد الحنصالي ، الاستعارات و الشعر العربي الحديث ، دار تويقال ، دط ، 2005 ص 82.—

و يميّز سيرل بين معنيين ؛ الأول معنى تلفظ المتكلم، و الثاني هو معنى الجملة، حيث « يكون المعنى الاستعاري دائما هو معنى تلفظ المتكلم... ففي حالة المنطوق الحرفي هناك تطابقا بين معنى المتكلم ومعنى الجملة، بينما في حالة المنطوق الاستعاري يكون هناك اختلاف بين معنى المتكلم و معنى الجملة »⁽⁵⁾.

ويولي سيرل التمييز بين المعنى الحرفي و معنى المتكلم أهمية في دراسة المنطوق الاستعاري، وتعد مشكلة الاستعارة عنده جزءاً من مشكلة لغوية عامة، هي تفسير الكيفية التي ينزل فيها معنى المتكلم عن معنى الجملة أو الكلمة، أو بعبارة أخرى: كيف تقول شيئا و تعني شيئا آخر⁽⁶⁾.

ولذلك اعتمد على المعنى الحرفي بشكل أساسي في التوصل إلى المعنى الاستعاري ، فرأى أنّه في حال مطابقة المعنى الحرفي للجملة لمقصود المتكلم فإنّ المنطوق نفسه يعد منطوقا حرفيا؛ أي غير محمل بمقاصد وراء التركيب النحوي.

وفي المقابل عقب جيري مورجان (J.Morgan) على اهتمام سيرل بالمعنى الحرفي، بوصفه الموصل الوحيد للمعنى الاستعاري ، و قد انطلق مورجان من النظرية التي ترفض وجود صيغ محددة لشرح الاستعارة و تفسيرها، والتي تنفي أيضا إمكانية استبدال التعبيرات الاستعارية بتعبيرات حرفية مساوية، وتبنى هذه الرؤية على أن التفسير الحرفي للاستعارة يفقدها الكثير من المعاني ، ذلك « أن معنى الاستعارة يقفز إلى الذهن بشكل فوري نتيجة لعمل الحدس »⁽¹⁾.

فمن الخطأ الاستدلال على المعنى المجازي الاستعاري من المعنى الحرفي للجملة الاستعارية، مشيرا أنّ ثمة عناصر تداولية تتدخل في عملية التأويل، و أنّ هذا التأويل يتم بوسائل كثيرة، و هو هنا لا ينفي أن تكون الوسيلة اللغوية هي الحاملة للدلالة الثانية .

ويضيف مورجان بعدا تداوليا آخر في دراسته للاستعارة، وذلك أنّ تمييزه بين المؤلف منها و المستحدث، فالأولى لم تعد بحاجة إلى التتبع الاستدلالي بتعبير سيرل، بيد أنّ الاستعارة الحية تختلف عنها من المنظور التداولي بشكل واضح ، فالمتلقي يتقبل الاستعارة الحية لاحتفاظها ببعدها المجازي ، و لاحتفاظها بطرافتها و جدتها .

وعلى بالرغم من جهود سيرل إلا أنّ معالجته للاستعارة تبقى قاصرة لأسباب عدة⁽²⁾، على أنّها ارتبطت عنده بمعنى المتكلم، وليس بمعنى الجملة، ويلخص إيكو ما يراه سيرل بقوله: «إنّ الطبيعة الاستعارية للمفوض ما

(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) أحمد صيرة ، التفكير الاستعاري في الدراسات الغربية ، دار الصديقان للنشر و الإعلان ، الإسكندرية ، دط، 1998، ص 65 ، نقلا عن : عيد بلع ، الرؤية التداولية للاستعارة ، ص 99 .

(1) يوسف أبو العدوس ، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، منشورات الأهلية ، عمان ، الأردن ، 1997 ، ص 115.

(2) أنظر : سعيد الحنصالي ، الاستعارات و الشعر العربي الحديث ، ص 83 ، 84 .

تعود إلى قصدية المؤلف و اختياره، وليس إلى أسباب داخلية للبنية الموسوعية»⁽³⁾، إلا أنه لا يوافق؛ إذ لا يعني هذا أن قصدية المتكلم ستكون حاسمة في التعرف على الطابع الاستعاري للمفوض ما⁽⁴⁾.

و ينبثق التأويل الاستعاري في تصور إيكو من التفاعل بين المؤول و النص، وهذا التأويل تفرضه طبيعة النص كما يفرضه الإطار العام للمعارف الموسوعية لثقافة ما، وفي جميع الحالات فإن النتيجة لا علاقة لها بقصدية المتكلم... فالنظر إلى أي ملفوظ نظرة استعارية يقتضي أن تسعفه في ذلك الموسوعة... وإن معيار مشروعية (التأويل) لا يمكن أن يأتي إلا من السياق العام المتضمن للملفوظ⁽⁵⁾.

× مقبولة الاستعارة

لمعرفة مدى نجاح الاستعارة تداولياً فإنها تقاس بدرجة تقبل المتلقي لها «فالسائل البلاغية تشتغل وفق تراتبية تنتظمها، والذي جعلها على تلك الشاكلة هو القصد الذي تعتمد إلى إحداثه في المتقبل، فكلمًا كان استحصال المعنى أوفر، وإثباته أيقن كانت الوسيلة البلاغية أرفع مرتبة. فالوسائل البلاغية _ التشبيه و الاستعارة _ تقاس بدرجة التأثير الذي تحدثه في نفس المتقبل، وهو تأثير... زئبقي لا ينصاع لمعيار»⁽⁶⁾.

كما تتحدد مقبوليتها بمدى خضوعها لقواعد المحادثة التي تعرف بمبادئ غرايس، فالنشاط الاستعاري يتلخص في اختراق القواعد الأربعة وهي انتهاك «قاعدة النوع (ليكن إسهامك في الحديث صادقاً)، وقاعدة الكم (ليكن إسهامك في الحديث إخبارياً أكثر ما يمكن و بحسب ما تتطلبه وضعية المحادثة)، وقاعدة الطريقة (كن واضحاً)، وقاعدة المناسبة (ليكن إسهامك مناسباً لموضوع المحادثة)»⁽¹⁾.

× مبدأ النوع أو الكيف: إن استعمال الاستعارة ليس معناه الكذب⁽²⁾، وإلا لما يكلف المتكلم نفسه عناء البحث عن بناءات استعارية داخل اللغة إن كانت مقاصده واضحة و كانت بنيته التصورية تقوم أساساً على الاستعارة، وأن الطابع الابتكاري للغة يأتي من تلقاء نفسه دون وعي بذلك⁽³⁾.

ويرى لايكوف و جونسون أنه لا يوجد صدق موضوعي مطلق و غير مشروط، وإنما «الصدق دائماً يبنى بالنظر إلى نسق تصوري ثم تحديد جزء كبير منه من خلال الاستعارة»⁽⁴⁾، إذ يمكن للاستعارات أن تتضمن حقائق تتعدى نطاق التعابير الحرفية، فليس بالضرورة يظهر المتكلم عكس ما يخفي، ولا يقتصر غرضه فقط على تقديم معلومات ملتبسة للمتلقى⁽⁵⁾، وإنما يمكن للاستعارة أن تكون صادقة تعكس الواقع بإحكام.

(3) أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات و التفكيكية، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 2004، ص 159.

(4) المرجع نفسه، ص 160.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) صابر الحباشة، صور المعاني بين أوستين و الجرجاني، مجلة افق الثقافية انظر الرابط: <http://ofouq.com> بتاريخ: 25 مارس 2012/ سا 16:32.

(1) أمبرتو إيكو، السيميائية و فلسفة اللغة، ص 238.

(2) سعيد الحنصالي، الاستعارات و الشعر العربي الحديث، ص 150.

(3) المرجع نفسه، ص 83، 84.

(4) المرجع نفسه، ص 163.

(5) أمبرتو إيكو، السيميائية و فلسفة اللغة، ص 238.

× **مبدأ الكم:** يمكن للاستعارة أن تتوافق مع هذا المبدأ و المساهمة في التخاطب، وبإمكانها أن تكون إخبارية و ليس بالضرورة أن ترتبط بالإيجاز و الاختصار مما لا يتناسب مع وضعية الحوار و المحادثة⁽⁶⁾.

× **مبدأ الطريقة أو الأسلوب:** يمكن للاستعارة أن تتضمن إثباتات حرفية أو حقائق حرفية، وبالتالي تستجيب لمبدأ الوضوح، فليس بالضرورة أن من يستعمل استعارة فهو يتكلم بطريقة غامضة ، كما أن هدفها ليس إضفاء نوع من الالتباس و الغموض⁽⁷⁾.

× **مبدأ المناسبة أو العلاقة:** يمكن أن ننشئ استعارات بشكل عفوي، ولا أدل على ذلك من الاستعارات الوضعية التي نستعملها بشكل عفوي و تلقائي، و بدون أي قصد، ذلك أن نسقنا التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا استعاري بطبيعته، فإنناج الاستعارات ليس بالضرورة عملية مقصودة

× الاستعارة و التشخيص :

إنَّ القدرة على فهم التجربة عن طريق الاستعارة تعد معنى في حد ذاتها، وهي في ذلك مثل استخدام حاسة الرؤية أو حاسة اللمس في حصول بعض الإدراكات، وهذا يعني أننا لا ندرك مظاهر العالم و مكوناته، ولا نباشر التجربة إلاَّ عن طريق بعض الاستعارات؛ إذ أنَّها تلعب دورا يوازي من حيث أهميته ذلك الدور الذي تلعبه حواسنا في إدراك العالم و ممارسة تجربته، فالاستعارة من هذه الرؤية «مظهر ثقافي»⁽⁸⁾، وليست مجرد مظهر لغوي صرف .

كذلك فإنَّ من يقرأ كتاب **كليلة و دمنة** يجد أن الاستعارة اكتسحت جلَّ صفحات الكتاب، من حيث كثرتها و كثافتها ودلالاتها، فهي " **فعل كلامي حجاجي جامع** " (Macro de langage)، **نص كليلة و دمنة** نص استعاري بامتياز بالنسبة لوضعه (بيديا)، قصد منه استعارة دلالات جاءت على ألسنة الحيوانات تشبه دلالات و عوالم خاصة بعالم البشر ضمن ما يسمى " **التشخيص** " Perssonalisatio ، فبالاستعارة ترى «الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية ...أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنَّها قد جسمت حتى رأها العيون، وإن شئت لطف الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون»⁽¹⁾.

نستطيع أن نسمي هذا النوع بـ " **الاستعارة الكبرى** "؛ إذ يغذي التشخيص نص **كليلة و دمنة** بأكمله، والتشخيص « مقولة عامة تغطي عددا كبيرا من الاستعارات حيث تتقي كل منها مظاهر مختلفة لشخص

(6) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(7) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(8) لايكوف ، الاستعارات التي نجح بها ، ص 12 .

(1) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 43 .

ما أو طرقا مختلفة للنظر إليه، و ما تشترك فيه كل هذه الاستعارات أنَّها تسمح لنا بأن نعطي معنى للظواهر في هذا العالم عن طريق ما هو بشري، فنفهمها اعتمادا على محفزاتنا و أهدافنا و أنشطتنا و خصائصنا»⁽²⁾.

والتشخيص لدى بنفنيست (Benveniste) خاصة تلفظية، أو هو الإطار التشخيصي للتلفظ لاقتضاء التلفظ كبنية حوارية لصورتين هما مصدر التلفظ و هدفه⁽³⁾، وهو نوع من أنواع الحجاج سماه **طه عبد الرحمن** « الحجاج التقويمي »، الذي « يعتمد فيه المستدل إلى تجريد ذات ثانية من ذاته يتزلها منزلة المعارض على قوله، يستنبط من فعل التلقي لديها كل ردود الفعل المحتمل: استفسارات، واعتراضات، ويستحضر بهذا مختلف الأجوبة عليها و مستكشفا في الوقت نفسه إمكانات نقبلها و اقتناع المخاطب بها »⁽⁴⁾، **والتشخيص** عند **بيرلمان** دراسة لطبيعة العقول تستدعي أحسن السبل لمخاورتها، والإصغاء إليها، و حيازة انسجامها الإيجابي (L' adhésion positive)، والتحامها مع الطرح المعروض، وهذه الأمور النفسية و الاجتماعية تفقد بغياها الحجاج تأثيره و غايته⁽⁵⁾.

وعليه فإنَّ الاستعارة خاصة جوهرية في الخطاب، ليس باعتبارها زحرفا لفظيا و بيانيا فحسب؛ بل لكونها «آلية تساهم كباقي الآليات في بناء القول الحجاجي من مختلف النواحي الحجاجية (الاستدلال و التأثير و الإقناع)»⁽⁶⁾، إنما فن لغوي تداولي يعطي للقول قوته الدلالية و أصابته النفسية تأثيرا و انفعالا و استحسانا .

3-3- الألوان البديعية :

علم البديع في اصطلاح البلاغيين: «علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة»⁽¹⁾، كذلك فإنَّ المستعرض لألوان البديع يكتشف ما فيها من حسن وجمال وطرافة و بهجة لقارئها. وإن عرف العرب البديع في أشعارهم و أدوا به أغراضهم، فأتاروا الشعور و أيقظوا الوجدان و هيَّجوا العواطف و ألهبوا النفوس؛ فإن للنثر نصيب منه، وهو ما نلحظه في كتاب **كليلة ودمنة** ؛ إذ يعد من الأساليب المؤدية للمعاني أحسن أداء ، و مما زاده جمالا و طرافة جلالة المعنى أن ورد معظمه في النصائح و الحكم.

(2) لايكوف، الاستعارات التي نغيا بها ، ص 54 .

(3) حبيب أعراب ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي ، ص 104 .

(4) طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 228 .

(5) محمد سالم ولد محمد الأمين ، مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة ، عالم الفكر، الكويت ، ع 2 ، يناير ، مارس ، 2000 ، ص 44.

(6) عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير، ص 112.

(1) القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 317 .

ومن أبرز أساليب البديع المستثمرة في كلييلة ودمنة نجد المطابقة والجمع مع التقسيم والتفريق و التوشيع، وهي أساليب تحمل سامعها طواعية إلى الالتزام بالنصائح و تقبلها. هذه النصائح لم تأت بثوب يدعو إلى الضجر و الملل و النفور، وإنما صيغت بأساليب انصهرت فيها الألفاظ مع المعاني، بحيث لم يشعر مستقبلها بشيء من التكلف، وإنما سرى الكلام على طبيعته. وما تنوع الطرق التعبيرية تلك إلا لتنوع المضامين و الأغراض، كل ذلك في صور تتناسب و المستوى الفكري و الإدراكي للمتلقي، لكي يكون لها أبلغ الأثر في تقييم أخلاقه، و من ثم تقويمها .

3-3-1- المطابقة أو المقابلة :ومثلها في كلييلة ودمنة :«وأعمال السلطان كثيرة، و الذين يحتاج إليهم من العمال والأعوان كثيرون، ومن يجمع منهم ما ذكرت من النصيحة و العفاف قليل... ثم عليه بعد ذلك إنفاذ من يثق به للكشف عن أعمالهم، و تفقد أمورهم بالسر الخفي حتى لا يخفى عليه إحسان محسن و لا إساءة مسيء، فإن لم يفعل ذلك قهوان المحسن و اجتراً المسيء، و في عرض ذلك قهلك الرعية و يفسد الملك» (2).

فمن الموضوعات التي لم تغفل في كلييلة ودمنة ما يتعلق بالسلطان و ما عليه من مهام، باعتبار تجسيده لمؤسسة السلطة ومعالجته لجوانبها السياسية و الحقوقية و الإدارية و الدستورية، فبذلك ترقى الأمة ويستقيم حالها، إلا أن الحاكم لا يستطيع إدارة أمور الدولة لوحده؛ وإنما يحتاج في ذلك لأعوان تتولى تنفيذ توجيهاته، ونقلها إلى الواقع بتحويلها إلى مشاريع ملموسة. وقد ساهمت المقابلة في إجلاء هذه المعاني و غيرها، وأدائها أكمل أداء؛ إذ معنى كهذا لا يستطيع التعبير عنه بوضوح دون اللجوء إلى المتضادات من الألفاظ، والمتقابلات من العبارة، والتي تضارع التضاد الحاصل في المجتمعات، و ذلك مما أضفى على كلام ابن المقفع جمالا و روعة تجذب السامع /القارئ إليها . وقد جاءت المقابلة لتسلط الضوء على جانب حساس حقيق بالسلطان النظر فيه، يقول: «عليه ... تفقد أمورهم بالسر الخفي حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء»، وهو من قبيل مقابلة اثنين باثنين ؛ إذ استدعت كلمة (إحسان) كلمة (إساءة)، واستدعت كلمة (محسن) كلمة (مسيء) ، و كذلك في قوله: «فإن لم يفعل ذلك قهوان المحسن و اجتراً المسيء»، وهي أيضا من قبيل مقابلة اثنين باثنين ، حيث استدعت كلمة (قهوان) كلمة (اجتراً) ، و استدعت كلمة (المحسن) كلمة (المسيء) .

3-3-2- الجمع مع التقسيم والتفريق: وهو لون بديعي وارد بكثرة في كلييلة ودمنة، ألا وهو "الجمع مع التقسيم والتفريق"، هذه الأنواع الثلاثة إذا «وقعت في الكلام بلغ مبلغا عظيما في حسن التأليف و إعطاء الفصاحة حقها» (1)، والجمع «أن تدخل نوعين فصاعدا في نوع واحد» (2)، كقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ

(2) كلييلة و دمنة ، ص 280 ، 281 .

(1) يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليميني ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز ، مراجعة و ضبط و تدقيق : محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1995 ، ص 466 .

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿سورة الكهف، آية 47﴾ ، فقد جمع سبحانه و تعالى المال و البنون في الزينة، وأمّا التفريق فهو في اصطلاح البلاغيين: «إيقاع تباين بين أمرين في نوع واحد من المدح أو غيره» (3). وأمّا التقسيم «ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين» (4)، فقيده بالتعيين ليخرجه عن اللف و النشر، يقول: «وهذا يقتضي أن يكون التقسيم أعم من اللف و النشر» (5). وأمّا الجمع مع التفريق فهو «أن تدخل شيئين في معنى واحد، وتفرق بين جهتي الإدخال» (6)، ومثله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [سورة الإسراء ، آية 12] ، فالجمع هنا بين الليل و النهار في حكم، وهو أن كلا منهما آية أو علامة على القدرة و الحكمة ، ولكنه فرّق بينهما في الحكم نفسه ؛ إذ الليل مظلم و النهار مضيء .

ومثله في كليله ودمنة: «قال(الملك) في نفسه: لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف، وضيعت واجب حقه، وحملني على ذلك سرعة الغضب. وقد قالت العلماء: أربعة لا ينبغي أن تكون في الملوك: الغضب، فإنه أجدر الأشياء مقتنا، والبخل، فإن صاحبه ليس بمعذور مع يده، والكذب، فإنه ليس لأحد أن يجاوره، والعنف في المخاورة ، فإن السفه ليس من شأنها» (7).

وأمّا الجمع مع التقسيم فهو: «جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه ، أو تقسيمه ثم جمعه» (8). ومثله في كليله ودمنة:

«واعلم أن عقل الرجل يستبين في هذه الثماني الخصال: الأولى الرفق و التلطف، و الثانية أن يعرف الرجل نفسه فيحفظها، والثالثة طاعة الملوك و أن يتحرى ما يرضيهم، والرابعة معرفة الرجل موضع سره كيف ينبغي أن يطلع عليه صديقه، والخامسة أن يكون على أبواب الملوك أديبا حيلا ملق اللسان، والسادسة أن يكون لسره و سر غيره صادقا، والسابعة أن يكون على لسانه قادرا فلا يلفظ من الكلام إلا ما قد تروى فيه وقدّره فلا يطلع عليه إلا الثقة، والثامنة أن لا يتكلم إذا كان في ما لم يستيقنه، ولم يظهر من الأمر ما يندم عليه . فمن اجتمعت فيه هذه الخصال كان هو الداعي إلى الخير و الريح، والمجتنب الشر و الخسران... وكان أهلا أن يشفع في طلبته و يسعف بحاجته و يعطى سؤله» (1).

(2) صفى الدين الحلبي، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تح: نسيب نشاوي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، دت، دط، ص 166

(3) القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 367 ، أنظر أيضا : صفى الدين الحلبي ، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة و محاسن البديع ، ص 167 .

(4) القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 334 .

(5) المرجع نفسه ، ص 335 .

(6) صفى الدين الحلبي ، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة و محاسن البديع ، ص 170 ، و القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 335 .

(7) كليله و دمنة ، ص 28 .

(8) القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 335 .

(1) كليله و دمنة ، ص 45 ، 46.

وكذلك: «وقد قالت العلماء: إن ثلاثة لا يجترئ عليهن أهوج و لا يسلم منهن إلا قليل، وهي صحبة السلطان و ائتمان النساء على الأسرار و شرب السم للتجربة»⁽²⁾. وكذلك: «و قد قيل في أشياء ليس لها ثبات و لا بقاء: ظل الغمامة في الصيف، وخلة الأشرار، وعشق النساء، والنبا الكاذب و المال الكثير»⁽³⁾. و «وللأسرار منازل، منها ما يدخل فيه الرهط، ومنها ما يستعان فيه بالقوم، ومنها ما يدخل فيه الرجال»⁽⁴⁾، و «أربعة أشياء أصفار: النهر الذي ليس فيه ماء، والأرض التي ليس فيها ملك والمرأة التي ليس لها بعل، والجاهل الذي لا يعرف الخير من الشر»⁽⁵⁾. ومثله: «ويقال: أربعة أشياء لا يستقل قليلها: النار و المرض والعدو و الدين»⁽⁶⁾، فالجمع «أربعة أشياء لا يستقل قليلها»، وفي هذه العبارة غموض و غرابة تستثير الذهن، وتدفع إلى الترقب لما سيأتي من تفصيل: «النار و المرض و العدو و الدين».

أمّا الجمع مع التقسيم و التفريق فهو: «الجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد، ثم التفريق بينها في ذلك الحكم، ثم التقسيم بين الشيئين أو الأشياء المفرقة، بأن يضاف إلى كل ما يلائمه و يناسبه»⁽⁷⁾.

ومثله: «قال دمنة: إنما يؤتى السلطان و يفسد أمره من قبل ستة أشياء: الحرمان و الفتنة و الهوى و الفظاظة و الزمان و الخرق. فأما الحرمان فأن يحرم من صالح الأعوان و النصحاء و الساسة من أهل الرأي و النجدة و الأمانة، وأن يكون من حوله فاسدا مانعا من وصول أمور الملك إليه، وأن يحرم هو أهل النصيحة و الصلاح من عنايته و التفاته إليهم. وأما الفتنة فهي تحارب رعيته و وقوع الخلاف و التزاع بينهم، أما الهوى فالإغرام بالنساء و الحديث واللهو والشراب والصيد و ما أشبه ذلك، وأما الفظاظة فهي إفراط الشدة حتى يجمع اللسان بالشتيم، و اليد بالبطش في غير موضعهما، وأما الزمان فهو ما يصيب الناس من السنين من الموتان، ونقص الثمرات و الغزوات، و أشباه ذلك، وأما الخرق فهو أعمال الشدة في موضع اللين، واللين في موضع الشدة»⁽⁸⁾.

ومثل ذلك: «ومن لا مال له لا عقل له و لا دنيا و لا آخرة له، لأن من نزل به الفقر لا يجد بدا من ترك الحياء، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره مقت نفسه، ومن مقت نفسه كثر حزنه، ومن كثر حزنه قلّ عقله و ارتبك في أمره، ومن قلّ عقله كان أكثر قوله و عمله عليه لا له... ووجدت الفقر رأس كل بلاء و جالبا إلى صاحبه كل مقت و معدن النسيمة، ووجدت الرجل إذا افتقر أقمه من كان له مؤتمنا، وأساء به الظن من كان يظن به حسنا، فإن أذنب غيره كان هو للتهمة موضعا، وليس من خلة هي للغني مدح إلا و هي للفقير ذم، فإن كان شجاعا قيل أهوج، وإن كان جوادا

(2) المصدر نفسه ، ص 104.

(3) المصدر نفسه ، ص 209.

(4) المصدر نفسه ، ص 221.

(5) المصدر نفسه ، ص 311.

(6) المصدر نفسه ، ص 246.

(7) عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية علم البديع ، دار النهضة للطباعة و النشر ، بيروت ، دط، 1985، ص 162 .

(8) كليلة و دمنة ، ص 119، 120.

سمي مبذرا، وإن كان حليما سمي ضعيفا، وإن كان وقورا سمي بليدا، وإن كان صموتا سمي عيبا، وإن كان لسنا سمي مهذارا»⁽¹⁾.

وقد جاء التوشيع في هذا النص في أثناء الكلام و وسطه، فالجمع تجده في قوله: «وليس من خلّة هي للغني مدح إلا و هي للفقير ذم»، ولقد كان ابن المقفع دقيقا في وصف ألوان المهانات التي يلحقها الفقر يصاحبه، فيكون التقسيم: «فإن كان شجاعا... وإن كان جوادا... وإن كان حليما... وإن كان وقورا... وإن كان صموتا... وإن كان لسنا...» ثم يرد التفريق فيما يتعلق بكل واحد بما يلحقه: فالشجاع أهوج، والجواد مبذر، والحليم ضعيف، والوقور بليد، والصموت عيب، واللّسن مهذار.

فابن المقفع نظر في الغني و الفقير و جمع بينهما في صفات تكون مدح للغني إلا أنها عيب للفقير في الوقت نفسه، فقد نظر في جملة صفات متفرقة و جمع بينها في أنها إذا كانت مدحا للغني فهي عيب للفقير، وهو بهذا الجمع أدخلها في حكم واحد ثم نظر في هذه الصفات و استقصاها و حللها و فصلها و ميزها ، ثم فرق بينها عندما نظر إليها نظرة أخرى و أحدث بينها تفريقا لتمييز و تختلف .

وعلى الرغم من دقة التقسيم و بلاغة التفريق إلا أنّ المعنى هنا غير مستساغ و غير مطابق للواقع، فالفقير أحق بالغني من المدح، إذ الرضا و القناعة هما جميع الغني، وهو ما عاد ابن المقفع ليؤكد في أكثر من موضع من الكتاب. ومن هذا الشاهد يتّضح لنا أن التقسيم والتفريق كثيرا ما يتداخلان بشكل يعكس التباين الشديد بين تلك الأقسام، ولا غرو في أنّ هذا الأسلوب هو الجدير بأداء ذلك المعنى، الذي يتلخص في سوء تقدير الناس لبعضهم، وحكمهم على الإنسان بالنظر إلى مكانته ، و حاله ، وسعة يده من عدمها ، و يحتكمون في ذلك إلى درجة التناقض الكلي.

و لا يخفى علينا ما لهذا الأسلوب فاعلية في التأثير على متلقيه، ومما زاد درجة الفاعلية ما تخلل الكلام من مطابقات بديعة ، وذلك في قوله: «ووجدت الرجل إذا افتقر أقمه من كان له مؤثنا، وأساء به الظن من كان يظن به حسنا» في المطابقة بين (أقمه) و(مؤثنا) وهو طباق معنوي، وكذلك في قوله: (أساء به الظن) وقوله : (كان يظن به حسنا) فهذه المطابقة تميزت المعاني و رسخت في نفوس سامعيها .

3-3-3- التوشيع: «ويقال له التوسيع»⁽¹⁾، وهو في اصطلاح البلاغيين أن «يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : يشيب ابن آدم و يشيب فيه حصلتان : الحرص، و طول الأمل»⁽²⁾.

(1) كلية ودمنة ، ص 205 ، 206 .

(1) العلوي ، الطراز ، 89/3 .

(2) صفى الدين الحلي ، شرح الكافية البديعية ، ص 139 .

ويندرج التوشيع عند العلوي ضمن الفصاحة المعنوية، وهي القسم الثاني من أقسام البديع، فمنه: «ما يكون راجعا إلى الفصاحة المعنوية، وهذا هو المراد بعلوم المعاني، وهذا نحو التخييل والاستطراد والتفويف والتوشيع»⁽³⁾.

فلا يخفى علينا ما لهذا الأسلوب من قدرة على اجتذاب سمع المتلقي ، و إبعاد ما قد يسبب الملل و السام لديه؛ إذ النفس كثيرا ما تأبى خطاب الحكمة و الإرشاد و تقويم الأخلاق، لذلك نجد ابن المقفع قد نوع طرق التعبير في كتاب **كلیلة و دمنه** حتى يكسي نصوصه ثوب التجدد و الاختلاف، فتتلقى معانيها بالعقل و السمع و الوجدان ، و هو في كل ذلك يراعي أحوال المخاطب و مستويات إدراكه .

وعن دور التوشيع في أداء المعنى يقول القزويني: «وهو ... الإيضاح بعد الإيهام ليرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضل تمكن فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال و الإيهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل و الإيضاح، فتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا بقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن و كان شعورها به أتم، أو لتكمل اللذة بالعلم به فإن الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم، وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالجهول، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة، وبسبب حرمانها عن الباقي ألم ، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى، واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم»⁽⁴⁾.

وكثيرا ما يتزاحم التوشيع مع الجمع و التقسيم في نصوص ابن المقفع، على أن الكل يندرج ضمن التوشيع، ومن أمثلة ذلك ما جاء على لسان الجرذ: «إن أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين و يتواصلون عليهما و هما: ذات النفس و ذات اليد، فالمتبادلون ذات النفس هم الأصفياء، وأما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتصقون بعضهم الانتفاع ببعض، ومن كان يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا فإنما مثله فيما يبذل و يعطي كمثل الصياد و إلقائه الحب للطير لا يريد بذلك نفع الطير ؛ و إنما يريد نفع نفسه . فتعاطي ذات النفس أفضل من تعاطي ذات اليد»⁽⁵⁾.

ومن التوشيع: «إن الصديق صديقان: طائع ومضطر، وكلاهما يلتصقان بالمنفعة ويحترسان من المضرة، فأما الطائع فيستترسل إليه، ويؤمن في جميع الأحوال، وأما المضطر ففي بعض الأحوال يستترسل إليه، وفي بعضها يتحذر منه»⁽¹⁾.

ففي هذه الأمثلة يتضاهر التوشيع مع الجمع و التقسيم التفريق، فالجمع: «أن أها. الدنيا تتعاطون فيما بينهم أمرين و يتواصلون عليهما»، والتقسيم في «وهما: ذات النفس وذات اليد»، ليأتي التفريق: «فالمتبادلون

(3) العلوي ، الطراز ، 208/3 .

(4) القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 186 .

(5) المرجع نفسه ، ص 198.

(1) كلیلة و دمنه ، ص 267 .

ذات النفس هم الأصفياء، وأما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمسون بعضهم الانتفاع ببعض « والكل ينضوي ضمن التوشيع ، وكذلك المثال الثاني : الجمع: «الصديق صديقان»، والتقسيم: «طائع و مضطر»، والتفريق: «الطائع فيسترسل إليه ، ويؤمن في جميع الأحوال... المضطر ففي بعض الأحوال يسترسل إليه، وفي بعضها يتحذر منه». فمع التنامي يزداد التباين بين تلك الأصناف جميعا، وهذا في قمة التصنيف بحيث تدرج المعنى و توالد، مما يزيد سامعه إحساسا بقيمته و إذعانا له و اقتناعا به .

ومن خلال تتبعنا لهذه النماذج نستنتج أن ابن المقفع إنما قدم لنا صفوة تجاربه، فهو لا يزال يعرضها أحسن معرض من خلال استدعائه للقلب التعبيري المناسب لها. فجاءت ألفاظه تابعة لمعانيها، وقد أصبحت المعاني هي الهدف المنشود و الغرض المقصود، ولقد كان الجمع مع التقسيم و التفريق و أيضا التوشيع أنسب الطرق لأدائها، لما قدم من قوة في الأداء ، وتشويق في العرض، وكمال في الإيضاح و التفصيل .

وعلى الرغم من أن « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها »⁽²⁾ كما قال النبي صلى الله عليه و سلم، ولقوله عز وجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة البقرة، آية 269]، إلا أننا نشهد نفورا من قبل الإنسان عليها، ولذلك احتيج إلى أسلوب لافت مشوق لعرضها، وهو ما تفتن إليه ابن المقفع، إذ لطالما بدا معانيه بصور مجملة مثيرة مبهمة، ومثل ذلك ما سبق ذكره: «الصديق صديقان» أو كقوله: «أربعة أشياء أصفار»، ثم يأتي التفصيل و التوضيح: «طائع و مضطر... فأما الطائع... وأما المضطر...» وفي المثال الثاني: «النهر الذي ليس فيه ماء، والأرض التي ليس فيها ملك، والمرأة التي ليس لها بعل، والجاهل الذي لا يعرف الخير من الشر». فمن الأمور ما يحتاج إلى تدقيق و تحليل و استنتاج ، وهذا من شأنه ترسيخ المعنى في النفس، ذلك أن المعنى إذا جاء إجمالا أولا أوقع السامع في حيرة و استعظام ما وقر أذنه، ففتنه نفسه و تشوق لمعرفة تفصيله، فإذا حصل ذلك، كان التفات النفس إليه أشد و أقوى ، ووقع فيها موقعا بليغا ، فيجد محلا من الفهم و الاستيعاب، ومن ثم التقبل و العمل .

4- الوسائل اللغوية :

يقوم الحجاج عند ديكرو على اللغة بالأساس، فالحجاج كامن من حيث بنيته في اللغة ذاتها ، كما يدل على ذلك عنوان كتابه الموسوم —: الحجاج في اللغة (L'Argumentation dans la langue) ، الذي كتبه جمعية كلود انسكومبر (Anscombe).

وقد اشتغل الباحثان بوجه الخصوص على نظرية الأفعال اللغوية، التي وضع أصولها أوستين، و أقام بناءها في مرحلة موالية سيرل في كتابه "الأفعال اللغوية" (1992)، مبينا أن اللغة ليست نظاما من الأدلة فحسب؛ بل هي

(2) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1، 1995، 151/1.

فعل كلامي ينجزه المتكلم بغية تغيير معين في سلوك مخاطبه ، إن بالفعل أو بالقول ، كما دعا إلى دراسة معنى الأقوال لما تحويه من توجيه، وعلى هذا الأساس جمعت دراسة **ديكرو** و **انسكومبر** بين المكونين: الدلالي والتداولي، على اعتبار أنهما لا ينفصلان ، و قد اصطلح **ديكرو** على ذلك بالتداولية المندمجة (La pragmatique intégrée).

كذلك اهتم الباحثان بدراسة وظيفة الفعل اللغوي المحقق في القول، على أساس أنه الوحدة التكوينية الأصغر والأنسب للدراسة من منظور التداولية، ويرى **طه عبد الرحمن** «أن الوحدات الأولى التي هي الأقل في الخطاب ليست هي "المفردات"؛ إنما هي وحدات حوارية حجاجية ، تتمثل في المركبات التي هي الأقوال»⁽¹⁾. ولأن الهدف الذي يتوصله المحاج من أقواله هو توجيه السامع نحو التصديق و الاقتناع؛ ارتأى **طه عبد الرحمن** تسمية هذا النوع من الحجاج بـ "الحجاج التوجيهي"، ويعرفه بأنه « إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علما بأن التوجيه هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره»⁽²⁾.

كذلك يؤكد الباحث في هذا المقام على أهمية حضور الفعالية الخطابية، التي أساسها، في نظره، حضور المتكلم وحضور الأدوار و الوظائف الخطابية، والأهم حضور قصدية المتكلم دون السامع، على اعتبار أن هذا الأخير لا يشارك في تكوينها ويعرف الحجاج التوجيهي في موضع آخر فيقول «إن كل حجة موجهة هي دليل يأخذ بالفعالية الخطابية في تعلقها بالمتكلم، والدليل على تعلق الحجة الموجهة بالمتكلم هو أنها تعد فعلا قصديا متميزا»⁽³⁾.

كما بين اللغويان أن الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتابع و تترابط على نحو دقيق، وأن المتكلم يجعل قولاً ما إذا أقنع بها المتلقي، ذلك على نحو صريح أو بشكل ضمني، ويرى **ديكرو** أن المتكلم قد يصرح بالنتيجة أو يخفيها، فيستلزم على المتلقي استنتاجها من بنيتها اللغوية.

على هذا النحو يختار المتكلم من الحجج ما يناسب سياق الخطاب، ثم يسوعه في قالب لغوي ملائم لحال السامع، وهذا تأكيد على حضور وظيفة التفاعل في اللغة ، كما هو تأكيد على أهمية الحجاج في كل خطاب، بما يولده من اقتناع لدى السامع ، كما نستنتج أن نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة " أننا نتكلم عامة بقصد التأثير في الآخرين"، و أن الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج .

4-1- الروابط الحجاجية :

(1) طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان ، ص 275 .

(2) المرجع نفسه ، ص 227 .

(3) المرجع نفسه ، ص 259 .

4-1-1-1- لكن: مشددة النون «حرف مشبه بالفعل»⁽¹⁾، ينصب المبتدأ و يرفع الخبر، ومن معانيها التوكيد ، و« تعطي مع ذلك الاستدراك»⁽²⁾، الذي هو « تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه»⁽³⁾. كما « تنسب لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها ، ولذلك لا بد أن يتقدمها كلام مناقض لما بعدها»⁽⁴⁾.

ومثله في كليله ودمنة: «إنَّ ما قلته لكذلك، فإنه يقال لدع النار أيسر على المرء من صحبة الأشرار والإقامة معهم، و لكنَّ العاقل إذا أتاه الأمر الفظيع العظيم الذي يخاف من عدم تحمله الجائحة على نفسه و قومه ، لم يجزع من شدة الصبر عليه لما يرجو من أن يعقبه صبره حسن العاقبة و كثير الخير، فلم يجد لذلك ألما، ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه، حتى يبلغ حاجته فيغبط»⁽⁵⁾. ومثله أيضا: «ما أرى إلا الاجتهاد و المجاهدة بالقتال... و لكنَّ ذا الرأي جاعل القتال آخر الحيل، و بادئ قبل ذلك بما استطاع من رفق و تمحل»⁽⁶⁾. و كذلك: «إنَّ السلطان لا يتوخى بكرامته فضلاء من بحضرته ، ولكنَّه يؤثر الأدنى و من قرب منه»⁽⁷⁾.

4-1-2- إنَّ: «حرف مشبه بالفعل يدخل على المبتدأ و الخبر، فينصب الأول و يسمى اسمه ، و يرفع الثاني و يسمى خبره»⁽⁸⁾، والغالب في إنَّ التوكيد؛ أي « توكيد نسبة الخبر للمبتدأ و إزالة الشك عنها أو الإنكار... وهي بمنزلة تكرار الجملة»⁽⁹⁾، ومثيلتها في ذلك « أنَّ»⁽¹⁰⁾. و كثيرا ما ترد (إنَّ) في الحجاج مقدما للتدعيم الذي تسبقه - في الغالب - النتيجة ، كما في المثال التالي .

«فرايت أن أجود بحياتي، فأكون قد آتيت فيما بيني و بين الحكماء بعدي عذرا، فحملتها على التغير، أو الظفر بما أريده... فإنه يقال في بعض الأمثال: إنَّه لم يبلغ أحد مرتبة إلا بإحدى ثلاث: إما بمشقة تناله في نفسه ، و إما بوضيعة في ماله ، أو وكس في دينه»⁽¹⁾.

(1) إميل بديع يعقوب ، معجم الإعراب و الإملاء ، دار اشرفية ، مطبعة الرهان الرياضي الجزائري ، الجزائر ، دط ، دت ، ص 374 .

(2) ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، 3 / 541 .

(3) ابن هشام الأنصاري ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الشركة المتحدة للتوزيع ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الحادية عشرة ، 1983 ، ص 148.

(4) ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، 3 / 541 .

(5) كليله و دمنة ، ص 242 .

(6) المصدر نفسه ، ص 148.

(7) المصدر نفسه ، ص 102 .

(8) إميل بديع يعقوب ، معجم الإعراب و الإملاء ، ص 86 .

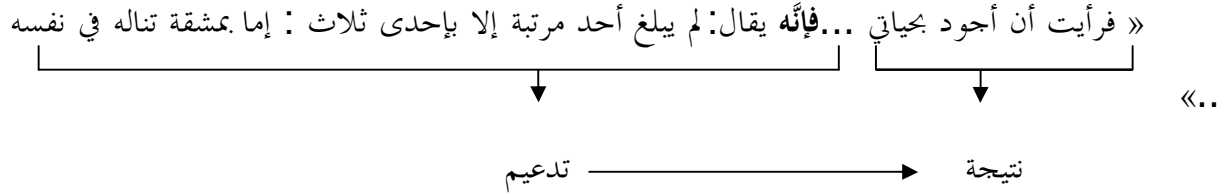
(9) عباس حسن ، النحو الوافي ، ج1، دار المعارف ، القاهرة ، ط 14 ، دت ، ص 631 .

(10) المرجع نفسه ، ص 644 .

(1) كليله و دمنة ، ص 32.

النتيجة → التدعيم — (أن)

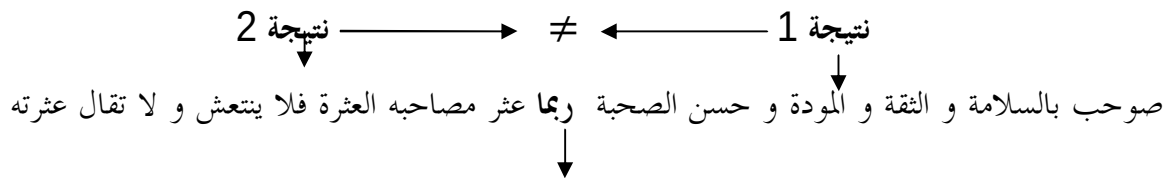
و تمّ ذلك وفق المخطط الآتي :



ومثله كذلك: «وعلى العالم أن يبدأ بنفسه و يؤدبها بعلمه، ولا تكون غايته اقتناء العلم لمعاونة غيره و نفعه و حرمان نفسه منه... فينبغي لمن طلب العلم أن يبدأ بعظة نفسه، و يتعهدا برياضتها... فإنَّ خلا لا ينبغي لصاحب الدنيا أن يقتنيها و يقبسها، منها العلم و المال، و منها اتخاذ المعروف»⁽²⁾.

وقد تجتمع (إن) مع (إلا) لزيادة التأكيد، ومثال ذلك قوله: «إنَّ العاقل ينبغي له أن يعمل بما علم منه لينتفع به... إنَّ العلم لا يتم إلا بالعمل... و إن لم يستعمل ما يعلم فليس يسمى عالماً»⁽³⁾.

وكذلك: «إنَّ صحبة السلطان خطرة، وإن صوحب بالسلامة والثقة والمودة وحسن الصحبة، فربما عثر مصاحبه العثرة فلا ينتعش و لا تقال عشرته، و إن لم يكن هذا فبعض ما أوتيت من الفضل قد جعل لي فيه الهلاك، وبعض الخاسن آفة لصاحبها، فإن الشجرة اللذيذة الثمر ربما كان أذاها في حملها، فلويت أغصانها و هصرت»⁽⁴⁾.



تدعيم: إنَّ الشجرة اللذيذة الثمر ربما كان أذاها في حملها ، فلويت أغصانها و هصرت

(2) المصدر نفسه ، ص 61 .

(3) المصدر نفسه ، ص 59 ، 60.

(4) المصدر نفسه ، ص 141.

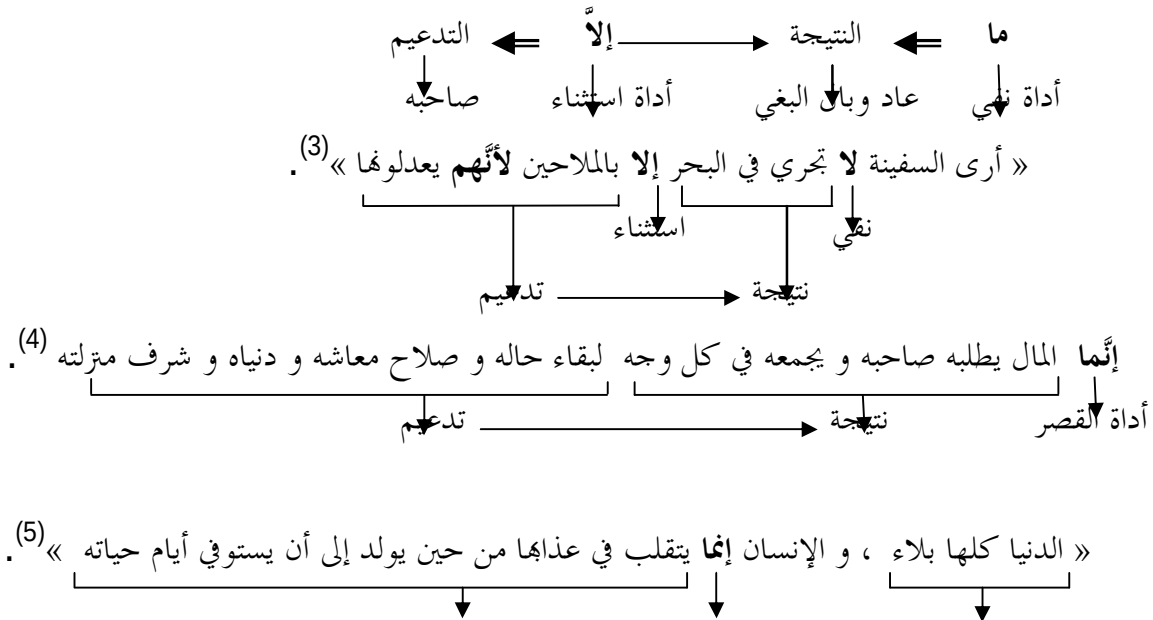
4-1-3-القصر: وهو في الاصطلاح «جعل أحد طرفي النسبة في الكلام سواء كانت اسنادية أو غيرها

مخصوصا بالآخر، بحيث لا يتجاوزه إما على الإطلاق أو بالإضافة بطرق معهودة»⁽¹⁾، ويتم القصر عادة بطرائق متنوعة منها: التقديم أو التأخير، والنفي والاستثناء، والأداة (إنما)، والعطف بالأدوات (لكن - لا - بل). وفي مجال الحجاج تقتصر على دراسة طريقة النفي والاستثناء، وعلاقتها بتقديم الحجة أو النتيجة، فللقصر طرفان: مقصور، ومقصور عليه، واعتماد أداة النفي مع الاستثناء يخص أحد الطرفين على الآخر، وبذلك يكون القصر في الحجاج بمثابة تقديم التدعيم والنتيجة داخل سلم حجائي تنازلي، وفق الشكل الآتي:

أداة النفي نتيجة أداة استثناء تدعيم و حجة

هذا التدعيم المعتمد عن طريق القصر، يأخذ مرتبة البرهان، الذي لا يرد ولا يدحض، ويجعل المتلقي محصورا بين هذا التدعيم وتلك النتيجة المقصودة، دون النظر إلى احتمالات أخرى، وبخاصة أنه يرد بعد الاستثناء، فيبرز الجانب التداولي لأداة الاستثناء في القصر داخل سلم الحجاج كونها مقدما للحجج والتدعيمات.

و من الأمثلة الواردة في كتاب كلیلة و دمنه قوله: «و ما عاد وبال البغي إلاّ على صاحبه»⁽²⁾. فالنتيجة قدّمت أولا، ثم قدّمت الحجة والدليل لذلك والمتمثل فيصبح شكل الحجاج في هذا المثال على النحو التالي:



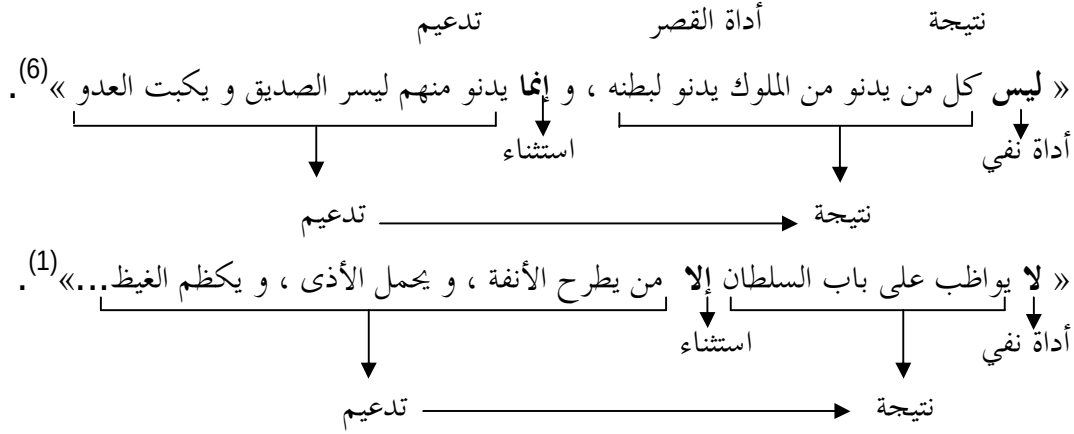
(1) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ - 1998م، ص716، 717.

(2) كلیلة و دمنه، ص67.

(3) المصدر نفسه، ص35.

(4) المصدر نفسه، ص69.

(5) كلیلة و دمنه، ص88.



و مثلها كذلك: « ليس غاية التواصل من كل المتواصلين إلا طلب عاجل النفع، وبلوغ مأموله »⁽²⁾.
 ويعدُّ القصر واحداً من طرائق بناء سلم الحجاج بشكل تنازلي يقدم النتيجة ثم التدعيم والحجة، ويقصر تلك الحجة على النتيجة، بحيث لا يترك المجال للتفكير عند المتلقي في حجة أخرى، وإنما يجعله يطابق ويلازم تلك الحجة مع هذه النتيجة، فتصبح أداة الاستثناء في القصر بمثابة مقدم للحجج والتدعيمات على نتائج سبقت هذه الأداة.

4-1-4- الاستفهام: قد يضطلع أسلوب الاستفهام بأداء دور تبريري ؛ أي دعم إثبات ما ، لذلك لا يمكن عده استفهاماً حقيقياً ، وإنما استفهاماً بلاغياً (intérrogation rhétorique)، ذو أغراض و معاني عديدة منها: الإنكار ، التقرير ، التعجب ، التكثير ، التشويق ، التمني ، و ما إلى ذلك .
 ويعتمد في الحجاج على الاستفهام لغاية جذب انتباه المتلقي والتأثير فيه ، ليشترك في عملية الاستنتاج والاستنباط ، كما يؤدي الاستفهام دوراً أساسياً في بناء سلم الحجاج بشكل تنازلي ؛ إذ يعتبر - غالباً - مقدماً للحجج والتدعيمات التي سبقتها نتائج حجاجية ، و تمّ ذلك وفق النموذج الآتي :

النتيجة	الاستفهام \ التدعيم
---------	---------------------

ومن الأمثلة الواردة عن الاستفهام الحجاجي في كليلة ودمنة ما يلي :

« يا نفس أما تعرفين نفعك من ضرك ؟ »⁽³⁾.

« ألا تنتهين عن طلب ما لا يناله أحد إلا قل انتفاعه به ، و كثر عناؤه فيه ، واشتدّت المؤونة عليه

، وعظمت المشقة لديه بعد فراقه ؟ »⁽⁴⁾.

« ألا تستحين من مشاركة الفجار في حب هذه العاجلة الفانية ؟ »⁽⁵⁾.

(6) المصدر نفسه، ص 100.

(1) المصدر نفسه، ص 103.

(2) المصدر نفسه، ص 267 .

(3) كليلة ودمنة ، ص 75.

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

Ã « ألم تعلم أنه ليس من الخير و الشر شيء إلا و هو مقدر ؟ »⁽⁶⁾.

4-1-5- الشرط : تتألف الجملة الشرطية من ثلاثة أجزاء ، على النحو الآتي:

- أداة تؤدي وظيفة الربط و التعليق ، يصطلح عليها " أداة الشرط " .

- ركن معلق عليه يسمى "عبرة الشرط".

- ركن معلق نصطلح عليه "عبرة الجواب"⁽¹⁾.

وتتعلق جملة الجواب بجملة الشرط من حيث الأسباب والنتائج ؛ فجملة الشرط تمثل سببا وعلة للجواب⁽⁸⁾، وتؤدي أداة الشرط دورا بارزا في ربط الجملتين (الشرط والجواب) ربطا دلاليا ومنطقيا ؛ إذ تقدم الحجة والتدعيم للوصول إلى النتيجة والجزاء. ويمكن مقابلة جملة الشرط بمكونات الحجاج ، واعتبار هذه الجملة ذات بنية وبعد حجاجي ، وهذا اعتمادا على أداة الشرط وما تؤديه من دور دلالي في ذلك ، وبالنظر إلى الجانب التداولي لها حين استعمالها في الحجاج ، فقد تكون مقدما لحجج أو لنتائج ، أو قد تكون احتياطا وتحفظا على نتيجة حجاجية. وسنتعرض في هذا الجانب إلى دراسة أدوات الشرط الآتية : متى ، أمّا ، لو.

4-1-5-1- متى: و من أمثلة ذلك حديث الفيلسوف بيدا عن أربعة أشياء اختص بها الإنسان عن

الحيوان ، و هي جماع ما في العالم : الحكمة و العقل و العفة و العدل⁽²⁾.

فمتى كملت هذه في واحد لم يخرج النقص في نعمته إلى سوء الحظ من دنياه⁽³⁾.

نتيجة

فمتى كملت هذه في واحد لم يتأسف على ما لم يعن التوفيق ببقائه⁽⁴⁾.

نتيجة

فمتى كملت هذه في واحد ، لم يحزنه ما تجري به المقادير في ملكه⁽⁵⁾.

نتيجة

فمتى كملت هذه في واحد ، لم يدهش عند مكروهه⁽⁶⁾.

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) المصدر نفسه ، ص 195 .

(1) سناء حميد البياتي ، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، دار وائل للنشر ، الأردن ، ط 1 ، 2003 ، ص 353 .

(2) قد يخرج الشرط عن أصله ، الذي هو وقوع الشيء لوقوع غيره ، بحيث يتوقف الثاني على الأول ، ذلك أنه في بعض الحالات لا يكون الجزء الثاني منه مسببا عن الأول ، و لا متوقفا عليه . للتوسع في الموضوع أنظر : فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو ، دار الفكر ، بيروت ، ط 1 ، 2000 ، ج 4 ، ص 53 .

(3) كليلة و دمنة ، ص 22 ، 23 .

(4) المصدر نفسه ، ص 23 .

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(7) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

نتيجة

4-1-5-2-أما: «وهي حرف شرط و تفصيل و تأكيد»⁽¹⁾، وأما «أنها شرط فبدليل لزوم الفاء بعدها»⁽²⁾، وفي الحجاج تمثل (أما) مع جملتها مقدما للنتيجة التي لا تقبل الرد أو الشك؛ بل تأتي كقناعة راسخة لدى المحاجج، الذي يفصلها بعد ذلك تفصيلا يؤكد صحتها ويقينها، وتأتي البنية الحجاجية هنا وفق الترسيم التالية :

أما [نتيجة \ فاء الجزاء

ومن أمثلتها في كتاب كلیلة و دمنه :

« أما الطائع فيسترسل إليه و يؤمن في جميع الأحوال »⁽³⁾.

نتيجة

« أما المضطر ففي بعض الأحوال يسترسل إليه و في بعضها يُنحذر منه »⁽⁴⁾.

نتيجة

4-1-5-3- لو: لها معان متعددة⁽⁵⁾، ولذلك سنقتصر على استعمالها في الشرط، و تفيد :

- « عقد السببية و المسببية بين الجملتين بعدها »⁽⁶⁾.

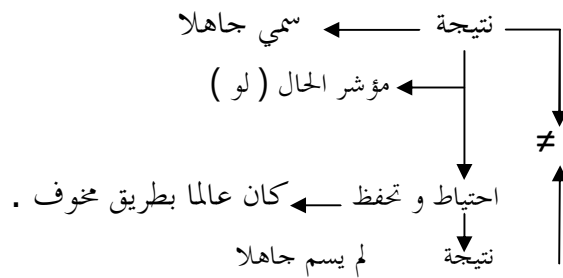
- « تقييد الشرطية بالزمن الماضي »⁽⁷⁾.

- « امتناع السبب »⁽⁸⁾.

وتستعمل (لو) الشرطية في الحجاج من باب الاحتياط والتحفظ على نتيجة حجاجية، و مثله في كلیلة و

دمنه : « لو أن رجلا كان عالما بطريق مخوف ثم سلكه على علم به ، سمي جاهلا »⁽⁹⁾.

و يمكن رسم سلم الحجاج على هذا النحو :



(1) ابن هشام الأنص.

(2) المرجع نفسه ، 1 / 353 .

(3) كلیلة و دمنه ، ص 267 .

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(5) أنظر : ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، 3 / 367 .

(6) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(7) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(8) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(9) كلیلة و دمنه ، ص 60.

4-2- التكرار Récurrence :

التكرار ظاهرة لغوية ذات دلالة من حيث التركيب و من حيث التأثير في المتلقي، ففي مجال التركيب عده **عبد القاهر الجرجاني** من معاني النحو « التي تبث في الكلام الانسجام و الاتساق و التناسق »⁽¹⁾، أما في مجال الإقناع و التأثير فإن التكرار يجعل هذه المفردات و هذه الجمل المكررة حاضرة المعاني في ذهن المتلقي أثناء التخاطب، أو أثناء القراءة .

وقد حفل بهذا المصطلح البلاغيون العرب، فأشار **السجلماسي** إلى وظيفته في الربط بين الأجزاء و اصطلاح على تسميته " بالبناء " يقول :« البناء هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد و على الإطلاق ، المتحد المعنى كذلك مرتين فصاعدا خشية تناسي الأول لطول العهد في القول »⁽²⁾.

أمّا من منظور لسانيات النص فهو التكرير _بتعبير **محمد خطابي** «شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما »⁽³⁾.

وفي كليلة و دمنة تكررت عبارة النداء « يا نفس » أكثر من مرة، يقول: « يا نفس، أما تعرفين نفعلك من ضرك ...يا نفس، أما تذكرين ما بعد هذه الدار فينسيك ما تشرهين إليه منها ؟...يا نفس، انظري في أمرك ،وانصرفي عن هذا السفه...يا نفس، لا تغتري بصحبة أحباتك و خلانك...يا نفس، لا يحملنك أهلك و أقاربك على جمع ما تملكين فيه إرادة صلتهم...يا نفس ،لا تركني إلى هذه الدار الفانية...يا نفس، لا تملي من عيادة المرضى و مداواتهم...يا نفس، لا يبعد عليك أمر الآخرة فتميلني إلى العاجلة في استعجال القليل، وبيع الكثير باليسير »⁽⁴⁾، فالغاية من هذا التكرار تابعة لغرض المحاجج ، حيث يكون سبيلا و منفذا لاستمالة المتلقي و التأثير فيه .

ويرجع هذا النوع من التكرار إلى المحاجج نفسه، إذ يستطيع تعويض اللفظ بما يحيل إليه كالضمير أو الإشارة أو الاسم الموصول، و لكنّه يفضل التكرار لغاية استمالة المتلقي، بتكثيف ذكر هذا اللفظ بنفس معناه بين الجمل أو الفقرات المتتابعة .

وصفوة القول أن للتكرير وظائف خطائية عدة ، عبر عنها بالإفهام و الإفصاح و الكشف، و توكيد الكلام و التشييد من أمره ، و تقرير المعنى و إثباته ، كما يقرن **أبو هلال العسكري** التكرير بتأكد الحجة ، و يجعل التكرير مدا للقول ،ومن ثم يربط بين مد القول و بلوغه الشفاء و الإقناع ⁽⁵⁾.

(1) إبراهيم خليل ، في اللسانيات و نحو النص ، ص 231 .

(2) السجلماسي ، المتزج البديع ، ص 476 ، نقلا عن : جميل عبد الحميد ، البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية ، ص 92 .

(3) محمد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص 24 .

(4) كليلة و دمنة ، ص 75 ، 77 .

(5) للتوسع أنظر: محمد العبد ، النص المحاججي العربي ، ص 63 .



الخاتمة

إنَّ دراسة المعنى التواصلية هو الرهان الذي تحاول التداولية من خلاله الولوج إلى عالم تحليل الخطابات الأدبية على وجه الخصوص، ليس لكونه متأصلاً في الكلمات وحدها ، ولا لارتباطه بالمتكلم وحده أو بالسامع وحده، وإنَّما لتداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي، لغوي) ، وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما . وتأسيساً على ذلك نستخلص أنَّ المنهج التداولي إنَّما هو إستراتيجية هامة و فعالة في تحليل الخطابات الأدبية بشكل عام ، لتفضي بنا الدراسة في هذا البحث إلى جملة من النتائج ، أهمُّها :

✖ ليس من السهل التعريف بالخطاب أو البحث عن مفهوم جامع مانع له، فتحديده يبقى مسألة نسبية، سيما و قد تجاذبته عدة معارف و علوم، كما واجه هذا المصطلح إشكالات عدة، أهمُّها إشكالية ضبط حدوده حيث وقفت اللسانيات الوصفية، كما هو معلوم، عند حدود الجملة لا تتعدَّها ، على اعتبار أنَّها الوحدة الأكبر القابلة للوصف.

✖ ظهور لسانيات ما وراء الجملة ، والتي تجاوزت حدود الجملة إلى دراسة جوانب نصية كبرى ، للوصول إلى العلاقات الدلالية – التداولية.

✖ تداخل مفهوم الخطاب ببعض المفاهيم، التي تقاربه في الوظيفة، سيما مفهوم النص، وقد شهدت الدراسات تضارب آراء الباحثين حول نقاط الاختلاف بينهما، فارتبط الأول عند بعض الباحثين بالشفوي (الصوتي)، بينما ارتبط مفهوم النص بالكتابي (التشكيلي)، بينما يرى آخرون أن كلا المصطلحين مرادف للآخر .

✖ تعلُّق الخطاب بالظاهرة الكلامية، التي ترتبط بالفرد، والذي يسعى إلى إفهام مخاطبه و التأثير فيه، وحتى تكون الرسالة فاعلة فإنَّها تقتضي حضور عوامل ذات أهمية في الدراسات التداولية ، ولا يتحقق نجاح فعل التخاطب ألا بها ، و هي: المتكلم و المستمع و القصد و السياق و المقام و الزمان و المكان .

✖ الخطاب السردى هو خطاب يستحضر إلى الذهن عالماً منظوراً إليه بكونه واقعياً، مادياً، ومعنوياً، يقع في مكان و زمان محددين، ومقدماً في أغلب الأحيان بتصور معين يمكن أن يكون منظور شخصية أو أكثر، ومنظور الراوي أيضاً.

✖ الخطاب السردى هو الحيز الذي تتجلى فيه الشخصيات بطريقة مميزة، حيث يجعلها تنبض بالحياة، فتقدم لنا الحياة الاجتماعية بمختلف مظاهرها ، أو حتى الحياة التاريخية ، لتكشف عن نظرتها العميقة للعالم .

✖ انتظام الخطاب داخل مجموعة من المبادئ و القواعد، سماها غرايس بأحكام المحادثة، والتي تعمل على تيسير تبادل الأدوار الكلامية بين المتخاطبين .

✕ إعادة الاعتبار للنظريات السياقية، حيث دخلت مجال اللسانيات بقوة، كنظريات أفعال اللغة لفلاسفة اللغة العادية، والمفوضية، وأيضا نظريات التداول، ونظريات النحو الوظيفي، والتي ركزت جميعا على مرجع العلامة اللغوية أو المكون التداولي، إلى جانب المكون الدلالي و التركيبي .

✕ متضمنات القول و الافتراض المسبق و الأقوال المضرة من أهم المفاهيم التداولية، والتي تتعلق بجوانب ضمنية و خفية من قوانين الخطاب، فقد يعدل المتكلم عن استعمال الخطاب المباشر إلى خطاب التلميح، بدافع من عوامل معينة كالسياق المحيط، أو السلطة (مرتبة المستمع)، أو الأعراف الاجتماعية و الضوابط الأخلاقية الشرعية، أو رغبة من المتكلم في التملص و التهرب من مسؤولية الخطاب، أو مراعاة للتأدب، وما إلى ذلك.

✕ لم تقصر التداولية اهتمامها على مجال الدراسة اللغوية و تحليل الخطاب في مستوى الاستعمال العادي أو التواصل، بل وسعت مجال اهتمامها ليشمل تحليل الخطاب الأدبي، فتوصلت _ انطلاقا من تطوير مفاهيمها النظرية و أدواتها التحليلية و إحيائها للعديد من المفاهيم التي كانت قد أقصيت في المناهج السابقة عنها كالمؤلف، والمتلقي، و السياق و المرجع و الذاتية و ما إلى ذلك _ إلى إرساء مفاهيم جد هامة في مجال تحليل الخطاب الأدبي.

✕ إنَّ الفعل الكلامي السردى يختلف عن الفعل الكلامي العادي في تشكله، كما أنه أقرب إلى مفهوم الحدث الكلامي منه إلى الفعل الكلامي.

*تعاقد الأفعال الكلامية على تنوعها لبناء الفعل الكلامي الجامع (الرئيس) .

*إننا نتواصل في غالب المواقف، ومن غير أن نحس، بالأفعال الكلامية غير المباشرة .

*يعد الوصف في الخطابات السردية فعلا كلاميا يتكون بدوره من فعل قولي و فعل إنجازي و فعل تأثيري .

*الفعل الكلامي فعل حجاجي قصدي اتفاقي يتكون من فعل متضمن في القول (لفظي)، وفعل منجز بالقول، و فعل تأثيري .

✕ لا خطاب بدون حجاج، فالحجاج بتعبير طه عبد الرحمن أصل في تكوثر الخطاب، كون المتكلم يسعى من خلال أقواله إلى كسب و تأييد المخاطب أو توجيهه نحو نتيجة ما، وفق معطيات سياقية و إستراتيجية معينة.

*إنَّ مفهوم الحجاج يستحضر شطرا من الفعالية الخطابية، وذلك بمراعاة المخاطب و ما يصدر عنه لغويا كأن يوجه كل أقواله بقصد محدد مسبقا.

*الاستعارة أبلغ من الحقيقة حجاجيا، لذا يمكن تعريفها بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقى .

لا يقف دور الألوان البديعية عند الوظيفة الشكلية، التي هي زخرفة الخطاب؛ بل إنَّ من وظائفها البديعية
الخطابة والإقناع .

*الآليات اللغوية كالروابط المحجاجية ، والتكرار هي ظواهر لغوية ذات دلالة من حيث التركيب ، ومن
حيث استمالة المتلقي و التأثير عليه، وتوجيهه نحو التصديق و الاقتناع .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية حفص .

أ- الكتب :

- 1- إبراهيم، إبراهيم مصطفى، نقد المذاهب المعاصرة ، ط1 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2000 .
- 2- الإبراهيمي ، خولة طالب ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة النشر ، حيدرة، الجزائر، 2000.
- 3- إبراهيم ، عبد الله : (و آخرون)، معرفة الآخر، مدخل الى المناهج النقدية الحديثة ، ط2 ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، بيروت ، 1996.
- الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة،تداخل الأنساق والمفاهيم و رهانات العولمة، ط1، المركز الثقافي العربي،بيروت،الدار البيضاء، ، 1999 .
- التلقي و السياقات الثقافية (بحث في تأويل الظاهرة الأدبية)، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2000 .
- السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط2، 2000، 2 .
- 4- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ج 2، تقديم و تعليق :أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، ط2 ،دار النهضة، ، مصر دت .
- 5- ابن تميم ، علي ، السرد و الظاهرة الدرامية،دراسة في التحليلات الدرامية للسرد العربي القديم، ط1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت، 2003.
- 6- ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص، ج1، تح : محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ، 1952.
- 7- ابن حزم ، الإحكام في أصول الأحكام ، مجلد 1، دط ، دار الآفاق ، بيروت ، 1983 .
- 8- ابن خلدون ، المقدمة من كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 3 ، تعليق و شرح : علي عبد الواحد وافي ، دط، دار نهضة مصر ، مكتبة الأسرة ، 2006 .
- 9- ابن خلكان ،أحمد بن محمد بن أبيب بكر، وفيات الأعيان و أبناء أيتام الزمان ، ج2، تح : إحسان عباس ، وزارة الثقافة ، بيروت ، 1972.
- 10- أبو العدوس ، يوسف ، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ، منشورات الأهلية ، عمان ، الأردن، 1997.

- 11- ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مج 4.
- 12- ابن المقفع ، عبد الله ، الأدب الكبير ، مكتبة المصطفى www.al-mostafa.com - كلية و دمنة ، دار الكتاب الحديث ، دط ، 2010 .
- 13- ابن منظور ، لسان العرب ، ج1 ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1955.
- 14- ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحق الوراق ، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء و المحدثين و أسماء كتبهم ، تح: رضا تجدد، مكتبة المصطفى www.al-mostafa.com .
- 15- ابن وهب ، أبو الحسن اسحق ، البرهان في وجوه البيان ، تقديم و تحقيق :حفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، عابدين ، مصر ، دط ، دت .
- 16- أبو موسى ، محمد ، التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان ، ط3 ، مكتبة وهبة، عابدين ، القاهرة ، 1993 .
- 17- أرمينيكو، فرانسواز ، المقاربة التداولية ، تر: سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط، 1987.
- 18- إسماعيل عبد الحق ، صلاح ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ط1 ، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت ، 1993
- 19- أمين ، أحمد ، ضحى الإسلام ، ج1، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط10، دت.
- 20- الأنصاري ، ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الشركة المتحدة للتوزيع ، القاهرة ، مصر، الطبعة الحادية عشرة ، 1983.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق و شرح :عبد اللطيف محمد الخطيب، ج1 و3 ، ط1 ، السلسلة التراثية 21، الكويت ، 2000 .
- 21- أوشان ، علي آيت ، السياق و النص الشعري ، من البنية إلى القراءة ، ط1، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء، 2000.
- 22- أوكان ، عمر ، اللغة و الخطاب ، دط ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، بيروت ، 2001 .
- 23- إيفانو كس، نظرية اللغة الأدبية، ترجمة حامد أبو حمد، ط 1 ، القاهرة، مكتبة غريب، 1988.
- 24- إيكو ، أمبرتو ، السيميائيات و فلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط2005، 1.
- التأويل بين السيميائيات و التفكيكية ، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت، ط2004، 2.
- 25- بارت ، رولان ، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ، تر: منذر عياشي ، مركز الانماء الحضاري حلب ، دت ، 1993 .

- 26- بارة ، عبد الغني ، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر ، مقارنة حوارية في الأصول المعرفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2005 .
- 27- باقر ، مرتضى جواد ، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ، دار الشروق للنشر ، عمان، الأردن ، ط1، 2000.
- 28- بحراوي ، حسن ، بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1990.
- 29- بحيري ، سعيد حسن ، علم لغة النص ، المفاهيم و الاتجاهات ، الشركة المصرية لوئجمان ، الجيزة ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط1 ، 1997.
- 30- براون و يول ، تحليل الخطاب ، تر : محمد لطفي الزليطي و منير التركي، مطابع جامعة الملك سعود الرياض ، دط، 1997 .
- 31- بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، تر: صابر الحباشة، در الحوار، سورية ، ط1، 2007 .
- 32- بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003.
- 33- بناني ، محمد الصغير ، النظريات اللسانية و البلاغية عند العرب ، النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين ، دار الحداثة ، بيروت ، ط1 ، 1986.
- 34- بوجادي ، خليفة ، في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة ، ط1 ، 2009 .
- 35- بوحوش ، رابع ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ، منشورات باجي مختار، عنابة ، دت ، دط .
- 36- بوقرة ، نعمان ، المدارس اللسانية المعاصرة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، دط، 2004 .
- 37- بومزبر ، الطاهر ، التواصل اللساني و الشعرية ، مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون ، الدار العربية للعلوم _ ناشرون ، بيروت ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2007 .
- 38- البياتي ، سناء حميد ، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل للنشر، الأردن ، ط1 ، 2003.
- 39- بياحيه ، جان ، البنيوية ، منشورات عويدات ، بيروت _ باريس ، ط4 ، 1985 .
- 40- التفتازاني ، سعد الدين ، المطول في شرح تلخيص المفتاح، ترتيب و تعليق : عبد المتعال الصعيدي ، دار الحكمة قم (إيران) ، دط، دت.
- 41- تودوروف ، تزفيتان ، الشعرية ، تر: شكري المبخوت و رجاء بن سلامة ، سلسلة المعرفة الأدبية ، تونس ، ط1، 1987 .

- باختين المبدأ الحوارية ، تر : فخري صالح ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، دار الفارس ، عمان ، الأردن ، ط 2 ، 1996.
- 42- الجابري ، محمد عابد ، تكوين العقل العربي ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 2 ، 1985 .
- الخطاب العربي المعاصر ، دراسة تحليلية نقدية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط 5 ، 1994.
- 43- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان و التبيين، تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون ، ج 1/ 2، دار الجليل، بيروت، دط، دت .
- الحيوان ، ج 1 ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط 3 ، 1969 .
- 44- جبار، سعيد ، الخبر في السرد العربي ، الثوابت و المتغيرات ، شركة المدارس للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 2004.
- 45- الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، شرح و تعليق: محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط 1999.3.
- أسرار البلاغة، قراءة و تعليق: محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني (القاهرة)، دار المدني (جدة) ، دط، دت .
- 46- جوير، الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ، 1986.
- 47- الجهشياري ، الوزراء و الكتاب ، تح : مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلي ، مطبعة الصاوي البابي الحلبي و أولاده ، القاهرة ، دط ، 1983 .
- 48- حسان، تمام ، اللغة العربية معناها و مبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، دط ، 1994
- 49- حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ج 1، دار المعارف ، القاهرة ، ط 14 ، دت .
- 50- حسام الدين ، كريم زكي ، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 3 ، 2001 .
- 51- حمو الحاج ، ذهبية ، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ، الجزائر ، دار الأمل للطباعة و النشر ، دط ، دت .
- 52- حجاج ، كلود ، إنسان الكلام ، مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية ، تر : رضوان ظاظا ، مراجعة : مصباح الصمد و بسام بركة ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 1 ، 2003
- 53- الحلبي ، صفى الدين ، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة و محاسن البديع ، تح: نسيب نشاوي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجامعية، دط، دت.
- 54- حمودة ، عبد العزيز، المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك ، عالم المعرفة ، الكويت ، ع 232 ، 1998.
- 55- الحنصالي ، سعيد ، الاستعارات و الشعر العربي الحديث ، دار تويقال ، دط ، 2005 —

- 56- خطابي ، محمد ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط 2 ، 2006 .
- 57- الخفاجي ، ابن سنان ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 1 ، 1982 .
- 58- خفاجي ، عبد المنعم و عبد العزيز شرف ، البلاغة العربية بين التقليد و التجديد دار الجيل ، دط، دت.
- 59- خليل ، إبراهيم ، في اللسانيات و نحو النص ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2007.
- 60- دايك ، فان ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، المغرب ، دط ، 2000.
- علم النص،مدخل متداخل الاختصاصات، تر:سعيد حسن بحيري،دار القاهرة للكتاب،القاهرة،ط1،2001.
- 61- دبة ، الطيب ، مبادئ في اللسانيات النبوية ، دراسة تحليلية ابستمولوجية ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، دط ، 2001.
- 62- دلاش ، الجيلالي ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، تر : محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، دت
- 63- دي بوجراند ، روبرت ، النص و الخطاب و الاجراء ، تر : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1998 .
- 64- الرازي ، قطب الدين ، تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 2 ، 1948.
- 65- الرقيق ، عبد الوهاب ، أدبية الحكاية المثلية في كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع ، دار صامد ، صفاقس ، تونس ، ط 1 ، 2007 .
- 66- روبول آن و جاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، تر: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 1 ، 2003 .
- 67- الرويلي ، ميجان و سعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا و مصطلحا نقديا معاصرا ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط 5 ، 2007.
- 68- ريتشاردز ، آيفور ارمسترونغ ، فلسفة البلاغة،تر:سعيد الغانمي و ناصر حلاوي، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء،دط،2002.
- 69- ريكور ، بول ، نظرية التأويل (الخطاب و فائض المعنى) ، تر : سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 2003 .
- 70- زايد ، عبد الصمد، مفهوم الزمن و دلالاته في الرواية العربية المعاصرة ، الدار العربية للكتاب، دط، 1988.

- 71- الزركشي ، بدر الدين بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ج 2 ، ط 1 ، 1972 .
- 72- زناد ، الأزهر، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1993.
- 73- السامرائي ، فاضل صالح ، معاني النحو ، ج 4، دار الفكر، بيروت ، ط 1 ، 2000.
- 74- السعران ، محمود ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 2 ، 1997 .
- 75- السكاكي ، أبو يعقوب ، مفتاح العلوم ، ضبط و شرح و تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1987، 2.
- 76- سليمان ، محمد ياقوت ، منهج البحث اللغوي ، دار المعرفة الجامعية ، ط 1 ، 2000 .
- 77- سوسير، دي فردينان ، محاضرات في علم اللسان العام ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2008 .
- 78- سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، ج 1، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت، ط 1، دت.
- 79- سيرفوني ، جون ، الملفوظية ، تر: قاسم المقداد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 1987.
- 80- سيرل ، جون ، العقل و اللغة و المجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي ، تر: سعيد الغانمي ، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت)، منشورات الاختلاف (الجزائر) ، المركز الثقافي العربي (بيروت) ، ط 1 ، 2006
- 81- الشاطبي ، أبو اسحق ، الموافقات في أصول الشريعة ، ج 1، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1، 1991.
- 82- شرف ، عبد العزيز ، علم الإعلام اللغوي ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لوجمان ، ط 1 ، 2000.
- 83- الشهري ، عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، دار أويا للطباعة و النشر و التوزيع و التنمية الثقافية ، طرابلس ليبيا ، ط 1 2004 .
- 84- صحراوي ، إبراهيم ، تحليل الخطاب الأدبي ، دراسة تطبيقية ، دار الآفاق ، الجزائر ، ط 1 ، 1999 .
- 85- صحراوي ، مسعود ، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث العربي دار الطليعة بيروت، ط 1، 2005 .
- 86- صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، ج 2 (من ط إلى ي) ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، 1982.
- 87- صمود ، حمادي ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس ، منشورات الجامعة التونسية ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، دط، 1981 .

- 88- صولة ، عبد الله ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ج1 ، جامعة منوبة ، 2001
- 89- طالس،أرسطو،الخطابة تح : عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت،دار القلم بيروت،دط، 1997.
- 90- الطبطبائي،طالب سيد هاشم ، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين و البلاغيين العرب ، الكويت ، ط1 ، 1993.
- 91- الطلبة،محمد سالم محمد الأمين،الحجاج في البلاغة المعاصرة دار الكتاب الجديد ،بيروت،ط1،2008.
- 92- عباس ، فضل حسن ، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان، الأردن ، ط4 ، 1997.
- 93- عبد الحق،صلاح إسماعيل،التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت ، ط1، 1993.
- 94- عبد الرحمن ، طه، التواصل و الحجاج ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، دت ، دط.
- اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط1 ، 1998
- في أصول الحوار و تجديد علم الكلام،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،بيروت،ط2007،3.
- 95- عبد المجيد ، جميل : البلاغة و الاتصال ، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، 2000 .
- البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، دط ، 1998 .
- 96- عتيق ، عبد العزيز ، في البلاغة العربية علم البديع،دار النهضة للطباعة و النشر،بيروت،دط،1985.
- 97- العجمي ، محمد ناصر، في الخطاب السردي ، نظرية قريماس ، الدار العربية للكتاب ، دط ، 1993.
- الخطاب الوصفي في الأدب العربي القديم،الشعر الجاهلي أنموذجا،ج1،مركز النشر الجامعي، تونس، ط1، دت.
- 98- العزاوي ، أبو بكر ، اللغة و الحجاج،العمدة في الطبع،ط2006،1.
- 99- العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله ، الفروق اللغوية ، دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع ، دط، 2006.
- كتاب الصناعتين (الكتابة و الشعر) ، تح : علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط2 ، دت .
- 100- عشير ، عبد السلام ، عندما نتواصل نغير ، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، دط ، 2006
- 101- عصفور ، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط3 ، 1992 .

102- عفيفي، أحمد، نحو النص، إتحاد جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001 .

103- العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليميني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز، مراجعة و ضبط و تدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995 .

104- علي محمد كرد، أمراء البيان، دار الأمانة، ط3، 1969 .

105- علي، محمد يونس، المعنى و ظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007 .

106- العمري، محمد، البلاغة العربية، أصولها و امتداداتها، إفريقيا الشرق، دط، 1999 .

107- الغدامي، عبد الله، الخطيئة و التكفير، من البنيوية إلى التشريرية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط4، 1998 .

- تأنيث القصيدة و القارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 2005 .

108- الغزالي، أبو حامد، المستصفى من علم الأصول، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1937 .

109- الفارابي، أبو نصر، كتاب الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط2، 1990 .

110- فضل، صلاح، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1985 .

- بلاغة الخطاب و علم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، مكتبة لبنان، ط1، 1984 .

111- الفهري، عبد القادر الفاسي، اللسانيات و اللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1986 .

112- فوك، كاترين و بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تعريب: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط .

113- فوكو، ميشال، حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، دط، 1986 .

- الكلمات و الأشياء، تر: مطاع صفدي و آخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990 .

114- الفصيل، سمر روجي، بناء الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1995 .

115- قاسم، سيزا، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1984 .

116- القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، مراجعة: بهيج غزاوي، دار احياء العلوم، بيروت، ط1، 1988 .

- 117- القبرواني ، ابن رشيق ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ط1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 2000 .
- 118- الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ، الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق : عدنان درويش و محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1419هـ - 1998م
- 119- كيليطو ، عبد الفتاح ، الحكاية و التأويل ، دراسات في السرد العربي ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، دط ، دت.
- الأدب و الغرابة ، دار الطليعة ، دط ، 1982.
- 120- لايكوف ، جورج ، اللسانيات و منطق اللغة الطبيعي ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، 2008
- (ومارك جونسون) ، الاستعارات التي نحيا بها ، تر : عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر ، ط2 ، 2009.
- 121- حميداني ، حميد ، بنية النص السردي ، من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط1 ، 1991
- 122- ليونز ، جون ، اللغة و المعنى و السياق ، تر : عباس صادق الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1987.
- 123- مانغونو ، دومينيك ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر : محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2008 .
- و باتريك شارودو و غيرهم ، معجم تحليل الخطاب ، تر : عبد القادر المهيري و حمادي صمود ، مراجعة : صلاح الدين الشريف ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، دت ، 2008 .
- 124- المتوكل ، أحمد ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، دار الأمان ، الرباط ، 1995 .
- الوظائف التداولية في اللغة العربية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1985 .
- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1986 .
- اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري ، منشورات عكاظ ، الرباط ، دط ، 1989 .
- 125- مرتاض ، عبد الجليل ، اللغة و التواصل ، دار هومة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ، 2003 .
- الظاهر و المختفي طروحات جدلية في الإبداع و التلقي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2005 .
- 126- مرتاض ، عبد المالك ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، دار الغرب ، وهران ، دط ، دت.
- بنية الخطاب الشعري ، دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية للشاعر عبد العزيز المقالح ، دار الحداثة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ، 1986 .
- 127- المرتجي ، أنور ، سيميائية النص الأدبي ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، دط ، 1987 .

- 128- مرشد، أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005.
- 129- المسدي ، عبد السلام ، النقد و الحداثة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 1983 .
- اللسانيات و أسسها المعرفية ، الدار التونسية للنشر و التوزيع ، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، دط، 1986 .
- الأسلوبية و الأسلوب، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط2 ، 1982 .
- 130- مصلوح ، سعد عبد العزيز ، دراسة السمع و الكلام صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك عالم الكتب القاهرة ، ط2000، 1
- 131- معتوق ، أحمد محمد ، الحصيصة اللغوية ، عالم المعرفة ، دط ، 1996 .
- 132- مفتاح ، محمد ، تحليل الخطاب الشعري ، إستراتيجية التناس ، دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1985 .
- دينامية النص (تنظير و انجاز) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط3 ، 2006
- 133- الملمخ ، حسن خميس، رؤى لسانية في نظرية النحو العربي ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2007 .
- 134- منير، وليد ، النص القرآني من الحملة إلى العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ، ط1، 1997
- 135- مهران ، محمد ، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط2 ، 1984
- 136- موانان ، جورج ، اللسانيات و الترجمة ، تر: حسين بن زروق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000.
- 137- ناصر ، عمارة ، الفلسفة و البلاغة ، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2009 .
- 138- نحلة ، محمود أحمد ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ، ط1 ، 2002
- 139- نهر ، هادي ، الكفايات التواصلية و الاتصالية ، دراسات في اللغة و الإعلام ، دار الفكر للطباعة و النشر ، ط1 ، 2003 .
- 140- هامون ، فيليب ، سيميولوجية الشخصيات الروائية ، تر: سعيد بنكراد ، دار الكلام ، الرباط ، 1990
- 141- هانيه منه ، فولفغانغ ، و فيهيفجر ديتير ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، تر : صالح فاتح الشايب ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، دط، 1997 .
- 142- الولي، محمد، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب، ط1، 2005

143- الواحدي، شرح ديوان المتنبي، مكتبة المصطفى - www.al

mostafa.com، بتاريخ: 2012/09/06

144- ياقوت ، محمد سليمان ، منهج البحث اللغوي ، دار المعرفة الجامعية ، ط1 ، 2002 .

145- ياكسون ، رومان ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، ، تر: علي حاكم صالح و حسن ناظم ،

المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، بيروت ، ط1 ، 2002 .

146- يعقوب ، إميل بديع ، معجم الإعراب و الإملاء ، دار اشرفية ، مطبعة الرهان الرياضي الجزائري ،

الجزائر ، دط ، دت .

147- يقطين ، سعيد ، تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، دط ، 1989 .

148- يوسف، أحمد، القراءة النسقية ، سلطة البنية و وهم الحايثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003.

- الدلالات المفتوحة ، مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، المركز الثقافي

العربي المغرب ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط1 ، 2005 .

ب - الدوريات والمجلات :

1- إدريس ، مقبول ، البعد التداولي عند سيويو ، مجلة عالم الفكر ، ع1، مج33 ، سبتمبر 2004 .

2- أعراب ، حبيب ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري " مجلة عالم الفكر المجلس

الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت سبتمبر 2001 ، ع1، مج30.

3- أنقار ، سعاد ، البلاغة و الاستعارة من خلال كتاب (فلسفة البلاغة) ل : إ. إ. إ. ريتشاردز ، مجلة عالم

الفكر ، مج 37 ، ع3 ، يناير مارس ، 2009 ، الكويت.

4- أيوب، عبد الرحمن، تحليل عملية التكلم و بعض نتائجه التطبيقية ، عالم الفكر ، مج20 ، عدد

3، أكتوبر_نوفمبر_ديسمبر 1989

5- بايزيد ، فاطمة الزهراء ، سيمياء الحواس في فوضى الحواس ، الملتقى الدولي الخامس السيمياء و النص

الأدبي .

6- بحري ، محمد أمين ، أقلمة المفاهيم التداولية لنظرية النظم (من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري)

، قص المسارات البلاغية و الفلسفية و النحوية ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة

بسكرة ، العدد السابع ، جوان 2010 .

7- البعزاتي ، بناصر ، الصلة بين التمثيل و الاستنباط ، ضمن كتاب : التحاجج طبيعته و مجالاته ، تنسيق :

حمو النقاري ، ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية سلسلة ندوات و محاضرات رقم 134 ، جامعة

محمد الخامس ، الرباط ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط2006، 1 .

8- بليغ ، عيد ، الرؤية التداولية للاستعارة ، مجلة علامات، المغرب، ع23 ، سبتمبر 2005.

- 9- بنسليمان ، حسناء ، بنية الخطاب السردية ، مجلة علامات ، جدة ، السعودية ، ج54 ، م14 ، شوال 1425 ، ديسمبر 2004 .
- 10- بن عيسى ، عبد الحليم ، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء نموذجاً" ، مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق العدد 102 السنة السادسة والعشرون - نيسان 2006 - ربيع الثاني 1427 .
- المرجعية اللغوية في النظرية التداولية ، مجلة دراسات أدبية ، جامعة وهران ، ع1 ، ماي 2008 .
- 11- بوجملين ، لبوخ ، تواصل الفعالية السردية ، نموذج (جانب لينتفالت) التلفظي الأثر ، مجلة الآداب و اللغات ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر ، ع6 ، ماي 2007 .
- 12- بودربالة ، الطيب ، قراءة في كتاب "سيمياء العنوان" لبسام قطوس ، الملتقى الدولي الثاني "السيمياء و النص الأدبي" ، 15-16 أبريل 2002 ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة .
- 13- بوزيدة ، عبد القادر ، ملاحظات و مقارنة بين بعض الاتجاهات التداولية : باختين و موفنانو نموذجاً ، مجلة اللغة و الأدب ، ع17 ، جانفي 2006 ، الجزائر .
- 14- بو الطيب ، عبد العالي ، الشخصية الروائية بين الأمس و اليوم ، مجلة علامات ، جدة ، السعودية ، ج54 م14 شوال 1425 ديسمبر 2004 .
- 15- بوقرة ، نعمان ، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ، مجلة اللغة و الأدب ، ع17 ، جانفي 2006 ، الجزائر .
- 16- بومعزة ، رابع ، تحليل البنية العميقة للنص الأدبي ، ج56 ، م14 ، ربيع الآخر 1426 هـ ، يونيو 2005 .
- 17- خليل ، لؤي علي ، المكان في قصص وليد إحلاصي (خان الورد أنموذجاً) ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج25 ، ع4 ، أبريل-يونيو ، 1997 .
- 18- خوري ، أنطوان ، معنى العني في قصيدة هوسرل ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الإنماء القومي الكويت ، ع18 ، 19 ، شباط / آذار 1982 .
- 19- الربيعي ، اسماعيل نوري ، قراءة في نقد الحداثة ، مجلة علامات ، جدة ، ج56 ، م14 ، ربيع الآخر 1426 هـ ، يونيو 2005 .
- 20- شداق ، بوشعيب ، مقصدية العمل الادبي بين التقييد و الانفتاح مجلة علامات مج14 ج54 ديسمبر 2004 .
- 21- شنان ، قويدر ، التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني ، المنشأ الفلسفي و المآل اللساني ، مجلة اللغة و الأدب ، ع17 ، جانفي 2006 ، الجزائر .

- 22- سيرفوني، جون ،اللسانيات و التداولية ،تر:ذهبية حمو الحاج ، التبيين ، الجاحظية ، ع19، الجزائر 2002
- 23- صبرة ، أحمد ، التفكير الاستعاري في الدراسات الغربية ، مجلة علامات ، جدة ، ج49 ، م13، سبتمبر 2003.
- 24- صحراوي ، إبراهيم ، النص الأدبي فضاء للحوار، مجلة علامات ، ج 54 م 14 شوال 1425 ديسمبر 2004
- 25- صولة ، عبد الله ، الحجاج : أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان و تيتيكا ، ضمن : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف : حمادي صمود ، كلية الآداب ، منوبة .
- 26- الطلبة ، محمد سالم ولد سالم ولد محمد الأمين ، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر م 28، ع 3، يناير — مارس، 2000 .
- 27- العبد ، محمد ، النص الحجاجي العربي ، دراسة في وسائل الإقناع ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، ع60 ، صيف_خريف 2002.
- 28- العربي ، ربيعة ، الحد بين النص و الخطاب مجلة علامات ، ع 33 ، المغرب ، 2010 .
- 29- عروي ، محمد إقبال ، مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي ، عالم الفكر ، مج31 ، ع 3 يناير _ مارس ، الكويت ، 2009
- 30- علي ، أحمد محمد ، ملامح الثقافة العربية الإسلامية في كتاب كليله و دمنه ، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، مج80 ، ع3.
- 31- علي ، زهرة أحمد حسين ، النفي إلى الهامش ، نحو استشراف المنظومة الأدبية لصقر الشبيب ، مجلة عالم الفكر ، مج 25 ، ع 4، ابريل_ يونيو ، الكويت، 1997 .
- 32- غماري ، نصيرة ، نظرية أفعال الكلام عند أوستين ، مجلة اللغة و الأدب كلية الآداب و اللغات، الجزائر ، ع 17 جانفي 2006 .
- 33- فاحوري ، عادل ، الاقتضاء في التداول اللساني ، عالم الفكر ، ع3 ، 1986 .
- 34- الفلاح ، قحطان صلاح ، الأدب و السياسة قراءة في كتاب كليله و دمنه لابن المقفع ، مجلة جذور ، ع28 ، مج 11 ، رجب 1430 هـ، يونيو 2004 .
- 35- قادري ، عليمه ، التداولية و صيغ الخطاب من اللغة إلى الفعل التواصل ، الملتقى الدولي الخامس " السيميائية و النص الأدبي " ، 17 و 18 نوفمبر 2008 ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة.

- 36-مبخوت ، شكري ، نظرية الحجاج في اللغة ، ضمن أعمال مخبر البلاغة و الحجاج ، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، جامعة منوبة ، تونس.
- 37-مداس،أحمد، المعينات و الموجهات في سيمياء التواصل من تشكيل الخطاب إلى تضاد العوالم ، الملتقى الدولي الخامس " السيمياء و النص الأدبي " 17و18 نوفمبر 2008 ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة.
- 38- مدقن ، هاجر ، المثل في كتاب كليله و دمنة بين الإخبارية و التوصيلية ، تقريب تداولي ، أشغال الملتقى الدولي الرابع تحليل الخطاب فيفري2009، تيزي وزو ، الجزائر.
- 39-ملاوي ، صلاح الدين ، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، ع 4 ، جانفي 2009 .
- 40-همام ، محمد ، نظرية تكامل العلوم ، مجلة جذور ،ربيع الآخر 1425 يونيو 2004 .
- 41-الولي، محمد ،من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات،مجلة نقد و فكر ، ع 8 ،دار النشر المغربية 1998 .
- ج_مواقع الانترنت :**
- 1-أبو الزهراء ، دروس الحجاج الفلسفي ، مجلة الشبكة التربوية الشاملة فيلومرتيل ، 2008.
- 2-بلحبيب رشيد ، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى ، مجلة اللسان العربي ، الموقع : www.allesan.org ، تاريخ الاطلاع على المقال:2011/4/23 ، سا:07:08 .
- 3- بنكراد ، سعيد ، استراتيجيات التواصل ، مجلة علامات، المغرب ، 21 ، 2004 ، الموقع : www.saidbengrad.net.
- 4-الحباشة ، صابر ، صور المعاني بين أوستين و الجرجاني ، مجلة أفق الثقافية ، انظر الرابط : <http://ofouq.com> بتاريخ : 25 /مارس /2012 سا :16:32 .
- 5-خفيف،راضية،التداولية وتحليل الخطاب،مجلة الموقف الأدبي،اتحاد الكتاب العرب،دمشق،ع339،تموز2004،الموقع: www.awu-dam.org ،تاريخ الاطلاع على المقال:2011/7/8،سا:17:06.
- 6-فيلاي،حسين،بنية السرد في رواية الزلزال،الاسم/تاصفة و الشبيه المتخفي ،مقاربة سيميائية،الموقع : www.wattar.cv.dz :
- 7-مارتان ، جان كلود ، ما التواصل ؟ ، تر : س . ب ، علامات 21 ، 2004 ، محور العدد : www.saidbengrad.net موقع الباحث سعيد بنكراد
- 8-المعموري ، عيسى سلمان درويش ، موت المكان في الشعر الحديث ، شعر السياب أنموذجا ، مكتبة جامعة بابل المفتوحة <http://repository.uobabylon.edu.iq>

9- المقاربة التداولية للخطاب الأدبي مجلة كتابات الالكترونية ، تاريخ صدور المقال : 10 / 06 / 2011 ، تاريخ الاطلاع عليه : 08 / 07 / 2011 ، سا: 56 : 17 .

10- هال ، توماس ، الثقافة و التواصل ، علامات 21، المغرب ، تر : أحمد الفوحي ، موقع الباحث سعيد بنكراد : www.saidbengrad.net .

11- يوسف ، أحمد ، السيميائيات و التواصل ، مجلة علامات ، المغرب ، ع24 ، 2005 ، موقع الباحث سعيد بنكراد : www.saidbengrad.net .

د_رسائل جامعية :

1- سرحان ، إدريس ، طرق التضمن الدلالي و التداولي ، رسالة دكتوراه ، مخطوطة جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس ، المغرب ، 1999 ، 2000 .

2- شيتير ، رحيمة ، تداولية النص الشعري جبهة أشعار العرب أنموذجا ، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب ، إشراف الأستاذ الدكتور عبد القادر الداخمي ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر _ باتنة ، الجزائر ، 2008-2009 .

ه_المعاجم والكتب الأجنبية :

- 1- Amossy(R), L'Argumentation dans le discours , Nathan, 2000
- 2- Anscombre et O Ducrot ,L'Argumentation dans la langue, Pierre Mardaga ,1983.
- 3- Breton (P) ,L argumentation dans la communication ,3edition
- 4- Dubois(Jean) et autres,Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage ,Larousse _Bordas ,1999 .
- 5- Ducrot (O),et Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage ,coll,Points,edition du seuil,Paris,1972.
- Dire et ne pas dire , Hermann , Paris , 1980 .
- Analyses pragmatiques in communication , édition du seuil 1980 .
- 6- maingueneau (Dominique) ,pragmatique pour le discours littéraire ;bordas,paris
- 7- orechioni ,Cathrine Kerbrate, L'implicite , Armand colin , Paris , 1986.

فهرس الموضوعات

<u>الصفحة</u>	<u>المحتوى</u>
9-4	مقدمة
-10	مدخل : بيبليوغرافيا العنوان
11	توطئة :
11	مفهوم الخطاب:
13-11	1- في الثقافة العربية.....
17-13	2- في الثقافة الغربية.....
19 -18	الحد بين النص و الخطاب
31 -20	الخطاب الأدبي _ السردى.....
23-28	قوانين الخطاب Les lois du discours.....
35-32	التداولية: المفهوم و الإجراء.....
35 -32	توطئة.....
45-35	التداولية : مرجعيتها الفلسفية و اللسانية.....
46	درجات التداولية.....
47-46	متضمنات القول Les implicites.....
47	الافتراض المسبق.....
48-47	الأقوال المضمرة.....
-49	الفصل الأول: إشكالية المقاربة التداولية للخطاب الأدبي.....
50	توطئة.....
51	الخطاب الأدبي خطاب تواصلى.....
59 -56	المتكلم:.....
60 -59	السامع.....
63- 61	الرسالة.....
65 -64	القناة.....

66	السنن
68-66	التواصل و الخطاب الأدبي
71-68	الخطاب الأدبي خطاب في سياق
82 - 71	السياق و الوصف
82	الاشاريات في كليلة و دمنة
82-76	الاشاريات الشخصية
82	الاشاريات الزمنية والمكانية
101-83	3-الخطاب الأدبي خطابحواري
91-84	تمظهرات الحوار في كليلة ودمنة
87-84	التواصل الذاتي
90-87	التواصل الشخصي
91-90	التواصل الاجتماعي
101 - 91	الخطاب السردى و قواعد التخاطب
107-101	4-الخطاب الأدبي خطاب ذو مقاصد
103	القصد اللساني
104	القصد التواصلى
104	القصد التداولى
107-105	المقصدية بين المعنى الصريح و المعنى الضمنى
108-107	5- الخطاب الأدبي خطاب لغوي مخصوص
109	<u>الفصل الثانى : الفعل الكلامى فى كتاب كليلة و دمنة</u>
110	نظرية أفعال الكلام
113-110	1-الفعل الكلامى عند أوستين
115-113	2- الفعل الكلامى عند سيرل
134-115	3- الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب

121-116	الخبر.....
134-122	الإنشاء.....
132-122	الإنشاء الطلبي.....
126-122	1- الاستفهام.....
128-127	2- النداء.....
131-128	3- الأمر.....
132-131	4- النهي.....
134-133	الإنشاء غير الطلبي:.....
133	1- التعجب.....
133	2- الدعاء.....
134	3- المدح.....
134	4- الذم.....
135-134	شروط نجاح الفعل الكلامي.....
135	الفعل الكلامي المباشر.....
139-135	الفعل الكلامي غير المباشر.....
141-139	الفعل الكلامي و الخطاب الأدبي.....
142-141	مفهوم الحدث الكلامي.....
143	الوصف و انجاز الخطاب السردى.....
149-144	الفعل الكلامي و الحجاج.....
227-150	الفصل الثالث: الحجاج في كتاب كلبلة و دمنة
152-151	المفهوم الاصطلاحي للحجاج.....
180-152	ملامح الخطاب الحجاجي.....
179-152	1- داخل النص الحجاجي.....
178-152	1-1- مكونات الحجاج:.....
178	1-2- القيمة الحجاجية.....

179-178	1-3-قوانين الخطاب.....
180-179	2-ما يحيط بالنص الحجاجي.....
179	السياق.....
180-179	العلاقة بين المحاجج و المستمع.....
227-181	الحجاج ووسائل الإقناع.....
183-181	1-الوسائل النفسية و الاجتماعية.....
191-183	2- الوسائل المنطقية:.....
191-183	2-1-التدعيم.....م
187-183	2-1-1- التدعيم بالدليل :.....
183	أ- الأدلة التاريخية.....
186-183	ب- الشواهد الخاصة.....
187	ج-الاحصاءات.....
189-187	2-1-2-التدعيم بالقيمة الحجاجية.....
189	2-1-3-التدعيم بالمصدقية.....
189	2-2- القياس :.....
190-189	2-2-1- القياس المضمر.....
191	2-2-2- القياس التمثيلي.....
218-192	3-الوسائل البلاغية :.....
203-192	3-1- التشبيه التمثيلي:.....
197	1- التمثيل من حيث الأفراد و التركيب و التقيد.....
197	2- التمثيل الصريح.....
200-198	3- التمثيل الضمني.....
200	4- التمثيل المتعدد.....
201	5- التمثيل الملفوف.....

202-201	6- التمثيل المفروق.....
203-202	7- تمثيل الجمع.....
204-196	2-3- الاستعارة
200	السياق و تأويل الاستعارة.....
202-201	قصيدة الاستعارة.....
203-202	مقبولية الاستعارة.....
204-203	الاستعارة و التشخيص.....
210-205	3-3- الألوان البديعية.....
206-205	3-3-1- المطابقة أو المقابلة.....
209-206	3-3-2- الجمع مع التقسيم و التفريق.....
210-209	3-3-3- التوشيع.....
218-211	4- الوسائل اللغوية.....
226-220	4-1- الروابط الحجاجية.....
212	4-1-1- لكنَّ.....
213-212	4-1-2- إنَّ.....
215-214	4-1-3- القصر.....
215	4-1-4- الاستفهام.....
216 216	4-1-5- الشرط.....
217	4-1-5-1- متى.....
	4-1-5-2- أمَّا.....

217	لو-3-5-1-4
218	التركاز-2-4
222-220	الخاتمة
238-223	قائمة المصادر والمراجع
244-239	الفهرست